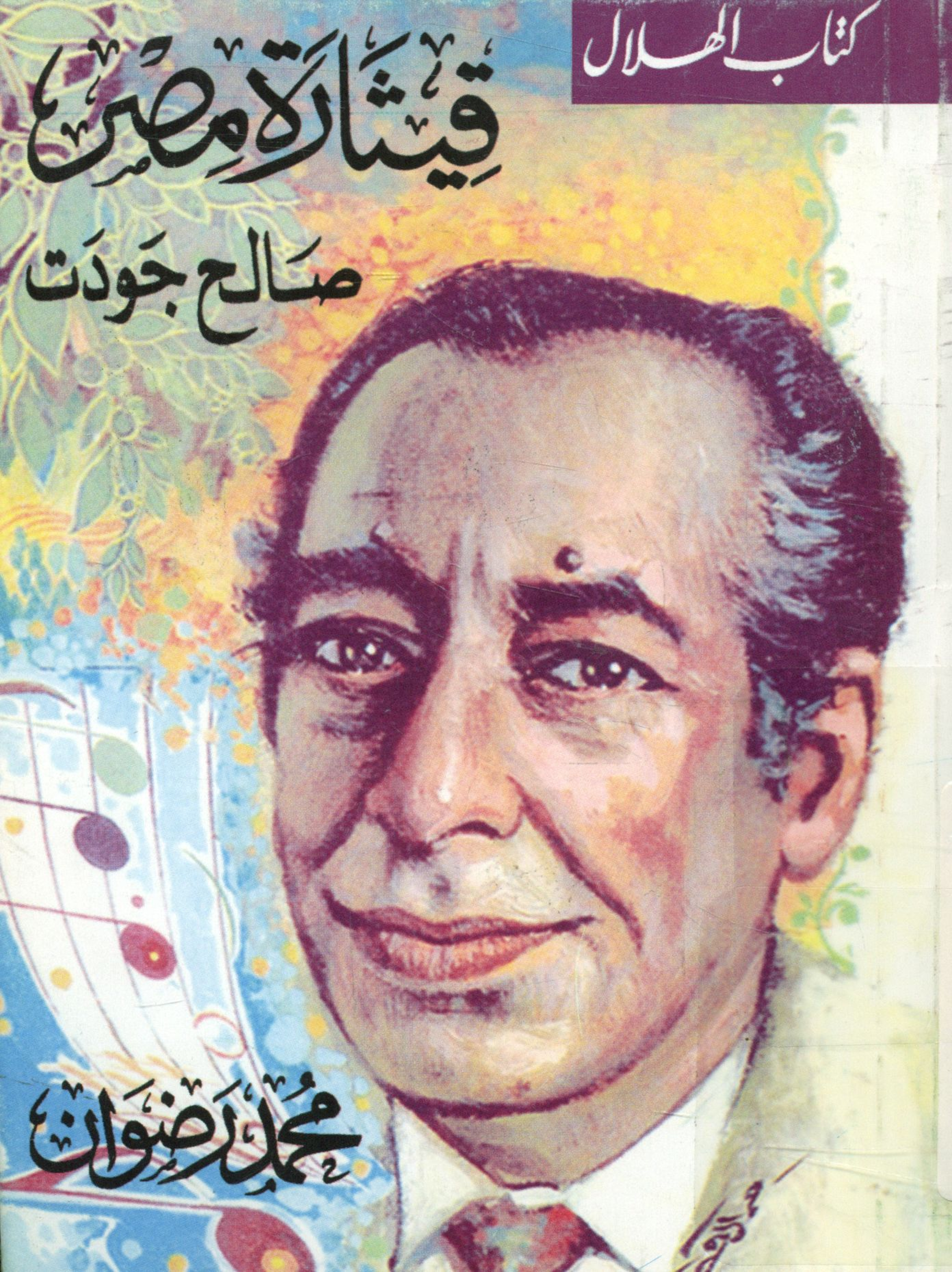

كتاب الهلال
قيثارة مصر
صالح جودت
محمد رضوان

فبراير 2014 - الثمن 6 جنيهات

الهلال

■ ناصر وعكاشة .. حاكم مستنير ووزير مبدع

■ فاروق حسني: أنا وزير الحرام

■ د. صابر عرب: مؤسسات الوزارة جزر معزولة

■ المنصورة .. عاصمة الإبداع وقلعة التطرف

الثقافة غياب وتغييب وتواطؤ

سلسلة شهرية تصدر عن مؤسسة دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة
غالى محمد

رئيس التحرير
محمد الشافعى

الهلال

مدير التحرير
أحمد شامخ

المستشار الفنى
محمود الشيخ

مستشار التحرير
محمد رضوان

تصميم الغلاف: محمود الشيخ

الإدارة
القاهرة: ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا)
ت: ٢٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط).
المكاتبات: ص.ب: ٦١ العتبة - القاهرة - الرقم البريدي ١١٥١١ -
تلغرافيا: المصور - القاهرة ج.م.ع.
تلكس: Telex 92703 hilal u n
فاكس: FAX: 3625469

ثمن النسخة
سوريا ١٢٥ ليرة -
لبنان ٨٠٠٠ ليرة -
السعودية ١٢ ريالا -
البحرين ١,٢ دينار -
قطر ١٢ ريالا -
الإمارات ١٢ درهما -
اليمن ٤٠٠ ريال -
فلسطين ٢ دولار.

الإشتراكات
قيمة الإشتراك السنوى ٩٦,٠٠جم داخل جمهورية مصر العربية تسدد مقدماً نقداً أو بحوالة بريدية غير حكومية- البلاد العربية ٤٠ دولاراً - أوربا وأسيا وأفرقيا ٤٥ دولاراً - أمريكا وكندا والهند ٥٠ دولاراً - باقى دول العالم ٧٥ دولاراً
القيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ويرسل لإدارة الإشتراكات بخطاب مسجل كما يرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد

الإصدار الأول/ يونيو ١٩٥١

البريد الإلكترونى: helalmag@yahoo.com

لوحة الغلاف للفنان : جمال قطب

رقم الإيداع
٢٠١٤/٣٠١٣
I.S.B.N
978-977-07-1623-6

قيثارة مصر

صالح جودت

محمد رضوان

دار الهلال



ياجنتى يا كوثرى ياهبة النيل الثرى
يابهجة نائمة على بساط أخضر
يا شعلة دائمة على طريق الأعصر
حبيبتى ، قاهرتى لن تغلبى ، لن تقهرى
أفديك ، يا حبيبتى من شر كل معتدى
صالح جودت

مقدمة :
ذكريات عن قيثارة مصر

كان اسم صالح جودت يتردد كثيرا فى الإذاعة من خلال أغنياته العاطفية والوطنية التى يتغنى بها كبار مطربينا . وكانت مقالاته وقصائده الرقيقة التي ينشرها على صفحات الصحف والمجلات فى ستينيات القرن العشرين تشدنى وتهزنى ... وكنت فى بلدتى أتابع هذا الاسم بكل إعجاب وتقدير وكان من الشخصيات التي تمنيت الالتقاء بها .

ولما اتجهت إلى القاهرة فى نهاية عام ١٩٦٦ والتحقت بكلية دار العلوم بحى المنيرة كانت الكلية بالقرب من مؤسسة دار الهلال ، التى يعمل بها الشاعر الكبير .

ولكن تهيبى الريفى ، وخجلى الفطرى منعانى من الذهاب إليه لمقابلته ، حتى أنجزت كتابى عن زكى مبارك ، فشجعنى قليلا ، وحملت أصول الكتاب وطفت به على بعض الأدباء والصحفيين لأستطلع رأيهم فيما كتبت ، فوجدت أكثرهم لم يهتم بالكتاب كما كنت أتخيل وكنت أظن أن الدنيا كلها ستهتز لكتابى الأول .

وذات يوم من شهر مارس عام ١٩٦٨ اتجهت إلى دار الهلال وانتظرت فى السكرتارية أطلب اللقاء بالشاعر صالح جودت الذى كان يعمل يومئذ كاتبا بمجلة المصور ، ولم يمض

علىّ خمس دقائق مرت علىّ كأنها خمسة قرون ، حتى أذن لى السكرتير بالدخول ... ودخلت على صالح جودت ... واستقبلنى ببشاشته المعهودة ، ووقف بقامته الفارعة يرحب بى ليزيل عنى الرهبة والخوف ، وجلست معه بضع دقائق ثم تركت عنده أصول كتابى عن زكى مبارك وكان عنوانه «عبقرية زكى مبارك» وخرجت من عنده وأنا أشعر براحة نفسية كبيرة بعد أن وجدت ترحيبا طيبا من هذا الشاعر الكبير .... وفى أحد أعداد مجلة حواء التى صدرت فى شهر أبريل ١٩٦٨ وجدت مقالا لصالح جودت بعنوان «بين ليلى العراق وليلى سنتريس» احتل صفحة كاملة تحدث فيه عن كتابى بكل الثناء والحب والتشجيع وأصبحت أثناء دراستى الجامعية أتردد عليه كثيرا بمكتبه بمجلة المصور وكان يهدينى مايصدر له من كتب أدبية أو دواوين شعره ، وبدأت أكتب عنه دراسة أدبية بعنوان «شاعر ليالى الهرم» واستوحيت العنوان من ديوانه الرقيق «ليالى الهرم» ، وهى قصيدته التى تجمع بين الوطنية والعاطفية ورجعت إلى الكثير من المصادر والمراجع فى كتابة هذه الدراسة حتى أننى توصلت لبعض كتاباته التى كان قد نسيها تماما .

وكنت أثناء العطلة الدراسية التى تستمر عادة ثلاثة أشهر فى الصيف أراسله من بلدتى الجمالية ، وكان يرد على

خطاباتى ببعض كلماته الرقيقة ، ومن أجمل ما أعتز به من رسائل ، رسالته المؤرخة فى ٦ يناير ١٩٧٠ والتى قال لى فيها :

«أخى الصغير الحبيب محمد محمود رضوان :

«إذ أحييك ، فإنما أحيى فيك ، قبل الأديب ، الإنسان ، الذى لايتجاوب إلا مع كل مثال عال وأسوة كريمة . وهذا هو مايبشرنى بك ، فى مستقبلك ، كأديب طاهر لاتستطيع انحرافات التيارات الوافدة أن تجرفه أو تؤثر فيه . إنى أهنئ نفسى بك ، ولك تحية من القلب» .

ومضت الأيام وأنا أزداد تقديرا لهذا الشاعر الإنسان الرقيق الذى يقف موقفا صلبا لايلين من التيارات الماركسية والمذاهب الهدامة التى كانت طافية فى تلك الحقبة .

وأعود إلى قصة كتابى زكى مبارك مرة أخرى .

زرت صالح جودت مرة ثانية لأشكره على ماكتبه عنى وأتسلم منه أصول الكتاب ، وفوجئت بمقدمة ضافية رائعة خطها قلم شاعرنا الكبير لهذا الكتاب ، ولم تسعنى الدنيا كلها .

وحملت الكتاب بمقدمته إلى الهيئة المصرية العامة للكتاب التابعة لوزارة الثقافة لينشر بها ، وكان يسيطر عليها يومئذ بعض اليساريين وأصحاب الاتجاهات الماركسية ، فرفضوا

الكتاب بعد أن علموا أن مقدمته كتبها صالح جودت عدوهم اللدود الذى كان يخوض معهم معارك نارية حامية ، وعلم صالح جودت بالقصة فكتب فى مجلة الكواكب فى شهر مايو ١٩٦٨ مقالا عنيفا بعنوان «مأساة شاعر سنتريس» روى فيه مأساة كتابى المرفوض ، ومأساة ديوان أحمد فتحى الذى جمعه وقدمه للنشر فى نفس الهيئة ولكنه رفض بحجة أنه «تحت المستوى المطلوب» !

ثم تمر الأيام وأحصل على ليسانس كلية دار العلوم عام ١٩٧١، وفى عام ١٩٧٢ تقدمت للعمل بدار الهلال، بعد أن رفضت العمل بالتدريس ، وأمر يوسف السباعى ، رحمه الله وكان رئيسا لمجلس إدارة دار الهلال ورئيسا لتحرير مجلة المصور يومئذ ، بأن أبدأ التدريب على الفور وكان ذلك حوالى شهر فبراير ١٩٧٢ تقريباً وبدأت التدريب بمجلة المصور ثم بمجلة الهلال . حتى عينت بها فى مارس ١٩٧٣ ، محررا أدبيا .

ثم تمضى الأيام ويطلب منى صالح جودت أن أكتب مقالا أدبيا عن زكى مبارك فى العدد الخاص الذى صدر من مجلة الهلال عن «أدباء العاطفة» فى عدد يونيه ١٩٧٣ ، وكان مقالى الأول بالهلال عن «مأساة زكى مبارك أمير العشاق» .

ثم نشر صالح جودت كتابى الذى رفضه خصومه من قبل

وصدر بعنوان «صفحات مجهولة من حياة زكى مبارك» عن سلسلة كتاب الهلال فى أكتوبر ١٩٧٤ ، وأحدث صدوره صدى طيبا فى الأوساط الأدبية ، وتمضى الأيام وتزداد ثقة صالح جودت بى ، وأزداد تقديرا ووفاء له من خلال عملى معه بمجلة الهلال ، حيث تولى رئاسة تحريرها فى مايو ١٩٧١ وكان رئيس مجلس الإدارة يومئذ الأديب يوسف السباعى .

ثم بدأت أنشر فى الهلال مقالات أدبية بين الحين والآخر ، برغم بعض العقبات من الحاقدين الذين حاولوا إفساد العلاقة بينى وبينه من العاملين بالمجلة مما لايتسع له المجال هنا .

وفى شهر أكتوبر عام ١٩٧٥ جاء من يتعاقد معى للعمل كرئيس تحرير لمجلة السراج التي تعد لها العدة لتصدر بسلطنة عُمان كأول مجلة أدبية بها ، وقدمت لصالح جودت طلبا بإجازة لمدة سنة بدون مرتب ، وحاول أن يقنعنى بعدم الموافقة ، وأحسست أنه بشعور الأب الحانى يريدنى أن أظل بالهلال بجانبه، ولكن إزاء إصرارى وشرحى ظروف تمسكى بالسفر فى تلك الحقبة ، لم يملك إلا الموافقة .

وفى تلك الفترة داهمه المرض بصورة عنيفة ... وكان يداهمه بين الحين والآخر بصورة نوبات نزيف حادة وكان أكبرها أثناء زيارة له بالجزائر فى مطلع ١٩٧٦ ، وفى شهر فبراير ١٩٧٦ صدر كتابى الثانى «مأساة شاعر البؤس

عبدالحميد الديب» في سلسلة «كتاب الهلال» وهو بمستشفى المعادى ، وزرته هناك وكانت السيدة زوجته تضع نظاما صارما للزيارة حيث كانت تمنع معظم الزيارات حفاظا على صحته ، ولكنى استطعت التسلل إليه فى حجرته الخاصة واستقبلنى كعادته بكل ترحاب ومودة ووجدته يراجع أصول ديوانه «الله والنيل والحب» آخر دواوينه التى صدرت له .

ثم ساءت حالته الصحية بعد ذلك وسافر إلى لندن للعلاج عاد منها فى شهر يناير ١٩٧٦ ، ثم تحدد سفرى إلى سلطنة عُمان فى التاسع من فبراير ١٩٧٦ ، ومررت عليه بمنزله بشارع صفية زغلول بحى المنيرة بالقاهرة وذهلت عندما رأيته ... وجدته شبحا ... وجلست معه بعض الوقت وأنا أعرف حقيقة مرضه العضال وصافحته بحرارة ثم عانقته، وكانت هذه أول مرة وآخر مرة أعانقه فيها وسافرت بعدها إلى عُمان ... وهناك علمت بنبأ رحيله الحزين فى ٢٣ يونيه ١٩٧٦ وبكيت من أعماقى عليه .

نسيت أن أقول إننى قبل سفرى وأثناء مرض صالح جودت عكفت على إنجاز كتابى «صالح جودت : شاعر النيل والنخيل»، فى غمرة انفعالاتى الحزينة عليه وقدمته للصديق السفير الشاعر أحمد عبدالمجيد ، فلم يملك الرجل إلا أن

يكتب له مقدمة عاطفية حارة مفعمة بكل مشاعر حزنه وأساه وهو يعلم بمأساة مرض الشاعر الرقيق وأعطانى الكتاب والمقدمة وهو يقول لى :

«لقد كتبتها بكل انفعالاتى الحزينة وبكل مشاعرى الصادقة» . ولقد صدر هذا الكتاب فى أغسطس ١٩٧٧ بعد وفاة الشاعر الكبير .

★★★

واليوم إذ أقدم هذا الكتاب الجديد عن صالح جودت وفاء وعرفانا وتقديرا لدوره الكبير فى الشعر العربى المعاصر ، فلأن صالح جودت سيبقى علما شامخا من أعلام الشعر العربى المعاصر ، وأحد أبرز شعراء جماعة «أبوللو» الذين تركوا بصمات واضحة فى مسيرة شعرنا العربى المعاصر سيبقى صالح جودت بشعره الوجدانى : العاطفى والقومى والوطنى ، وسيبقى بفكره الأصيل ودراساته الأدبية الرصينة، وأغنياته التى شدا بها كبار المطربين والمطربات وكان أحد رواد تطورها ورقيها .

لكل ذلك وغيره من فكره ومواقفه الصلبة سيبقى صالح جودت علامة مضيئة مشرفة فى تاريخ أدبنا العربى .

رغم أنف الحاقدين الذين يحاولون اسدال ستائر النسيان على اسمه وتراثه الأدبى الخالد !!

محمد رضوان

القاهرة يناير ٢٠١٤

ذكريات عن شاعر الحب

بقلم: أحمد عبدالمجيد (*)

عرفت صالح جودت فيما قبل ثلاثينيات القرن العشرين ، ثم نأيت عن القاهرة بحكم عملي في السلك الدبلوماسي سنوات طوال بلغت الثلاثين ، ثم عدت لألقاه على بساط من الود ممدود ، وشعر نضج وعلا وسما وأطرب وأشجا وكنت منذ أن عرفته ، أتطلع إلى غد مشرق باهر يسطع على هذا الشاعر الذى يهرتنى اشعاعاته الشعرية الأولى فى حياته الباكرة ، كما شدتنى إليه قصيدة ناجى فيها ممرضته وهو على فراش المرض وهو فى العشرينات من عمره ، أودع فيها مشاعر حية راضية ، وأسى دفينا يحجبه عن الناس .

واشتركنا معا كل فى طريقه وعلى طريقته ، وإن كنت قد سبقته إلى ذلك بسنوات - فى العمل الجاد للأخذ بيد الأغنية العربية مما ران عليها من إسفاف وأحاط بها من ابتذال فى

(*) كتب السفير الشاعر أحمد عبدالمجيد (١٩٠٥-١٩٨٠) هذه المقدمة أثناء المرض العضال الذى أصاب الشاعر الراحل صالح جودت فى نهاية عام ١٩٧٥ اضطره للعلاج فى لندن حتى قضى عليه المرض فى يونيو ١٩٧٦ ، وقد كتب السفير أحمد عبدالمجيد هذه المقدمة بعد تلقيه نبأ المرض العضال الذى أصاب صديقه الحبيب صالح جودت، فجاءت هذه الكلمات بمثابة دموع الوداع.

عشرينيات القرن العشرين .

وما رأيته يوما مكتئباً ... بل إنه ليبوء بالفشل من يحاول أن يجده متلبسا باكتئاب أو أسى .

وقد يكون داخله يغلى ويمور من شجن دفين يخفيه بين أضالعه شأن الرومانسيين .

إنه النسمة التى تروح وتغدو بين الغصون لتحرك الأوراق وتنعش المحرور وتهدهد التاعس الحزين، وهو فى ذلك أعدل من النسمة التي لاتفضل غصنا على غصن أو تؤثر ورقة على ورقة !

وأشهد أنى ماسمعت لسانه يند عن لفظ يسىء لإنسان كائنا ما كان ، إلا أن يكون دفاعا عن بلده وحق بلده وسياسة بلده .

بل لقد كانت كلماته كلها محبة وحب حتى غدت كلمة «يا حبيبى» من لوازمه فى الحديث ، وكم كان يلذ لى أن أنصت إليه وأنا فى مكتبه أنجز عملا لي بدار الهلال وهو يردد نشيد الحب ، وأنشودة المحبة ، عندما يرد على تليفون صديق وصاحب عمل يسأل عن عمله بالدار، وما أظن أنى أجد له بين من عرفت قرينا فى عمل الخير وحب الخير والسعى فى سبيل الخير ، على شاكلته أو قريبا مما هو عليه .

لقد لمست فى خلقه كل مايجذب القلب للقلب ، والعقل للعقل ، والفن للفن ، فعاش سامياً فى حبه وفى فكره وفى

شعره الفريد .

وإنك لتلمس فى شعره موسيقا شوقى ، ونزعة خليل مطران للتجديد والابتكار ، وثورة حافظ إبراهيم فى وطنياته ، وعلو نبضه فى كل أمر.قومى يدفع به إلى حومة الثائر المهتاج.

★★★

لقد تركت الحديث عن شعره للمؤلف الأديب الصحفى محمد رضوان، الذى عرف وزامل وتتلمذ على يد الأستاذ الكبير وشاعرنا الأصيل فى دار الهلال ، وهو جدير بأن يفى فى هذا الباب حق الشاعر النابغ ، الذى يتسع فيه مجال القول والدراسة كل متسع .

وماضى محمد رضوان فى كتابة التراجم ، يضئ له الطريق ، منذ أن اتبع المنهج النفسى فى الترجمة لشخصيات تراجمه ، حتى أجاد وأوفى على الغاية فى هذا الباب من الأدب الحديث .

وماذا أقول وماذا أدع ، وماذا يقول غيرى وماذا يدع ، فى شاعر ملأ شعره كل سماوات البلاد العربية ، وملأ نظمه كل دروب المشاعر الحارة والعواطف المتأججة ، هياما بوطنه مصر وبوطنه العربى ، وحفاظا على حقه ورفعته ، ودفاعا عنه إن ناله من دخيل أذى ، أو رماه بقذى من كذب أو بهتان

والحب في عرفه هواء وماء وشمس وغذاء ...

إنه يهتم بالحب قبل الحبيب ، فهو عاشق الحب ، وسادن الحب ، وراهب الحب ، ومنشد الحب على قيثارة الحب ، حتى أسلم الحب له قياده ، وأفرغ في قلبه المحبة ، وفي روحه العشق ، وسكب في عروقه محبة الله والأهل والوطن !

إن كل من استمتع بالاستماع إلى صالح جودت وهو ينشد شعره ويرتفع معه إلى ذروة غنائه لقصيدة ، إنما هو سعيد الحظ ، حسن النصيب .

ولقد سبق أن ذكرت لك أن الله أسبغ عليه نعمة تلك الشرارة المقدسة، التى تمد من يمتلكها بكل القدرات غير المتاحة للغير .

★★★

وصالح جودت فى كلمة هو صاحب مدرسة ، وصاحب أسلوب ، وصاحب قاموس شعرى ، تفرد بكل هذا من رقة الجرس في كل ماينظم أو ينطق أو يهمس فى شعره أو غنائه الذى اكتسى غلالة من وهج الشمس وضياء القمر .

إنه ظاهرة لا تتكرر ، ومزيج صاغه الله من عبقرية وذكاء ووفاء .

أحمد عبدالمجيد

القاهرة يناير ١٩٧٦

الفصل الأول :

حياته وثقافته

أنا قلب محير ، دائم الخفق
قليل الرضا كثير الوثوب
كل ثقب به، حكاية حب
بدموعى وحرقتى مكتوب
ابتدأت الهوى صبيا وأفنيت
شبابي في سجنه المحبوب
إن فى أضلعى بقية قلب
كان فى حبه شهيد القلوب !

صالح جودت

بين الأدب والسياسة

كان ذلك على الشاطىء الآخر من البحر المتوسط : فى تركيا ..... كان مؤسس الأسرة وعميدها سياسيا محنكا وأديبا لامعا يجيد الكتابة بأكثر من لغة .

كان هذا الرجل هو جودت باشا ....

وكما يقول عنه معجم «المنجد» : (١)

«جودت باشا (١٨١٣ - ١٨٩٤) ولد فى لوفجة من ولاية الطونة وزير عثمانى ألف بالعربية والتركية والفارسية .

من كتبه «تاريخ جودت» ترجمه عن التركية عبدالقادر الدنا وفيه أحوال الدولة العثمانية ولاسيما أخبار الانكشارية».

وقد تزوج جودت باشا وأنجب فيمن أنجب من أولاد «إسماعيل جودت» وشب إسماعيل وروحه تشتعل وطنية وغيرة على الوطن والدين .

★★★

كان إسماعيل جودت أحد أحرار الترك الثوار ... وكان خطيبا مفوها وأديبا لامعا ووطنيا ثائرا وشاعرا رقيقا ينظم الشعر بالتركية والفارسية وقد لعب دورا بارزا مؤثرا فى

---

(١) المنجد / الأعلام / بيروت / ص : ١٤٤ .

مقاومة السلطات الحاكمة فى بلاده فاضطهد ولاحقته السلطات بشتى ضروب الاضطهاد والتشريد والعنت ، وكانت مصر وستظل ملجأ للأحرار فى كل مكان وزمان ، فشد رحاله إليها واستقر بها واتخذها وطنا له وبرغم أرومته التركية إلا أنه أحب مصر وشارك فى أحداثها وانفعل بقضيتها وتحمس لها .....

وعمل بالمحاماة ....

والظاهرة اللافتة للنظر أن جل شعرائنا الذين كانوا من أصل تركى كالهمشرى وشوقى وصالح جودت كانوا من أصدق الشعراء وطنية وتغنيا بحب مصر والمناداة بحريتها واستقلالها ، وفى تلك الحقبة كان متزوجا من سيدة تركية .

وعندما شبت الثورة العرابية (١٨٨٠ - ١٨٨٢) انفعل بها وشارك فى أحداثها ولعب دورا بارزا وفعالا فى مقاومة الخديوى والانجليز ، فقد ساءه ما وجده من الأحوال السيئة التى تثير الأسى ، والمظالم التى ترتكب .

ولكن القوى الاستعمارية والرجعية تألبت على تلك الثورة القومية الوطنية فشاء الله أن تخذل وقبض على الثوار الأحرار وسيق إسماعيل جودت إلي المحاكمة ثم قضى علية بالنفى إلى «النيل الأبيض» بالسودان لمدة ثلاث سنوات (١) .

(١) عبدالرحمن الرافعى / الثورة العرابية / ص : ٤٩١ .

ولكن السلطات آثرت ابعاده إلى تركيا ليكون تحت العيون والأرصاد خشية أن يثير ثائرة الناس فى السودان على الانجليز والخديوى ، فنفى إلى اسطنبول .

وفى اسطنبول ولد ابنه كمال الدين جودت عام ١٨٨٢ ....

وفى حوالى عام ١٨٩٦ عاد إسماعيل جودت إلى مصر مرة أخرى بصحبة ابنه كمال الدين الذى لم يكن يتجاوز الرابعة عشرة من عمره ، ورأى أباه وهو يتحمل صابرا التشريد والعذاب فى سبيل الوطن والحرية ، فشب على كره للاستعمار منذ نعومة أظفاره ...

واستأنف إسماعيل جودت اشتغاله بالمحاماة ....

وورث كمال الدين جودت عن أبيه حب القراءة والاطلاع ، فقرأ من مكتبة أبيه أمهات كتب الأدب العربى القديم مثل مقامات الحريرى والأغانى والأمالى وغيرها من شوامخ كتب التراث ، كما قرأ دواوين الشعراء الفحول من أمثال المتنبى وأبى تمام والبحترى وعمل كمال الدين مهندسا زراعيا ، فكان لايكاد يستقر فى بلد واحد بحكم ظروف عمله . وفى عام ١٩٠٦ تزوج كمال الدين من سيدة من أسرة ذات علم ودين كان والدها الشيخ عبدالرحمن من أصل تركى ووالدتها من أصل مغربى كانت سيدة مؤمنة تقية صافية القلب هادئة

الطبع ....

وكان كمال الدين عذب الروح حلو الفكاهة يعشق الفن والأدب والجمال ويكتب شعرا رقيقا فى الحب والغزل وقد نظم «جغرافية مصر» بالزجل وصدر فى كتاب .

ومن شعره قصيدة يصف فيها راقصة بالية رائعة أثارت إعجابه ، فرسم هذه اللوحة الشعرية الجميلة المعبرة عن الراقصات عام ١٩١٢م بعنوان «وصف بال» يقول فيها :

راقصات عاريات في ضياء الكهرباء
ناظرات قاتلات لنفوس الأبرياء
مائسات بقدود كغصون فى هواء
قادمات كنسيم طائرات فى الفضاء
راجعات كنجوم تائهات فى الجواء
مائلات دون سكر لأمام ووراء
سالبات لاعبات بعقول العقلاء
ليس هذا الخلق شأن الخلق من طين وماء
إنما هذا مصاغ من لجين وصفاء

وكان كمال الدين يملك الكثير من الضياع والثروة ، ولكنه كان شاعرا أراد أن يمتع نفسه ، فبدد أكثرها قبل وفاته .....

طفولة شاعر

كان كمال الدين جودت - كما قلت - كثير التنقل والترحال من محافظة لأخرى بحكم وظيفته كمهندس

زراعى .....

وفى مدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية كان مولد شاعرنا . فى ١٢ ديسمبر ١٩٠٨ .

وكان والده يعانى سكرات الموت بالمستشفى وأرادت والدته أن تسميه «عبدالرحمن» تيمنا باسم أبيها ، فكان لها ما أرادت ..

وفى اليوم السابع من مولد شاعرنا صنع الأطباء معجزة أنقذت الأب من الموت بأعجوبة، وأراد الله أن يمد فى عمره...

وخرج الأب من المستشفى ليثير معركة كبيرة حول الطفل الصغير الذى اسمه عبدالرحمن والذى يجب أن يكون اسمه صالح تيمنا باسم شقيق له كان لامعا فى دولة الأدب والقانون يومئذ وهو المرحوم المستشار صالح بك جودت (١) (١٨٧٨-١٩٦٨) والد الإذاعية ثريا جودت وكان للأب ما أراد.

صدر إعلام شرعى بتغيير الاسم إلى صالح جودت ثم ما لبثت الأسرة أن انتقلت إلى القاهرة بعد سبعة أيام فقط من مولد الطفل الصغير ...

---

(١) كان هناك اختلاف فى سنة مولد شاعرنا ، فالمتعارف عليه أنه من مواليد سنة ١٩١٢ ولكن الوقائع والأحداث وأسرة الشاعر تؤكد أنه من مواليد١٩٠٨.

(٢) من مؤلفاته : أمة الملايو (١٩٠٨) ومصر فى القرن التاسع عشر (١٩٣١)، وترجم الكثير من القصص منها «كيد الغانيات» و«جهاد القلوب» تأليف لوزير أينو ومسرحية «الإيمان» تأليف أوجين بريو (١٩١٤) وترجمات جوستاف لوبون.

كان للأسرة بيت بمصر الجديدة تلفه حديقة خضراء جميلة ...

وفى طفولة شاعرنا المبكرة كان يسمع أباه وهو ساهر فى الحديقة بالليل ، وحوله نفر من أصحابه ، يقرأ عليهم من الشوقيات ، إذ كان مفتونا بشوقى ، وكان يعده سيد القدامى والمحدثين .

وفى هذه السن المبكرة ، أعجب شاعرنا جرس الشعر الذى يسمعه كل ليلة ، فتشرب موسيقا الشعر وأنغامه منذ نعومة أظافره .

وعندما استطاع الطفل أن يقرأ بدأ يقرأ مقامات الحريرى وهو فى العاشرة ، وأعجبته الصنعة فى هذا الكتاب .

ثم بدأ يقرأ الشوقيات حتى حفظها جميعا وهو فى الثانية عشرة ، وخلبته موسيقاها وظل طيلة حياته يؤمن بأن الشعر هو أول مايكون موسيقا وأن على من ينظم الشعر إذا لم يحسن الموسيقا أن يهجر الشعر إلى النثر .

وكان الابن يختلف مع أبيه فى كثير من أسس الأدب ،

كان الأب يعجبه شعر حفنى ناصف وعائشة التيمورية وغيرهما من معاصريه . وكان الابن شغوفا بالأدب الحديث ورواده الجدد والتقى الاثنان عند رأى واحد فى أمير الشعراء، شوقى ، وبدأ شاعرنا بمحاولات بسيطة لنظم الشعر ولكنه استمر وبدأ يترنم بالشعر منذ طفولته المبكرة وهو دون العاشرة ، وكانت أشعاره وقتئذ تتسم بالموسيقية والرقة والعذوبة نتيجة قراءاته لشوقى فى سن مبكرة .

وعندما لقى كمال الدين جودت وجه ربه فى يناير ١٩٥٢م كان قد أضاع كل ثروته ولم يترك شيئا وراءه ولكنه ورث صناعة القلم لابنه ، وهو أطيب ميراث ...

★★★

اختلف صالح جودت إلى مدرسة إنجليزية فى مصر الجديدة، وكان فى تلك الحقبة مرحا كثير الحركة والمداعبات وله ذكريات طريفة فى طفولته المبكرة .

من ذكرياته المبكرة أنه كان يكسر عدادات النور والمياه ويشعل مجموعة من الحرائق ، وكانت بالمدرسة مدرسة إنجليزية حسناء شقراء من موظفات المدرسة ... كانت وقتئذ فى العشرين من عمرها وكان صالح لم يتجاوز السابعة من

عمره ...

ورغم فارق السن الكبير إلا أن الشاعر العاشق الصغير المفتون هام بها حبا ونظم فى حبها عشرات الأبيات من الشعر الغزلى الأفلاطونى يبثها حبه ونجواه وعواطفه المشبوبة .

وعلمت بعواطفه نحوها ، فأولته اهتماما وشجعته وظلت تلك الحسناء المثقفة هى المثال الحى للجمال فى رأى شاعرنا ثم التحق بمدرسة الفرير بعد ذلك ...

ثم التحق بمدرسة مصر الجديدة الابتدائية وقاسى الأمرين من عصا ناظر المدرسة التركى بايزيد أفندى لشقاوته..

★★★

ثم ظفر صالح جودت بالشهادة الابتدائية وعمره عشر سنوات ... وعندما وقف لأول مرة فى طابور الصباح بالسنة الأولى للمدرسة الثانوية نادى ناظر المدرسة اسمه وقال : إن هذا التلميذ هو أصغر من نال الشهادة الابتدائية فى تاريخ هذه الشهادة ..

وأسكرت هذه الكلمات الشاعر الصغير ، وكانت نتيجة

هذا أنه تعثر بالسنة الأولى لمدة ثلاث سنوات متواصلة ..

كان شاعرنا الصغير ، العاشق يقضى جل وقته فى مسارح القاهرة ومنتدياتها مثل مسارح عماد الدين ومسارح روض الفرج .

وفى هذا الجو الساحر المفعم بألوان الفن وسحر الأدب والجمال تشرب النغم وتعرف على عشرات من النقاد والممثلين والمؤلفين والمطربين والمطربات ...

كان يسهر الليل ولايعود إلى البيت إلا قبل الثانية صباحا.. أصبح الشاعر الصغير المفتون بوهيميا .... واندفع فى هذا التيار الساحر بلا وعى .

ولكن حدثت معجزة أنقذته من الانسياق فى هذا التيار الساحر الجارف ... قرر والده وكان يعمل وقتئذ مهندسا زراعيا بالمنصورة أن ينتزعه من جو القاهرة ولياليها ويلحقه بمدرسة المنصورة الثانوية لعله يفلح .

واتجه صالح جودت إلى المنصورة عام ١٩٢٧ إلى المدرسة الثانوية ليلتحق بها ..

ونجحت المحاولة ....

ومرة أخرى أصبح دائماً ترتيبه الأول على فرقته كل سنة...

فى المنصورة

وفى مدرسة المنصورة الثانوية ظهرت موهبته الحقيقية فى نظم الشعر وبالرغم من بساطة ما كان ينظمه فإنه كان يعد ارهاصات لما سيجئ بعد من مولد شاعر كبير..

وكان ينظم فى المدرسة قصائده ويقرؤها على التلاميذ والأساتذة.

وحدث أن جاءت فرقة يوسف وهبى إلى المنصورة، واستضافته المدرسة هو وأعضاء فرقته، وقال صالح فى تحية الفنان الكبير قصيدة منها هذان البيتان:

هذب نفوس شبيبة   للخلق أحوج ما تكون
فالخلق إن بلغ الكمال   بأمة، هدم السجون

ويبدو أن القصيدة قد أعجبت المحتفى به، فأخذها منه ونشرها فى إحدى مجلات القاهرة الشهيرة...

وفى العام نفسه، قرأ فى مجلة (الصباح)- وكانت يومئذ من أشهر المجلات الفنية والأدبية- مقالاً يتهجم فيه كاتبه على أم كلثوم، وكان قد نشأ على حب فنها، فامتشق قلمه، وكتب مقالاً طويلاً دافع فيه عن أم كلثوم وبعث به إلى المجلة، التى نشرته تحت عنوان (بقلم الأستاذ الكبير صالح جودت)..

ومنذ يومئذ، لم ينقطع عن مراسلة هذه المجلة، سواء بالشعر أو النثر، ومن هنا بدأ اتصاله بالصحافة الفنية والأدبية التى برع فيها وأجاد...

وفى المنصورة فى الفترة (١٩٢٧ - ١٩٣١) كانت المنصورة خميلة شعرية جميلة يغني فيها شاعر الأطلال، ناجى، وشاعر الجندول على محمود طه، وشاعر الأعراف الهمشرى...

وكان هؤلاء الشعراء يجلسون على شاطئ النيل بالليل يسمرون فى شتى ألوان الأدب والفن والجمال...

وكان الأربعة يحلو لهم الالتقاء عند (صخرة الملتقى) وهى تقع بين البحر والصحراء بأطراف المنصورة ويستوحون منها أجمل الشعر وأعذبه.. ومن المنصورة بدأ صالح يتصل بصحف ومجلات القاهرة وتبلورت اتجاهاته الشعرية فى تلك الحقبة، فقد بدأ يتجه شطر شعر الحب والغزل يبدع فيه أيما إبداع.

وكان الشعراء الأربعة تجمعهم أواصر الشعر ووشائج الشباب وعبادة الجمال وروح الثورة على القديم.

وفى المنصورة بدأ الحب يتسلل إلى قلبه.. فأحب ملكة جمال المنصورة حينئذ، واستوحى منها عدة قصائد غزلية منها قصيدته (تصورى) التى يقول فيها:

قلت لها تصورى   يا فتنة المصور
تصورى حكايتى   فى حبك المحير
حكاية كأنها   خرافة المعمر

وصالح جودت هو ابن المنصورة، فقد تفتح شبابه الغض على ضفافها الفيح وعرف بين ربوعها هذا الحب العاصف المزلزل الذى أوحى إليه بأعذب أشعاره...

وأنجز شاعرنا دراسته الثانوية وانتهت أيام المنصورة الحلوة واتجه الشعراء الأربعة إلى القاهرة فى عام واحد، هو عام ١٩٣١م كل إلى وظيفته ودراسته.. ودع صالح جودت المنصورة وفى قلبه حسرات على فراق مهد الصبا ومدينة الحب والجمال والشعر والخيال.

ودعها بقلب مشبوب يتحسر على لياليها الشاعرية الساحرة:

آه مما بى، وهل تدرين ما بى
يوم ودعتك ودعت شبابى
أين أحلامى على تلك الروابى
ذابت الأحلام فى قلبى المذاب

ويسترجع ذكريات الجمال فى مدينة الحسن والجمال والشعر والخيال، حينما كان ينتهب بعينيه شوارد الحسن على ضفافها الخضر:

مادعا لحنى ولا غنى نشيدى
غير غاداتك فى الخطو الوئيد
حين يخطرن على النيل السعيد
بالوجوه السمح كالنور المذاب

يتهادين بمعسول الدعاب
آه مما بى وهل تدرين ما بى
يوم ودعتك ودعت شبابى

ثم يودع محبوبته فيها، فيقول:

لى حبيب فيك أفديه بعمرى
سمرة النيل على خديه تجرى
هو إلهامى وأحلامى وشعرى
ونعيمى بين عينيه وسكرى
كان عند الليلة الظلماء بدرى
وله نجواى فى دنيا اغترابى
يا ترى يذكرنى بعد الغياب؟

وظل شاعرنا يحمل لمدينة المنصورة أجمل الذكريات وأطيبها طيلة حياته، المدينة التى ذاق فيها رحيق الحب والوصال وتشربت روحه من جمالها عبادة روائع الحسن وبدائع الجمال.

مع جماعة أبوللو

التحق صالح جودت بكلية التجارة جامعة القاهرة عام ١٩٣١م، وفى هذه الفترة قامت جمعية (أبوللو) عام ١٩٣٢م برئاسة أمير الشعراء أحمد شوقى والدكتور أحمد زكى أبوشادى.

وينضم الركب القادم من المنصورة إلى تلك الجمعية وهكذا التفوا حول رسالة أبوللو.

ووجد صالح جودت نفسه وهو دون العشرين، عضواً بمجلس إدارة الجمعية، ممثلاً للشباب، يجالس كبار الشعراء والأدباء...

ثم نشبت المعركة بين مدرستي شوقي والعقاد، فيهب صالح جودت مدافعاً عن شوقي، مهاجماً خصومه بعنف وقوة.

وتشهد صفحات أبوللو قصائد الشاعر الشاب العاشق وتدور حول الحب والغزل والحيرة والقلق...

وفي عدد أول إبريل عام ١٩٣٣م نجد له قصيدة غزلية رقيقة، وهو لم يتجاوز العشرين بعد بعنوان (الشارد) يقول فيها: (١)

أيها الشارد عن وكر الهوى
قد عفا من بعدك القلب وذاب
كنت لا أشهد إلا نضرة
فإذا النضرة قد أمست يباب
كنت لا أسمع إلا بلبلاً
فإذا الشادي على الأيك غراب
كنت لا أشرب إلا خمرة

---

(١) أبوللو / إبريل ١٩٣٣م/ ص: ٨٨٢.

في كئوس قد ملئن اليوم صاب
كنت لى ياتاركى فى لوعتى
أنت والألحان والكأس طلاب

★★★

لست أنسى فى حياتى ليلة
أنصفتنا بعد ما طال الغياب
قربت منا فما نحو فم
وتقضت بين لوم وعتاب
وسكون الليل أذكى شجونا
وظلام الليل مسدول النقاب

★★★

لك شعر ذهبى ساحر
ضاع فى موجاته قلبى وذاب
لك خدان تبدت فيهما
حمرة تنساب من قلبى المذاب
والعيون الزرق من فوقهما
رائحات غاديات كالسحاب
حين قالوا إن آلام الفتى
ليس يفنيها من الدهر الذهاب
خفت هذا العيش أن يمضى بنا
أو يعيد الشيب أهوال الشباب

مـشـفـقـاً بالصب من آلامـه
أن يضيع العمر فى هذا العذاب

ومن نفس الملهمة صاحبة (العيون الزرق والشعر الذهب) –وكانت ممثلة جهيرة هى زينب صدقى(١٩٠٠–١٩٩٣) أحبها أكثر من شاعر وأديب منهم ناجى وأحمد عبدالمجيد وأحمد راسم– استلهم صالح جودت قصيدة أخرى بعنوان (العيون الزرق) نشرت فى أبوللو يقول فيها: (١)

عـين من يهـواك تشـتـاق الكرى
قلب من يهـواك يشـدو بالحنين
هل رأيت الدمع من عـينى جـرى
هل سمعت القلب موصول الأنين؟

★★★

يا شـقـيق الزهر والطير.. أما
سـاءلت نفسـك عنى أخـويك
أنـا فـى روضـك أرويـه بمـا؟
فاض من دمعى مدى العمر عليك

★★★

أزرع الآمـال فى روض هـواك
وأرويـهـا بـدمـعى ودمى
فـإذا مـا عـدت ألفـيت نواك

---

(١) أبوللو / إبريل ١٩٣٣م/ ص: ٨٨٢.

فـى ثنـايا الروض يبنى مـــأتمـى

★★★

أيهـا الهـاجـر من غـيـر ســبب

لو تجــافى أنـا راض بجــفـــاك

العـيـون الزرق والشـعـر الذهب

ألجــآنى يا حـبـيـبى لهـــواك

وفى تلك الحقبة كان يعانى - كشاب فى مطالع العمر - من الحيرة، والقلق والشك فى كل شئ وعكس تلك الأحاسيس والانفعالات فى عدة قصائد منها قصيدة (على الرمس) التى يقول فى مطلعها:

قمت فى الليل أناجى مضجعك

ليتنى فى الرمس أمسيت معك

وقصيدة (أكذوبة الموت) التى يقول فى مطلعها: (١)

قد حرت فى الموت وفى أمره

ومازواه اللّه من سره

وتبلغ ذروة الشك والتمرد فى نفسه فى مطولة بعنوان (الراهب المتمرد) (٢) استخدم فيها الشاعر الأسطورة والرمز الفنى فى إبراز فكرته وهى عبارة عن حوار فلسفى طويل فى

---

(١) أبوللو / إبريل ١٩٣٣م/ ص: ١٢٥.

(٢) أبوللو/ ديسمبر ١٩٣٣م / ص: ٢٩٣ - ٣٠٣.

دير بين راهب متمرد شاك فى جوف الفلاة وبين كاهن الدير الذى يناقشه ويرد عليه ويحاول إقناعه.

وكان هذا الشك من الشاعر الشاب وهذا التمرد على كل شئ باعثاً على حملة ضارية من الشيوخ، فهجر شاعرنا الشعر حيناً، ولكنه سرعان ما عاد يغرد مرة أخرى، عاد إليه هذه المرة بعد أن ازدادت قراءاته، وتعمق فيما يقرأ، ولا سيما فى أدب التصوف والمتصوفين، فعاد إلى اللّه قوى الإيمان، مفرطاً فى الحب لذاته، رغم فلسفته القائلة بعبادة صور الحسن وبدائع الجمال للتقرب من الله...

وفى عام ١٩٣٤م نشر شاعرنا عدة قصائد عاطفية منها قصيدته (رمس الهوى) فى فبراير وفى نفس العدد قصيدة عاصفة وفى عدد أول إبريل قصيدة (القصيدة الأخيرة) عبر فيها عن ندمه على شططه وغلوائه فى شعر الشك والتمرد وجرأته على المألوف وعودته إلى شاطىء الإيمان واليقين؛ فقال:

يا إلهى قد نفضت الشعر عن قلبى وأخليت يدى
وكسرت اليوم أقلامى وأغلقت بقلبى شفتى
وتنكرت لليالى التى أوحت بأشعارى إلىّ
عدت للمسجد والتقوى وأوهنت صلاة ركبتى
وغدا القرآن فى يمناى يسترحم من نشر وطى
يا إلهى دمعة النادم نارها فى مقلتى

وكتب الدكتور إبراهيم ناجي يقول عن صالح جودت بعد الحملة العنيفة التى تعرض لها بسبب جرأته (١).

(صالح جودت هو أحد الشعراء المجددين، الذين لا يبالون فى سبيل الحرية الفكرية بأى عقبة ولا حائل، وهو لذلك ماض إلى الأمام دائماً، مضطرد التقدم.

وعقله الخصب، ونبوغه الوافر، كفيلان بأن يضمنا له سبقاً وتجلية فى الميدان الذى اختاره لمواهبه الكبيرة).

ديوان صالح جودت:

صدر أول ديوان لشاعرنا فى بداية عام ١٩٣٤م وهو لم يتجاوز السادسة والعشرين من عمره بعنوان (ديوان صالح جودت).

وكان تجربة أدبية مبدعة استقبلها النقاد بحرارة وحماس...

وقد تميز شعر هذا الديوان بالموسيقا الهامسة وحلاوة الجرس والطلاوة، ويحتوى على قصائد مضمونها يغلب عليه روح التمرد والشك والتساؤل والحيرة لشاب فى عنفوان تفتحه وما يدور فى النفس من هواجس وتساؤلات، كما يشتمل على قصائد عاطفية ملتهبة يبلغ فيها أقصى غايات الإبداع والعذوبة.

---

(١) أبوللو / ديسمبر ١٩٣٣م/ ص: ٣٠٣.

وكتب الشاعر أحمد زكى أبوشادى(١٨٩٢-١٩٥٥) مقدمة للديوان أشاد فيها بالشاعر الشاب وبين نواحى الإبداع والتجديد فى شعره وأصالته المتميزة فقال عنه: (١)

(إن صالح جودت بفطرته شاعر غنائى حساس، حلو العبارة، فياض العاطفة، جياش بالمعانى العذبة الرقيقة ولكنه إلى جانب ذلك الشاعر الوطنى والشاعر الفلسفى حينما تثيره ظروف خاصة، فترى فى ذلك الشعر الحيرة والاضطراب والآمال والآلام المتغلغلة فى مشاعر هذا الجيل).

كان هذا رأى الدكتور أبوشادى فى شاعرية صالح جودت وقد تبين منذ تلك الحقبة اتجاهات صالح جودت الذى جمع فيما بعد بين الروح العاطفية والوطنية فى مزاج جميل خاص.

وقد أهدى شاعرنا الديوان إلى ملهمته الأولى صاحبة (العيون الزرق والشعر الذهب).

وقد كان هذا الديوان بمثابة مولد شاعر جديد له أثره المتميز فى تطور شعرنا العربى المعاصر.

ملامح شخصية

من أبرز ملامح شخصية صالح جودت الصدق والصراحة والوضوح.. هذه الصفات كانت هى السبب المباشر فى كثرة معاركه ومساجلاته الأدبية...

---

(١) ديوان صالح جودت / مقدمة أبوشادي.

وقد صور مشاعره وعواطفه وأحاسيسه فى شعره بصورة نابضة بالصدق والصراحة وأبرز هواجس نفسه وما يعتمل فيها من صور الهوى والهدى بصورة صريحة.

وقد سافر صالح جودت إلى كثير من بلدان العالم، فقد أحب السياحة والرحلة وقد كان لهذه الرحلات والأسفار زاد نفيس أمد أدبه بفيض جديد من المشاعر والأحاسيس، وكان من نتاج ذلك كتابه فى أدب الرحلات (قلم طائر).

وهو عاشق مفتون يهيم بالحسن وألوان الجمال لأنه جذوة من الوجدان.

ونفسيته مشرقة واضحة تلمس ملامحها فى أشعاره التى رسم فيها صورة لنفسه وأفكاره ومشاعره.

★★★

قرأ صالح جودت فى صباه ويفاعته الكثير من أمهات كتب الأدب العربى القديم مثل الأغانى ومقامات الحريرى ودواوين المتنبى والبحترى والشريف الرضى، وفى الحديث الشوقيات التى حفظها عن ظهر قلب.

وفى فترة المنصورة (١٩٢٧ - ١٩٣١) استوعب مع رفاقه شعر شيللى وكيتس ووردز ورث وبايرون، وفتن بشعرهم وأغرم فى بداية حياته الأدبية بشعر الطبيعة فى الأدب الإنجليزى والأدب الفرنسي، واستهواه بصفة خاصة الشعر الرومانسي واستوعبه ثم أصبحت الرومانسية من أظهر سمات شعره.

فهو شاعر رومانسى حالم مجنح يتغنى بالحب والجمال ويعبر عما يجيش بنفسه بصدق وحرارة.

وقد نال صالح جودت بكالوريوس كلية التجارة عام ١٩٣٧م، ثم ظفر بالماجستير عام ١٩٤٩م وكان أول دفعته وكانت رسالته بعنوان (الدولة المثالية فى الإسلام).

وقد عمل فترة فى الديوان الاقتصادى ببنك مصر ثم ما لبث أن تفرغ للأدب والشعر من خلال عمله بالصحافة الأدبية والفنية والسياسية، فقصر كتاباته على مجلات دار الهلال الأسبوعية مثل (الكواكب وحواء والاثنين والدنيا والمصور) بالإضافة إلى مجلة الهلال الشهرية التى كان يكتب فيها مقالاته الأدبية حتى وصل إلى منصب رئيس تحريرها (١٩٧١ - ١٩٧٦).

كانت تجربة الشعر عند صالح جودت تجربة مميزة تعكس ملامح شخصيته ووجدانه المصرى الأصيل، مما دفع الناقد د.عبده بدوى إلى تصنيف تجربته التى تؤكد أنه شاعر ذو مواقف واضحة وصريحة فى للحياة والشعر والسياسة (١) .

أعتقد أنه ليس من السهل أن يتعرض الإنسان فى عجلة لشاعر، فالإنسان ما يكاد يقترب منه حتى يجد أنه يتعامل مع

---

(١) د. عبده بدوى - فى الشعر العربى الحديث / الكويت ١٩٩٧.

منشور ضوئى، فله أكثر من لون وأكثر من شعاع، وبخاصة حين نعرف أنه لم يقف فى المنطقة المحايدة، وإنما التزم بقضايا مهمة يحبها، ويشارك فيها، وابتداء نعرف أنه نشأ فى بيت شعرى، فأبوه كان شاعرا، وجده كان شاعرا، والبيت كانت فيه مكتبة عامرة، ولقد كان أول شىء لفته فى الشعر هو الموسيقى.

***

جمع صالح جودت فى ثقافته بين الثقافة الأوربية والثقافة العربية فقرأ لأعلام الشعر الرومانسى أمثال ورد ذورث وبيرون وشيللى وألفريدى موسيه وغيرهم، كما قرأ روائع الشعر العربى منذ العصر الجاهلى حتى أمير الشعراء أحمد شوقى، فاستطاع المؤالفة بين التراث والمعاصرة، لكى تمتد الجذور الجديدة الطيبة، فى تربة الأرض العريقة الطيبة، وهذا ما يفسر لنا التحاقه بجماعة أبوللو، فى مطالع شبابه، وانسياقه مع شعرائها فى موكب التجديد الذى تمثل حينا فى بعض الملامح الرمزية والرومانسية، ثم تمسكه بعرى التراث الأصيل، طوال مسيرته الشعرية والأدبية.

الفصل الثانى :

شاعر الحب والغزل

يا مـلاكى، أنا من أحـببت فى الحب عـذابى
ونشـرت الغـزل المشـبـوب فـى كل الروابى
وبنار الشـوق واللهـفـة أحـرقت شـبـابى
أنقـذى روحـى من الـنار، وفـوزى بالثـواب

صالح جودت

لاشك أن شعر صالح جودت العاطفى نسيج وحده فى شعرنا العربى المعاصر، فهو متفرد بأصالة خاصة وسمات معينة وقد وصل إلى ذروة الكمال الفنى فى السنوات الأخيرة من حياته...

وقد صور صالح جودت مشاعره وأحلامه وعواطفه فى شعره أعمق تصوير وأصدقه ورسم خفقات قلبه وأهواءه بأمانة وحرارة وصدق، فبزغ شعره رقيقاً شجياً...

وقد طرق شاعرنا موضوعات لم يسبقه قبله شاعر فى طرقها وأبدع صوراً جديدة وفريدة هى ثروة فى قاموس الوجدان فى شعرنا العربى المعاصر، فاتسم شعره العاطفى بالبساطة والغنائية والصدق.

لقد أجاد شاعرنا التعبير العاطفى فى شعره وأضاف لشعرنا العربى الكثير من المعانى والتعبيرات الجديدة المبتكرة..

من أجمل قصائده العاطفية وأرقها قصيدة «فى جزيرة معك»، التى تبين رومانسية شاعرنا الحالمة وفيها يود لو غاب هو وملهمته بعيداً عن عيون الناس- التى هى الجحيم الحقيقى على حد تعبير سارتر- إلى حضن الطبيعة حيث

النجوى والوصال بين الطبيعة الساحرة في جزيرة نائية، فيناجيها قائلاً (١):

إن تبسلني يا حبيبي
أي حلم أشتهيه
فهو أن أقضي عمري
في فراغ أنت فيه
فمتى تأمرني أن أتبعك
وأغني في جزيرة معك

ثم يصور لنا جواً عاطفياً مشحوناً بالظلال والشاعرية، صور لنا فيه صورة شاعرية جميلة للقاء عاشقين وخفقات قلبين وهمسات روحين يتناجيان:

أسأل الليل إذا الليل دنا
بدره المشرق أم بدري أنا؟
المنى والسحر والعطر هنا
والهوى والكأس والليل لنا
وأنا بين يديك
أجتني من شفتيك
رشفة منك إليك
وأسوي فوق صدري مضجعك
وأغني في جزيرة... معك

---

(١) صالح جودت / حكاية قلب/ ص: ٨٤.

ثم يواصل رسم اللوحة الشاعرية المبدعة للعاشقين الحالمين فى صور شعرية متتابعة متناسقة:

العصافير التى توقظنا عند الصباح
والأزاهير التى تسكر أنفاس الرياح
والمزامير التى تهتف بالحب المباح
والمقادير التى تجهل ألوان الجراح
كل هذا الحسن يدعونى هنا
أى شئ لك فى تلك الدنا؟
لا تجبها وأجب قلبى أنا
واسأل الأقدار بى أن تجمعك
لأغنى فى جزيرة معك

ومن أجمل قصائده العاطفية قصيدة (الملاك الأبيض) التى يناجى فيها ملهمته النافرة :

يا ملاكى، نشر الليل غلالات الظلام
فافتحى قلبك للأحلام والنجوى، ونامى
واتركينى فى اشتياقى واحتراقى يا غرامى
جئت أستشفى من الحب، فضاعفت سقامى

ثم يستثير مشاعرها لتعفو عنه وتعود إليه:

يا ملاكى، سامحى طيشى، ورقى لجنونى
واغفرى الماضى وما يوحيه من سود الظنون

وارحمى ضعفى إذا ما شئت ألا ترحمينى
هل ترين اليوم إلاك خيالاً فى عيونى؟

★★★

وهذه قصيدة (ميعاد ليلة الأحد) من شعره الغزلى الرقيق، وهى تعبير عن وجدان شاعرنا، وتصوير لأثر الحب فى نفسه وفيها تجديد فى الروح والمضمون وهى تعبير عن تجربة عاطفية مع ملهمة يقول فيها: (١)

والضحى والغدائر الذهب
والعيون الشهباء كالسحب
وبخديك كاسى العنب
وبنهديك حلوى اللعب
قسم صنته عن الكذب

★★★

ذكريات اللقاء لم تنم
يقظات فى مهجتى ودمى
غردات فى نظرتى وفمى
فبحقى .. وحق ذا القسم
هل تعيدين ليلة الهرم؟

ثم يصف ليلة الهرم التى سعد فيها مع محبوبته فى ظلال ابتسامة أبوالهول الغامضة:

---

(١) الرسالة / ميعاد ليلة الأحد / ١٩٤٠.

ليلة كـــابتـــســـامـــة القـــدر
كنت فـــيـــهـــا أحلى من القـــمـــر
جـــمـــعـــتنا بجـــانب حـــذر
من أبى الهـــول ســـاخـــر النظر
هل درى الحب قلبـــه الحـــجـــرى؟

شعر الغزل الحسى

صـاغ صـالح جـودت كـثـيراً من عـواطفـه وأحـاسـيـسـه بصـدق وصراحة، وبجانب ما أبدعه من شعر الحب والغزل العفيف نجد فى الجانب الآخر صوراً شعرية جريئة أجاد فيها التعبير، وعكس فيها التجربة الحسية فجاءت أكثر صدقاً وحرارة.

ولكنه رسم تلك الصور بلا ابتذال أو إسفاف، فجاءت فى أسلوب جميل شفاف.

إن شـاعرنا الرومانسى لجأ إلى المرأة واتخذها مـلاذاً ومهرباً من قسوة وهجير الحياة بجمالها وسحرها، عله ينسى أحزان روحه مثلما فعل الشاعر المدلل: اللورد بايرون.

فشاعرنا دائماً كان يشكو الظمأ إلى حنان المرأة وحبها، ويود لو أصبح ملاحاً فى بحار الحب والجمال، ليرتوى بعد ظمأ...إن قصيدة (ظمآن) التى كتبها وهو لم يتجاوز السادسة

والعشرين من عمره تفصح عن نفسية محبة عاشقة للحسن والجمال يقول فيها: (١)

أجل ظمــآن يا ليلى ومــاء الحب فى نـهـرك
خـذينى فى ذراعـيك وضـمـينى إلى صـدرك
دعـينى أشـرب النور الذى ينسـاب من شـعـرك
وروى لهـفــة الظمــآن بالقــبلة من ثـغــرك
هـبى لى ليلة أثمل يا ليــلاى من خـمــرك
تقـولين: جـمعت السـحـر يا ظمـآن فى شعـرك
وأنت قصيدتى الكبرى وهذا الشعر من سحرك
أيا ليلى رأيت القلب لا يســأم من ذكــرك
خـيــال أنت فـى فكرى فــهــلا جلت فى فكرك
كــأنى راهب الفــتنة يسـتـشـهـد فى ديرك
وقـــد يشــرك بالله، وبالفـــتنة لا يشــرك
على أنى عــرفت اللّه لكن حــرت فى أمــرك
أجل ظمــآن يا ليلى ومــاء الحب فى نـهـرك

★★★

ومن قصـائد الغزل الحسى قصـيدة (ليلة الوداع) وهى تفصح عن مدى ولهه بجمال المرأة وفتنتها، يقول فيها: (٢)

أســـــرعى الآن أســـــرعى
فـــــات وقت التـــــمـنع
لـم تعـــد غــيـــر ليلة

---

(١) أبوللو / يناير ١٩٣٤م /ص: ٣٩٨.
(٢) ليالى الهرم / ١٩٥٧م.

من غــــرام مـــــودع
كـنـت بـشــــرى وجـنـتـى
ومـــنـــراحـى ومــــرتـعـى
كـم عـلـى صــــدرك الحـنـون
تـوســـدت مـــضـــجـعـى
وعلـى ثـغــــرك الحــبـيـب
تـخـــيــرت مـــوضـــعـى
وحـــوالـى فــــرحـــتـى
وحـــــــوالـيـك أذرعـــى

ويصـور فلسفته فى الغزل، وأبيقوريته المنتشية المبتهجة بالحياة، فيرد على منتقديه بقوله: (١)

ومـــادروا أن الهـــوى رحـلـة
فـى زورق الـلـه إلـى الشـــاطـئ
إلـى جـنـان الـلّـه فـى أرضـــه
إلـى جـنـاهـا الـعـــاطـر الـدافـئ
إلـى صـــلاة فـى مـحـــاريـبــهـا
وخـلـوة فـى ديـرهـا الـهـــادئ
إلـى صـــيـام عن جـمـــال الدنـا
إلاك فـى عـش الـهـوى الـهـانـئ

إن شعر الغزل الحسى عند صالح جودت شعر صادق أصيل، لأنه كان وليد تجربة شعورية صادقة امتزجت فيها الأفكار بالعاطفة، وخرجت إلى العاطفة الإنسانية الرحبة وقد

(١) حكاية قلب/ ص : ١٢.

صور لنا مشاعره وأحاسيسه وعواطفه بحرارة وصدق مما أضاف ثروة لشعر العاطفة والوجدان في أدبنا العربى المعاصر.

وصالح جودت عاشق معتز بكرامته وكبريائه مهما أخذته نشوة الحب لايقبل الذلة أو الهوان، ففى هذه الحالة يضع كرامته فوق حبه وهواه :

نزل الستار على الروايه
وتبدلت تلك الحكايه
طلع الصباح بنوره
فرفعت للعصيان رايه
لاتسأليني من هواى الآن
.. مالك في هوايه؟
يكفيك أنك لست أنت
.. ولم تعد لى فيك غايه
فلكل عاطفة مدى
ولكل عاصفة نهايه

★★★

يا من جعلت الحب تسليه
.. لقلبك، أو هوايه
إني استشرت العمر فيك
.. فقال لى عمرى : كفايه
لا تسأليني أن أعود
.. فأين أرضك من سمايه؟

شاعر النيل والنخيل

من أبرزملامح شخصية شاعرنا وطنيته وحبه لمصر منذ مطالع شبابه المبكر ..

وقد جمع فى شعره الحب والوطنية فى مزاج جميل فهو يعد «شاعر الحب والحرية».

وقد سار شاعرنا يجمع بين الاتجاه الذاتى العاطفى والاتجاه الوطنى القومى.

وقد أبدع شاعرنا الكثير من القصائد القومية عبر فيها عن الأحداث الوطنية والقومية فى تعبير فنى عميق لايعتمد على صخب الألفاظ وضجيج الكلمات بل يعبر فى موضوعية وعمق عن تلك الموضوعات فى شعر مهموس رقيق.

وقد عبر صالح جودت فى العديد من كتاباته وشعره عن مشاعره الوطنية الجارفة وحبه الغلاب لمصر واعتبرها أمه بل أعز من أمه (١) .

«كنت - ككل إنسان - أحب أمى ..

وكنت - ككل إنسان - اعتقد أن أمى هى خير الأمهات على الأرض، وأن حياتها كانت قصة نادرة من البطولة والتضحية والايثار لانظير لها فى قصص الأمهات ..

وعندما احتفلنا فى مصر لأول مرة بعيد الأم، كانت أمى فى ذمة الله.

---

(١) مجلة حواء : ١٦ مارس ١٩٦٦.

ووضعت رأسى بين يدى أفكر بشعور المحرومين من حنان الأمومة فى عيد الأم.

كل ذى أم قد أعد اليوم هدية لأمه ..

وأنا وأمثالى .. ماذا نقدم؟ ولمن؟

وبمجرد المصادفة .. وقع نظرى على خريطة للعالم معلقة على الحائط، مواجهة لمكتبى . ووجدت بصرى يتركز على نقطة خضراء من هذه الخريطة، هى مصر.

وجعلت أردد اسمها : مصر .. مصر .. مصر ..

وحلا لى هذا النداء .

وأحسست أننى لست يتيما ..

وأن أمى لاتزال على قيد الحياة.. وستبقى على قيد الحياة.. إلى الأبد بإذن الله.

إن أمى الخالدة هى مصر ..

ولشاعرنا مواقف مشرفة فى مواجهة الفساد والطغيان والإنجليز فى فترة ما قبل ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م.

نشر قصيدة بعنوان «أخرجوا من بلادنا» قبيل ثورة ١٩٥٢م، وهى صرخة قوية فى وجه الاستعمار ليرحل عن مصر وإلا سقيناه كئوس الصاب والعلقم والهلاك:

أخرجوا من قناتنا فهى منا
وإلينا وبالجلاء تحل

إن رضيتم به خرجتم كراما
أو أبيتم فثم روع وويل
أخرجوا من بلادنا واتركونا
واحملوا جندكم من النيل واجلوا

وفى شعره القومى حين يتحدث عن مصر يتحدث من خلال مواطن الحسن والجمال فى ربوعها، فهو حب عاشق مفتون بكل بقعة من بقاعها والاشادة بفتنتها وسحرها الأخاذ، فهو يعد بحق «قيثارة مصر» التى تعزف لنا أنبل قصائد الوطنية والانتماء لمصر .

فى قصيدة «ليالى الهرم» تتجلى خصائص شاعر الحب والحرية بأجلى صورها وأدقها .

فهو هنا يرسم لوحة شعرية جميلة لبقعة من أجمل بقاع مصر تجمع بين حضارة الماضى التليد وعبقها وعطورها، ومن بعيد تظهر مصر الحاضر بكل ما فيها من حضارة وتقدم، إنه هنا يرسم صورة حية لنجوى عاشق رومانسى لمحبوبته فى ظلال الهرم، ويستعيد معها أمجاد مصر التليدة وعظمتها الغابرة (١).

يا حبيبى نامت الشمس وراء الهرم
وتهادى القمر النشوان بين الظلم

---

(١) صالح جودت / ديوان ليالى الهرم/ ١٩٥٧م.

ملكا يختال تيها فوق عرش الأنجم
وينادى كل لهفان إلى الحب ظمي

★★★

ها هنا مهد أبى الهول هنا
كاتم الأسرار من عهد منا
هيأ الأحلام والنجوى لنا
عبقرى الصمت منذ القدم
فتمتع بليالى الهرم

ثم يحدث محبوبته فى ظلال أبى الهول بأمجاد مصر وحضارتها الغابرة وكيف كانت مصر على مر العصور والأجيال مقبرة للغزاة :

يا حبيبى هذه الربوة لغز العالمين
رقية من سحر فرعون لصد الفاتحين
أين قمبيز وأنطونيو وركب الواهمين؟
أين نابليون؟ هل ردته مرفوع الجبين؟

★★★

هذه القمة أم القمم
كم طوت ثورتها من أمم
وشدا النيل بحلو النغم

زالت الأعـــــلام إلا علـمى
فـتـمـتع بليـالى الهـرم

ثم يحدث محبوبته عن سحر مصر وجمالها فى صورة شعرية بديعة، نلمس فيها نظرة العاشق المفتون بمواطن الفتنة والجمال فى وطنه ومرابع السحر والخيال فى ليالى القاهرة:

يا حبيبى هذه أمجاد مصر الساحره
كل روح خطرت فـوق رباها شـاعـره
قف على الربوة فى ضوء النجوم الساهره
وتأمل فـتنة النيل وسـحـر القـاهره

★ ★ ★

وسنى البدر على الوادى يميل
والها يلعب فى شعر النخيل
راقصا فى مسرح الموج الجميل
بشـعـاع شـاعـرى ملهم
فـتـمـتع بليـالى الهـرم

إن قصيدة «ليالى الهرم» تعبر عن اتجاهات صالح جودت الفنية والوجدانية والروحية أصدق تمثيل وأعمقه، وهى تمثل اتجاهه الفنى فى الجمع بين الحب والوطنية والغزل فى عبادة الحسن وعبادة الوطن، وهذا ما دعانى إلى تسميته «شاعر ليالى الهرم» و «شاعر النيل والنخيل» و«قيثارة مصر» الخالدة.

وقد صدرت لشاعرنا ستة دواوين شعرية تمثل التطور الروحي والوجداني والفني لشاعرنا أروع تمثيل وأصدقه.

في صدر شبابه كان شاعرا رومانسيا مجنحا وقد سيطرت عليه فورة الشباب وروح التساؤل والشك والحيرة والتمرد، ثم روح الحزن والكآبة والتبرم بالواقع والقيود والأغلال التي تحد من جموحه وانطلاقاته.

ثم انطلق شاعرنا انطلاقة خلاقة وحطم قيوده وأغلاله واندفع ينهل من مفاتن الحياة أجمل ما فيها، ويغني لها أجمل أغاريده وأعذبها وفتح قلبه للحياة والنور والحب..

وشعر صالح جودت منذ محاولاته الأولى كان شعرا غنائيا وجدانيا رقيقا، سواء كان الوجدان ذاتيا أم جماعيا أم قوميا، وقد عكس في هذا الشعر أشواق روحه وهمسات وجدانه.

وقد صدر أول ديوان للشاعر عام ١٩٣٤م وهو لم يتجاوز السادسة والعشرين من عمره باسم «ديوان صالح جودت»، ثم صدر له ديوان «ليالي الهرم» عام ١٩٥٧م، وديوان «أغنيات على النيل» عام ١٩٦٢م، وديوان «حكاية قلب» عام ١٩٦٥م، ثم ديوان «ألحان مصرية» عام ١٩٦٨م الذي يجمع بين الشعر العاطفي والشعر الوطني، وأخيرا ديوان «الله والنيل والحب» عام ١٩٧٥م.

تلك هى دواوين شاعرنا التى تمثل تطوره الروحى والفنى أصدق تمثيل وأعمقه منذ عهد أبوللو حتى رحيله (١٩٣٢-١٩٧٦).

إن صالح جودت فنان أصيل فى إخلاصه وعذوبة أسلوبه ووحدة بنائه الفنى فى شعره والتجديد فى شعر الحب والغزل وطرافة صوره الشعرية.

لقد جدد فى الشعر شكلا ومضمونا فى الألفاظ والمعانى والأخيلة والصور. لقد أبدع لنا أجمل أغاريده وأعذبها فى الحب والغزل ورسم لنا صورا فنية مبدعة رسمتها ريشة فنان صادق أصيل يغنى للحب والجمال والوطنية.

شاعر غنائى حسى لعوب

يقول الدكتور محمد مندور عن صالح جودت : (١)

«صالح جودت شاعر غنائى حسى لعوب».

«ولعلنا نستطيع أن نميز هذه الخصائص بسهولة فى الجزء الخاص بالعاطفة فى ديوانه «ليالى الهرم» الذى يمثل مرحلة نضجه، فهو يضم ما قال من شعر منذ سنة ١٩٣٢م حتى ١٩٥٨م، بينما ديوانه الأول لايضم إلا ما قال من شعر قبل العشرين من عمره، وإن يكن ذلك الديوان الأول قد أثار زوبعة عنيفة من النقد الذى قام به المحافظون من رجال

(١) د. محمد مندور : الشعر المصرى بعد شوقى.

الأزهر الشريف بسبب قصيدة «الراهب المتمرد» والذى صور فيها راهبا يتمرد على الدين جريا وراء لذات الحس، وهذا التيار أصيل فى طبيعة صالح جودت الذى لا يحجم فى ديوانه ليالى الهرم عن أن ينظم قصيدة باسم «دين جديد» هو دين الحب المعربد، وفيها يقص قصة عابثة من نوع قصص عمر بن أبى ربيعة فى الحجاز وحول مناسكه.

وصالح جودت يحدثنا فى استخفاف شعرى كيف طارد فتاة من أرز لبنان ذاهبة إلى الكنيسة حيث نحاها ركنا من الدير هادئا ليقبلها فيه. .

وغانية من أرز لبنان غضة
صليبية الأهواء ليس تلين

ولقد يقول البعض إن فى هذا الشعر مجونا وعبثا بالمقدسات، ولكننا فى الحق لانراه يتجاوز فى المجون الكثير من قصائد الغزل التى يقص بها الشعر العربى القديم منذ امرىء القيس صاحب:

إذا ما بكى من خلفها التفتت له
بشق وتحتى شقها لم يحول

حتى عمر بن أبى ربيعة الذى كان يترصد الحسان فى مناسك الحج، ولايتورع عن أن يشبب تشبيبا سافرا بشريفات المسلمات.

نحن لانحس بعد ذلك فى مجون صالح جودت فجورا..

بل نحس خفة ودعابة ينطبق عليها ما وصف به نفسه عندما اختتم مقدمته لديوان «ليالى الهرم» بقوله: وأحس أن الروح المصرية هى أخص خصائص هذا الشاعر الذى حدثتك عنه» أى صالح جودت نفسه.

وإن تكن الحسية طاغية على ما يسميه صالح جودت فى ديوانه شعر العاطفة، وهذه الحسية قد تصيب شعره بالسطحية أحيانا ولكنها لاتفقده قط تلك الأناقة الأصيلة فى شعر صالح، وفى شخصه على السواء كما أن روحه الخفيفة المرحة ودعابته المجنحة تخفف من تلك الحسية فلا نرى فيها فجورا ولاتهالكا، حتى عندما يوغل فى تلك الحسية مثل قصيدته عن رقصة السامبا:

ودقت نغمة الجازبند ايذانا بما تملي
وهل تملى سوى الرغبة فى ثورتها تغلي
كجزء ين حبيبين قد ارتدا إلى الكل

ثم يقول مندور عن صالح جودت:

«أما أنه شاعر عابث لعوب يشف عن روح الصالونات المصرية، وما يجرى فيها من دعابات غزلية عابثة فباستطاعتنا أن نجد لذلك أكثر من شاهد فى ديوانه «ليالى الهرم» مثل قصيدته «ما اسمك»:

ما اسمك بين الأسامى يافتنتى يـا غـرامي
إن قلت أم لم تقـولى فاسمك أحلى الأسامي»

★ ★ ★

ويتناول د. فوزى عطوى موقع غزل صالح جودت من التشبيب والنسيب فيرى أنه عالج الغزل الروحانى والغزل الحسى المادى، وتساءل في دراسته : هل عمد صالح جودت إلى النسيب والتشبيب معا، بصورة متكافئة متوازية، أم حابى أحدهما على حساب الآخر؟

وهل نظر الشاعر، أيا كان اتجاهه الحسى أو الروحانى، إلى المرأة – الأنثى، أم المرأة – الإنسانة؟

ثم هل أرضى صالح جودت عاطفة الشاعر ومعاناته وشكاواه التى لاتبرأ من التذلل والتوجع؟

أم أرضى كرامة الرجل، كأنما وجد نفسه فى الخيار بين عاطفة الشاعر، وكرامة الرجل.

يجيب د. فوزى عطوى عن هذه الأسئلة : (١)

«لعل الإجابة الأولى السريعة عن مجمل هذه الاسئلة والتساؤلات، أن مواقف صالح جودت من قضايا القلب والوجدان، وأحاديثه إلى المرأة أو عنها، نسيبا أو تشبيباً،

(١) د. فوزى عطوى/ صالح جودت الشاعر والإنسان- دار الفكر بيروت ١٩٨٧/ص٠ ٣٥.

كانت كلها من التشابك والتعقيد حيناً، ومن التناقض والتباين حينا آخر، بحيث يغدو من الصعوبة بمكان كبير تحديد اتجاه وجدانى من اتجاهات الشاعر، دون ظلم اتجاه آخر له، أو ايضاح موقف معين له من مواقفه تجاه المرأة عموما، دون الافتئات على موقع آخر.

فالواقع أن صالح جودت، وهو الشاعر الذى عرف بالغزل وعرف الغزل به، فى مرحلة من مراحل أدبنا الحديث، عالج الغزل الروحانى والغزل الحسى المادى، وتوسل الغزل أحيانا فى مطالع قصائده، كما كان يفعل الجاهليون، واتخذه، فى بعض الظروف، رمزا لشعب، كما هو الحال فى حديثه عن «ليلى العراق» و«ليلى دمشق» فلا غرابة أن نستنتج استنتاجا منطقيا بأن صالح جودت كان شاعرا عذريا، وحضريا بالمفهوم الكلاسيكي للشعر الغزلى العذرى والشعر الغزلى الحضرى، فضلا عن كونه نظر إلى المرأة ككائن لطيف من هذه الكائنات التى تسبغ على الوجود جمالا ورقة وهدوءا، كما نظر إليها ككائن يثير العواصف أنى اتجه، وكان فى كل الأحوال قادرا على أن يواجهها وهو يرتدى «فروة الحملان» الوادعة، المسالمة، أو على أن يجابهها بالخوافى والقوادم وهو فى مثل شموخ البزاة والنسور، بل فى مثل إبائها وعنفوانها،

كأنى به آمن أن معاملة المرأة هى أفسح المجالات لتجسيد المثال الأثير :

«إن لكل حادث حديثاً، وإن لكل مقام مقالا».

وبعد هذا، بل فوق هذا كله، كان صالح جودت يهرب من عالم الرومانسية الخيالية الحالمة، ومن عالم الرمزية التصويرية والفكرية معا، إلى عالم الواقع الاجتماعى الملموس، فلا يداور المرأة ولا يناور حولها، بل يحدثه بلغة تقريرية مباشرة، كاشفاً عن براءة لا يتحلى بها غير الشجعان، من كل عقدة نفسية أو جنسية. ولهذا فهو يبدأ منذ مطالع التكوين الوجودى، فلا يرى سببا للوم اللائمين له، ولاسيما إن أتاه اللوم من المرأة حين يكشف عن أفكاره الجريئة، ويدعو المرأة دعوة حسية إلى عالم المتعة واللذة، فكيان الإنسان مجبول بهما، منذ أن عصر آدم وحواء عصير «التفاحة المحرمة» فى عروق نسلهما:

لا تلومينى لأفكارى الجريئه
أول القصة فى الأرض الخطيئه
لا أبونا آدم عف، ولا
أمنا كانت من الذنب بريئه
عصرا فى دمنا تفاحة
ما لنا فيما تغذيه مشيئه

هـــى فـــى كـــل ذهـــاب نـــغـــم
ولهـــا ترنيـــمـــة فـى كل جـيـئــه

وهكذا يجد الشاعر مبررا لانغماسه فى اللذائذ، ولدعواته إلى نهل المتع وارتشاف أسباب الصبوات، فآدم أول الأنبياء قد استغنى باللذة عن جنان الخلد المليئة بالهناءات. وهو، بعد هذا، يعتبرها أصل الكون، وأغنية الأجيال، عبر العصور ، وما سر استمرار البقاء الإنسانى على صفحة الأرض سوى سر التعلق بهذه اللذة التى يشوهها الجاهلون فيسبغون عليها صفات بذيئة دنيئة، رغم كونها ضمانة نشأتهم، وضمانة البقاء لأبناء البشر، ماداموا يتحابون، ويتوالدون :

وحول النظرة الوجودية إلى المرأة يقول فوزى عطوى (١)

« وعلى ضوء هذه النظرية الوجودية إلى علاقة الرجل بالمرأة، أو على الدقة والتحديد، علاقة الذكر بالانثى، نستطيع أن نفهم الجو العام الذى أشاعه صالح جودت فى قصيدته الشهيرة «غجرية» ومطلعها :

هـاتى فنونك خلصـــا ، ودعى
لـغـــــة الـرقـى والـرمـل والـودع

فهو لايؤمن بالحظوظ، وقراءة الأكف، والتنبوء بالمستقبل، ذلك أن حكاية التنجيم والتبصير لاتهزه، سواء وقعت أو لم

(١) المرجع السابق (ص٣٥٢).

تقع، وهو يأخذ دنياه أخذا واقعيا وجوديا، لايقيده أمل، ولايحطمه يأس، ولا يقلقه غيب ممزوج بالدمع والسقم، ولهذا، فأنت تراه لايتعجل الدنيا ومفاجآتها، وإنما يكتفى بالتشوق إلى أن يحين الزمان الملائم، وإلا كانت حاله كمثل حال من اقتنى الغرس وخلعه قبل أوان النضوج :

أنا آخذ الدنيا، كما قدمت
فى غير ما يأس ولا طمع
وأحب أيامي، وإن كشفت
أحداثها عن ألف مصطرع
مالى وللمجهول أعرفه
فأعيش باقى العمر فى هلع
لابد من دمع ومن سقم
ودوائر ممرورة الجرع
لم أعرف الآتى وحلكته
إن كان نجمى غير ملتمع؟
ولم التعجل فى مفاجأة
حسناء لم تنضج ولم تذع؟
إن التشوق وحده أمل
كالبكر فى أحلام مفترع
ومن اقتنى غرسا ليخلعه
قبل الأوان، جنى ولم يبع

وإذا كانت هذه الأبيات التى قدم بها لقصيدة «غجرية» قادرة على أن تتبوأ مكانة بارزة فى فلسفة صالح جودت ونظرته إلى الوجود، إن صح أن لكل شاعر بل لكل إنسان فلسفته الخاصة، ففى ظنى أنه لم يسبق لى، قبل قراءة قصيدة «غجرية»، أن أحسست بهذا الانسياب الشعرى المترف الميسور الذى لايحس به أحد كما يحس به أولئك الموهوبون الذين أنعم الله عليهم بآلاء الشعر ونعمه، ولم أقرأ، من قبل، وصفا متراقصا، متمايلا، ملهوفا، وبالغ الدقة فى آن، كوصف صالح جودت لحركات بنات الغجر اللواتى يمتهن الرقص، والاثارة، والفتنة المجنونة البلقاء.

يقول صالح جودت، مشيرا إلى الحلقة التى تضعها الغجريات فى أنوفهن، واسمها «الخزام»، وإلى الاكراميات النقدية التى يرمى بها إليهن الساهرون واسمها «البياض» فى لغة «الغجر»، متوسلا هنا أيضا الاسقاط الدينى القرآنى:

يا زهرة برية نبتت
فى قفر واد غير منزرع
هاتى فنونك فى أصالتها
غجرية همجية البدع
لمى «الخزام» وأطلعى شفة
مشبوبة، محبوبة الدلع

وعن الحب المستحيل عند صالح جودت يقول د.فوزى :

«ولقد يطول بنا حديث الشعر العاطفي الوجدانى الغنائى، فى دواوين صالح جودت وقصائده المتناثرات على صفحات الصحف والمجلات العربية، لو أحببنا أن نمضى بعد فى الحديث عن ذلك اللون المترف من الشعر الذى استطيع أن اسميه لك، أن شئت «شعر الدلع العاطفى، كما هى حال بعض قصائد «الله والنيل والحب» مثل : «السنة المكسورة» التى أهداها إلى الشاعرة الجميلة «ك» وهى الأديبة السورية كوليت خورى وقد أوحت بها إليه سنها المكسورة النائمة بين صفين من اللؤلؤ، و«تسورى» «أى تصورى» و«على النيل» أو بعض قصائد، «ألحان مصرية» ، مثل «صغيرتى»، و«مينيون»(١) أو تلك المترجمات العاطفية الشعرية .

غير أننا نقف عند ظاهرة «الحب المستحيل» الذى كان يداعب خيال صالح جودت، فلا يراه فى الواقع، ولا يلبث، بعدئذ، أن يهرع إلى عالم الخيال، يستحضر تلك المرأة المثالية التى لم تخلق بعد .

(١) والعنوان تعريب لفظى للكلمة الفرنسية mignonne وهى المرأة الحلوة قليلة الجسد، ويرى الشاعر مرادفا لها باللهجة المصرية هو لفظ «قطقوطة».

من خيالى فيك أحببت خيالى
وتأسيت على مر الليالى

ذلك أن الخيال يفيد الشاعر كلما أطلقه الحبيب، وهو يفك عقال الحبيب إن قيده حبيبه، وهو فى اللقاء يزجي التهنئات، وأما فى الجفاء، فما أسرع ما يرق لحاله، إن الخيال أحنى فى صبوته من الحبيب، وهو أوفى منه وأدنى نوالا، فإذا طافت بالحبيب أنشودة حلوة الايقاع، ناداها : أن تعالى إلى. ولهذا، فقد بات الشاعر يحب الخيال والحبيب معا. إنه يحب فى الخيال ما يرسمه للحبيب فى خاطره من حلو المجالى فهو مثال بارع، حتى ليبيت حسن من يحبه الشاعر صورة هيأها له روح الخيال الفنان، ولكن الخيال أرحب مدى فى المكرمات:

أنت منان إذا واصلتني
وهو لايعرف منا فى الوصال
أنت مناع الهوي، لكنه
كلما ساءلته لبى سؤالي

ويمضى الشاعر فى امتداح الخيال الذى لايعرف، كالحبيب، سبيلاً إلى القلق والغيرة والذى يتربع على القنن ذات الجلال، بينما يتيه الحبيب فى الأرض وأهوائها :

أنت بدري، وهو الشمس التي
ملأت روحك من نور الجمال
فإذا ما حجبت أضواءها
فهلال أنت، أو دون الهلال

ثم إن الشاعر ينسجم مع هذه النظرة التى ترى للخيال ميزة بل ميزات يفضل بها المرأة الواقع، فيرنو إلى «الحب المستحيل» أى إلى عالم المرأة المثال، ويروح يعزف ألحانه اليائسة تحت نافذة «سيراناده» المرأة التى لم تخلق بعد، فإذا هى امرأة فى الخيال، يراها الشاعر، جنانا، ولا يراها عيانا، وإذن فهو يرى المثال الذى لم يتجسد فى الواقع الملموس، لا بل يصر على رغبته فى رؤية المثال من دون الواقع، فلو حقق الواقع له «ليلة القدر» ذاتها، لرفض ذلك الواقع المحال حتى ولو تحقق.

وتبلغ «الأنانية» التى يكابر فينفيها عن نفسه وعن عاطفته الجامحة، مبلغها حين يصف الشاعر لنا أمنيته وغايته من حب المرأة المثال :

مناى أن تحيا بفكري، ولا
تخطر فى الدنيا لغيرى ببال

ومـــــــــا أنانــي أنـا .. إنمـا
أخـشى عليـهـا من قلوب الرجـال
وهـى التى صــــورها شـــاعــر
مــبـتكر أبدع فـيــهـا الجـمـال
من عنصـر الوهـم اجتلى رسـمها
والوهم فى الدنيــا أعــز اللآل

ولكن الغريب فى أمر الشاعر أن يعترف بأنه كان هو الفنان الذى صاغ تلك المرأة الخيالية المثالية، ثم أمسى وهو عبد لما صاغه بيديه وكأنه هنا يكرر أسطورة «بيجماليون» :

كناحـت «العـــزي» إذا مــا رمي
مــــعـــوله، ذل لذات الجـــلال
وســار فـى الناس بأوصـافــهــا
حـتى أحـبـوها بغـيـر اعـتـدال

ولكن الناس بحثوا، كما بحث الشاعر فى الأرض عن مقام تلك الحبيبة المستحيلة فكانوا وكان كمن يرجمون فى الغيب، ويبدو أنهم سيظلون يبحثون عنها طويلا بغير جدوى.

ويتناول د. فوزى قصيدة «قالت سها» التى وجهها إلى زوجته فمهما عشق ستظل هى الحبيبة الوحيدة، فيقول:

«ولعل أطرف قصائد صالح جودت العاطفية، تلك القصيدة اليتيمة التى ذكر فيها زوجته «سها عبدالحميد الصحن» وبرر لها فيها - أو قل حاول أن يبرر - زئبقيته فى الهوى، وتقلب قلبه بين ألوان الحسان اللائى لايدرى إلى أيتهين يصبو، فهن ما بين ضامرة يحتويها بكفه، وفارعة يصبو لقامتها الهيفاء، وسمراء لها وقع فى القلب، وشقراء لها وثب فى النفس، وعاقلة تتجلى فيها الفتن الرواسى، وماجنة مهذارة لعوب، وساذجة تضوع منها البراءة، وماكرة لها دلع ولوب، وقاسية يستهويه ما فيها من روح التحدى، وناعمة مستلذة مستحبة، وهو بينهن جميعا:

يثير جمالهن شجون نفسي
كأن جمالهن على ذنب

ويكرر الشاعر وصف الشانئين له واتهاماتاتهم لقلبه الزئبقى :

وقال الشانئون: فتى لعوب
نوازع قلبه لاتستتب
أحاديث الغرام عليه تترى
وهاتفه المجلجل يشرئب

ويعـبث فى مـلاعـبـه كطفل
يظل إلى صـدور الغـيـد يحـبـو

ويتهمه الشانئون، فوق هذا، بأنه يهيم بامرأة جميلة، فإذا لاحت امرأة أخرى لحق بها، ثم إذا لاحت ثالثة، كبا دونها، وما إن تبدو له امرأة رابعة حتى يخدعها بعهد زائف لايدرى إن كان يبرمه أم يقطعه :

ولا تـصـل الحكاية منتـهـاهـا
ألا تبت حكايتـهـم وتبـوا

ولا يحاول الشاعر فى أية لحظة تكذيب هذه «الرواية» التى يقـولها «الشـانئـون» لأنه يعلم يقـينا أن أصـحـاب الرواية صـادقون، وليسوا شانئين، كما يتهمهم، لا بل نراه يعمد صراحة إلى تبرير تنقله من فنن إلى فنن ومن زهرة إلى زهرة فى روضة الحب الزئبقى :

أنا، إن أغـر أحـلام الصـبـايا
بما أغـري، فليس على عـتب
أترجـمـهـن للأيام شـعـرا
تضـوع بنشـره صـحـف وكـتب
وأمنحـهن من شـعـرى خلودا
كـأنى بالخلـود لـهن رب..

وإذا صح قول القائل قديما : «إن أعذب الشعر أكذبه» فما أعذب ما يترجمه هذا التبرير من كذب أبلق. إن أيسر سبل الاقناع لدى الشاعر، اسماع المرأة ثناء تحب أن تسمعه . ألم يقل أحمد شوقى :

خدعوها بقولهم حسناء
والغوانى يغرهن الثناء

والمهم، بعد كل هذه الرواية، أن سؤالا فاجأ الشاعر على ما يبدو، إذ قالت له زوجته «سها» : «أتحب غيرى؟» فأجابها، رغم «المفاجأة» : «وحقك لا أحب» معلنا لها أنه اتخذها، دون النساء الأخريات، هوى مقيماً، له «بيت وناصية ودرب» وأنه باعها عشرته ووهبها اسمه، وهو مهما يرتحل، فإن له إليها أوبة ورجعى :

ولكن الخيال يعز إن لم
يحرك شجوه بعد وقرب
يعربد فى تبذله، فيحلو
ويقبع فى تبتله فينبو

ثم يتساءل ويسأل : كيف يسوغ له أن يرد طرفه، وما هو بأعمى، أو كيف يكون له أن يرد قلبه، وما هو بالحجر الصلد، ثم هل يرضى زوجته أن يجفو خياله، وأن يشهد لهفته والنار تخبو من حوله؟ ويلقى أمامها بعد دفاعه الأخير :

وأما الأخريات ، فهن كأسى
من الإلهام، أشربها وحسب
وهن منابعى فى الشعر، لكن
إليك المنتهي، وهنا المصب

ثم يخلص الناقد «فوزى عطوى» إلى أن صالح جودت كان صدقا وحقا «شاعر الحب» فيقول :

«ومهما تعددت مناهج صالح جودت واتجاهاته في الحب، ثم مهما تباينت أساليبه المتأرجحة ما بين رومانسية وواقعية ورمزية، والمتوسلة إلى قلوب الغوانى طرق النسيب أوالتشبيب، فثمة أمر لاريب فيه، وهو أن الحب كان ممتزجا بأنفاس صالح جودت، وكان غذاءه الروحانى، بل أكاد أجزم بأنه كان أيضا غذاؤه الجسدى، لقد كان صالح يأخذ الدنيا كما تجيء إليه، ويتقبل الحب وصالا وصدودا سواء بسواء، وكان أشد ما يضنيه أن يجد نفسه ذات يوم، وهو ذو قلب خلى من الهم والقلق، أو من السعادة والفرح، فتراه يقول فى قصيدته «حب من السماء» :

من لامني، إما شكوت الهوي
فليس يدرى لذة الشكوى
أول من أرثى لحرمانه

من لم يذق همـا ولاشـجـوا

بليت بالحب وأوصـابه

ومـا ألذ الحب من بلوي

هل آدم أشـقى بحـوائه

أم آدم أشـقى بلاحـوا

ويخلص د. فوزى عطوى إلى أن صالح جودت، كما وصف نفسه في غير مقام، راهبا يتعبد فى أديرة الهوى الغلاب، يستخفه الجمال أنى تلفت، ويغزو الحب قلبه أيان أقام، فيرسم بالجمال لوحات من الفن العبقرى الخالد، ويغنى بالحب أرق أغنيات النجاوى بين قلوب الوالهين .

وإذا شئنا أن نبحث عن فلسفة للحب عند صالح جودت وجدناه قيثارة للحب والغزل يغرد كما غرد الشعراء العشاق الوالهين، الراكضين خلف بدائع الحسن، وألوان الجمال، فتراوحت انفعالاته العاطفية، وتباينت مواقفه، لأنه شاعر الغزل الطروب والحزين معا، الذى يعزف لنا الشعر والتغريد ويعرف الشجو والدموع فى الوقت نفسه، لأنه شاعر الوجدان الذى يعبر عن أفراح قلبه، وأحزان روحه بصدق وتلقائية، فأصبح بحق قيثارة للحب لكل ألوانه وأطيافه.

الفصل الثالث :

رحلته مع الشعر

لاتقولوا : «شاعر مات»،
وما قيمة الشاعر فى عصر الفضاء؟
قيمة الشاعر فى أمته
أنه يفتح أبواب السماء
إنه يزرع ألوان المنى
إنه يبدع ألحان الغناء
إنه يجعل للعمر شذى
إنه يمنح للروح الضياء
إنه يعزف موسيقى النهى
إنه ينشر فى الأرض الصفاء

صالح جودت

منذ عام ١٩٧٤ بدأ المرض يثقل على صالح جودت الشاعر الطروب المحب للحياة ، وكان غالبا يضيق بأوامر الأطباء وتعليماتهم ، وسافر إلى مستشفيات لندن فى أواخر عام ١٩٧٥ ، وظل يعانى من المرض العضال الذى هد قواه ، وأرهقه .

ومن أكثر المآسى فى حياته أنه عرف أن نهايته قريبة فى مطالع عام ١٩٧٦ حيث أطلعه الأطباء على حقيقة مرضه وهو فى لندن ، فآثر أن يكون موته على الأرض التى أحبها وعشقها : أرض مصر الخالدة ، وما لبث أن فارق الحياة فى ٢٣ يونيه ١٩٧٦ م عن عمر يناهز الثامنة والستين وترك زوجته تبكيه أحر البكاء لحلو صفاته وطيب شمائله...

★★★

وقد مر صالح جودت فى صدر شبابه بمحنة صحية خطيرة إذ أصيب صدره بمرض عضال وهو لم يتجاوز العقد الثالث من عمره ، ودخل المستشفى للعلاج واستلهم من وحى هذه التجربة المريرة وهو على فراش المرض قصيدة مؤثرة سماها «نحو الآخرة» وتأثر الأصدقاء والمحبون فكتب الأديب الكبير الدكتور زكى مبارك مقالا بمجلة الرسالة تحت عنوان «شاعر ينبغ فوق سرير المرض» قال فيه : (١)

(١) الرسالة : ٢٣ سبتمبر ١٩٤٠.

«مضت سبعة أعوام والأستاذ صالح جودت يحقد على أبشع الحقد لسكوتى عن التنويه بمواهبه الشعرية ، وما هدأ نار الحقد فى صدره إلا عرفانه بأنى لا أخصه بذلك السكوت وإنما هو مبدأ أرتضيته ودرجت عليه ، وذلك المبدأ هو الضن المطلق بتشجيع الناشئين ، لأنى أعتقد أن كل شئ يجوز فيه التشجيع إلا الأدب والبيان ، فالتشجيع هنا مفسدة ولا يقع إلا من «الجماعة» الذين يحتاجون إلى أسندة من الهتاف والتصفيق ، والتحدث عنهم بحق وبغير حق فى الأندية والقهوات والجرائد والمجلات.

وهذا المبدأ هو الذى فرض على جمهور من هذا الجيل أن ينفضوا من حولى ، فما يهمهم أن يذكرونى بالجميل فى مجلة أو جريدة ، لأنهم لا يذكرون أنى طوقت أعناقهم بشئ من التشجيع ، وأنا غير آسف على ما فاتنى من ذلك الحظ الجزيل.

ولو أنى استبحت التفريط فى الحرص على هذا المبدأ مرة واحدة لاستبحته فى معاملة الأستاذ صالح جودت ، وهو صديق لا أذكر أنه قصر فى حفظ العهد إلا باتهامى بالسكوت عن التنويه بمواهبه الشعرية ، وهو اتهام مردود ، لأنى لا أذكر أن أشعاره نقلت قلبى من مكان إلى مكان حتى أجشم نفسى مشقة الدرس لشعره البليغ.

كان صالح جودت يتقاضانى الكلام عن شعره فى كل لقاء، وكنت أجيب بأن ذلك سيكون يوم يظفر بدرجة من درجات الجامعة المصرية ، لأنى أخشى إن شجعته أن ينصرف عن الدرس وينقطع لقرض الشعر ومراسلة الجرائد والمجلات ، فلما سمع صالح جودت نصيحتى وظفر بالدرجة المنشودة جاء يذكرنى بما كنت وعدت ، فهل وفيت بما وعدت؟..

حملنى الزهد فى اجتلاب المودات على وصل السكوت بالسكوت ، كما كنت صنعت فى معاملة صاحب «الجندول».

ثم شاءت الأيام أن أسمع أن صالحاً وقذه المرض فلم يعد بهجة الأندية الأدبية ، ولم يبق رجاء فى التحدث إليه إلا بعد استئذان الطبيب .

فإن كنتم سمعتم أن الشعراء وصفوا الدنيا بالخيانة والغدر والعقوق فاعرفوا أن ذلك الوصف لم يحق على الدنيا إلا لبغيها الأثيم على مثل هذا الشاعر ، وله قلب أطيب وأطهر من قطرات الندى فوق أزهار الربيع.

ومرت ثوان ودقائق وساعات وأيام وليال وأسابيع وأشهر ولم يخرج صالح من سجن المرض ، فما أطول شقائى بمحنتك القاسية ، أيها الصديق .

وعلى حين غفلة أسمع أن الفتى الذى لم يرضنى شعره قد نبغ فجأة فوق سرير المرض ، فهو الذى يقول فى تصوير ما بقى من أوتار هواه فى دنياه:

فليـــرحم الله آمـــالى وأهوائى
إنى قنعت بهـــذا المخـــدع النائى
بقـيـــة العـمـــر أيام تـــدب على
صـــدر تهـدم إلا بعض أشـــلاء
أعيشها ناسكا فى ركن صومعة
قامت على صخرة كالموت صماء
يبدو خيال الأمانى لى فأطرده
حتى كأن الأمانى بعض أعدائى

ثم يصف عزلة المستشفى وأحوال ساكنيه فيقول :

أواه من عـزلة كـالسجن مـغلقـة
على جـــــــراح وآلام وأرزاء
مـا هذه الجثث الملقاة فى سرر
أنصاف موتى على أنصاف أحياء
صفر الوجوه كأن السقم عفرهم
بحفنة من تراب القبر صفراء
للآه فيهم تراتيل منغمة
تنساب من قصبات نصف خرساء

وما لهم من نهار فيه مرحمة
ولا لهم ليلة ليست بليلاء

ثم يلتفت إلى الممرضة الحسناء – ومن تقاليد المستشفيات أن تكون الممرضات صباح الوجوه إلى حد الفتون ليغرسن بذور الأمل والحياة في صدور المكروبين – فيقول :

من يا ممرضتى الحسناء قدر لى
أن ألتقيك بأرض غير حسناء
ماذا أتى بى هنا ؟ ما خطب عافيتى؟
وكيف غال شبابى غائل الداء
قد كان لى موعد فى الصيف مرتقب
على الشواطئ بين «الرمل» والماء
فما لذا الصيف يمضى بى على جبل
جهنمى اللظى فى جوف صحراء
وأنت .. هل عطفك المبقى على رمقى
عطف المحبين أم عطف الأطباء ؟
إن كان ذاك فيا سعدى ويافرحى
أو كان هذا فإنى فى الأذلاء
الحب يشهد أنى يا ممرضتى
ما صدنى عنك إلا فرط إعيائى

أما بعد فهذه الشاعرية ليست صحوة الموت . يا صالح ،

وإنما هى الفجر الصادق ، وسترجع إلينا بعد أيام وأنت فى غاية من عافية البدن والروح.

★★★

وعندما بلغ صالح جودت سن الخمسين كتب مقالا تحت عنوات «اعترافات نصف قرن» استرجع فيه ذكريات الطفولة والصبا والشباب وحكايته مع الشعر والفن والجمال » (*)

«ولدت فى يوم عجيب يوم ١٢ ديسمبر ١٩١٢، أى أننى ، بعد خمسة أشهر فقط ، أكون قد قضيت على ظهر هذا الكوكب نصف قرن من الزمان . وهى مرحلة يجمل بالمرء عندها أن يقف قليلا ، أو طويلاً ، ليحاسب نفسه عما قدمت طوال هذه السنين من خير أو شر وأنا – مع أنى محاسب متخرج فى كلية التجارة – أكره الحساب كراهية شديدة، ولكى أسهل على نفسى إجراء العملية الحسابية التى لابد منها ، لأنها حسبة العمر عمدت إلى أضابيرى أقلبها.

وأول ما وجدت فى أضابيرى ، شهادة الميلاد . وشهادات الميلاد تكون عادة أهدأ وثيقة فى حياة الإنسان . ولكن يبدو أن شهادة ميلادى اقترنت بمشكلة .. فعندما ولدت، كان أبى يعانى سكرات الموت بالمستشفى.

وأرادت أمى أن تسمينى عبد الرحمن ، تيمنا باسم أبيها،

(*) الهلال : أغسطس ١٩٦٢ – الحقيقة أنه من مواليد عام ١٩٠٨ بعد التدقيق والتمحيص (المؤلف).

فكان لها ما أرادت . وفى اليوم السابع من مولدى ، صنع الأطباء معجزة أنقذت أبى من الموت ، وخرج من المستشفى ليثير معركة كبيرة حول الطفل الصغير ، الذى اسمه عبدالرحمن ، والذى يجب أن يكون اسمه «صالح» تيمنا باسم شقيق لأبيه كان لامعا فى دولة الأدب والقانون يومئذ.

كان عمرى – يوم هذه الحكاية – سبعة أيام ، ولا أظن أنه كانت لى أذنان تسمعان أو ذاكرة تعى تفاصيل الخناقة ، ولا الألفاظ الجارحة التى تبودلت بين أبى وأمى يومئذ ، وكل منهما متمسك بقراره ، فى اعتزازهما : هى بأبيها وهو بشقيقه...

ولكن الرجل انتصر فى النهاية ، وصدر إعلام شرعى بتغيير الاسم ، ومات عبد الرحمن وولد صالح جودت.

كان لنا بيت صغير فى مصر الجديدة ، تلفه حديقة لطيفة. وفى طفولتى المبكرة كنت أسمع أبى وهو ساهر فى الحديقة بالليل ، وحوله نفر من أصحابه ، يتلو عليهم كلاما منغما عرفت أنه اسمه : شعر.

وكانت فى البيت مكتبة ثرية ، وكان أبى كلما ضاق صدره يمد يده إلى كتاب منها بالذات ، يطيل النظر فيه.

وعندما تعلمت فك الخط ، مددت يدى إلى هذا الكتاب فعرفت من عنوانه أن اسمه «مقامات الحريرى» وفى السابعة أو الثامنة – وأنا بالمدرسة الابتدائية – بدأت أقرأ مقامات الحريرى.

ثم ظفرت بالشهادة الابتدائية وعمرى عشر سنوات وقد أسكرتنى كلمات ناظر المدرسة أننى أصغر من نال الشهادة الابتدائية ، وكانت نتيجة هذا أننى تعثرت بالسنة الأولى بالمرحلة الثانوية لمدة ثلاث سنوات متصلة حيث كنت أقضى جل وقتى فى مسارح عماد الدين ومسارح روض الفرج.

وفى هذا الجو الساحر المفعم بألوان الفن وسحر الأدب والجمال تشربت روحى النغم وتعرفت على عشرات من النقاد والممثلين والمؤلفين والمطربين والمطربات.

كنت اسهر الليل ولا أعود إلى البيت قبل الثانية صباحاً.

أصبحت فنانا بوهيميا بعد أن اندفعت فى هذا التيار الساحر بلا وعى فأنسانى دراستى ومستقبلى العلمى.

ولكن المعجزة حدثت حينما قرر أبى - وهو يعمل يومئذ مهندساً بالمنصورة - أن ينتزعنى من جو القاهرة، ويلقى بى فى مدرسة المنصورة الثانوية ، لعلى أفلح.

وأفلحت المحاولة فعلا ... ومرة أخرى ... أصبحت أول فصلى كل سنة ، والعبرة التى أحب أن أخرج بها من هذا الاعتراف فى هذه المرحلة ، أننى استطعت أن أستغل الفشل. وأزرع أرضه حبات النجاح فالسنوات الثلاث التى ضيعتها فى جو المسرح هى التى هيأت لى - بعد حقبة طويلة - أن أكتب الأغنية والقصة والمسرحية وأن أمارس صناعة النقد.

والمنصورة أرض طيبة ، تنبت الحب والجمال ، وتثير الشعر والخيال وعلى ضفاف المنصورة ، تعرفت إلى زميلين لى فى المدرسة ، هما الشاعران محمد الهمشرى ومختار الوكيل (مدير الإدارة الاقتصادية بجامعة الدول العربية الآن) كانا ينظمان شعرا جميلاً ، فشاركتهما فيما يصنعان.

وكنا نخرج من المدرسة ، لنلتقى بشاعرين يكبراننا سنا ، هما الدكتور إبراهيم ناجى ، والمهندس على محمود طه ... شاعر الجندول وتحولت الحياة كلها عندى إلى ملحمة شاعرية.. فلم أعد أفكر فى شئ إلا الشعر حتى النثر ... كنت أكرهه.

إلى أن قرأت يوما مقالا فى مجلة أسبوعية معروفة ، بامضاء «أديب محايد» يتهجم فيه كاتبه على أم كلثوم ، وكنت أعشق أم كلثوم من بعيد. وثرت من أجل أم كلثوم . وكتبت مقالا عنيفا أفند مزاعم الأديب المحايد وبعثت به إلى المجلة ، التى نشرته فى مكان حفى ، وبقلم الأديب الكبير الأستاذ صالح جودت كان عمر هذا الأديب الكبير يومئذ ١٤ سنة.

وعندئذ .. أدركت أن الشعر ليس كل شئ ... بل أن للنثر جماله ، وأجمل ما فيه هو لقب «الأديب الكبير».

وأخذت أراسل هذه المجلة ، وأكتب فيها مقالا كل أسبوع، وأظفر بلقب «الأديب الكبير» كل أسبوع.. إلى أن نجحت فى

البكالوريا ، وزحفت إلى القاهرة.

وذهبت لأقابل رئيس تحرير المجلة ، الذى دهش عندما علم أن الشخص الذى خلع عليه لقب الأديب الكبير ، ليس إلا غلاما قادما من المدرسة الثانوية ليلتحق بالجامعة.

وخرجت من عنده مكسور الجناح ... ولكنى رغم هذا واصلت الكتابة ويركبنى الغرور - قاتله الله - مرة أخرى ... وأتصور أننى صعدت إلى السماء ... بحيث لا أستطيع أن أكون تلميذا وأستاذا معا ... تلميذا فى كلية التجارة ، وأستاذا فى مجلس إدارة جمعية أبوللو ، صاحب كرسى إلى جانب كرسى أمير الشعراء أحمد شوقى ، وشاعر القطرين خليل مطران...

وتتكرر المأساة ... مأساة السنة الأولى فى المدرسة الثانوية . تتكرر فى السنة الأولى بكلية التجارة ، وأرسب ثلاث سنوات متتالية ! ويتكرر نفس الشعور .... هل صحيح أننى ضيعت هذه السنوات الثلاث هباء من العمر؟

أحاسب نفسى الآن، فأجد أننى كنت مخطئا حين اعتقدت أنها ذهبت هباء..

أبدا..

لقد تعلمت خلال هذه السنوات الثلاث أشياء كثيرة وكبيرة. وتعلمت كيف أقرأ ... وماذا يجب أن أقرأ فى كل

أدب عالمى، وتعلمت أن القراءة أجمل متع الحياة . وتعلمت أن الأديب الذى يكف عن القراءة يوما واحدا، يصاب فكره بشلل جزئى ... تماما كالشلل الجزئى الذى يصيب ساقى لاعب الكرة إذا كف عن التمرين اليومى، وكالشلل الجزئى الذى يصيب أنامل عازف القانون إذا كف عن العزف اليومى.

أما كيف خرجت من محنة الرسوب المتوالى فقصته تحملنى على الاعتراف بجميل رجل هو الآن فى ذمة الله ، هو المرحوم الدكتور زكى مبارك . أصدر الدكتور زكى مبارك كتابا قيما عنوانه «النثر الفنى فى القرن الرابع» وقررت جمعية أبوللو أن تقيم له فى هذه المناسبة حفلة تكريم بدار سينما كوزمو.

كان ذلك قبل امتحانى بأسبوع واحد .. وتركت دروسى ، وسهرت ليلتين أنظم القصيدة التى سأتلوها فى حفلة التكريم وذهبت إلى الحفلة. وعند الباب ، لقيت المحتفى به ، الدكتور زكى مبارك ، الذى ما كاد نظره يقع على حتى صاح فى وجهى بأعلى صوته أمام ملأ من الناس:

* أنت جاى تعمل ايه هنا؟

* جاى أقول قصيدة.

* أمشى يا ولد ذاكر دروسك .. أنت ناسى ان امتحانك الجمعة الجاية..

ووجمت لحظات أمام هذه الوقاحة - أجل .. لقد سميتها يومئذ وقاحة - وغرقت في بحر من نظرات الناس الراثية حولي ، وعدت إلى البيت وكلي حقد عليه ، وعلى الشعر ، وعلى الأدب.

وانكببت على كتب كلية التجارة، ولم أنم خمسة أيام ، ومر الامتحان ... ونجحت .. وأصررت على أن اترك الأدب إلى أن أنجز دراستي إلى نهايتها .. وهكذا تخرجت، وكنت الأول !

الدرس الذي استفدته من هذه التجربة، أن الطالب يباح له أن تكون له هواية . ولكن لا يجوز له أن يدع هذه الهواية تشغله عن دراسته أبدا ، إلى الحد الذي يهدد بالقضاء على مستقبله العلمي أو المهني.

بعد ذلك التاريخ بعشر سنوات ، فكرت في أن أكون دكتورا في العلوم السياسية والتحقت بالدراسات العليا ، وحصلت على الدبلومين بامتياز ، وكنت أول دفعتي في الماجستير . وأعددت رسالة الدكتوراه عن «الدولة المثالية في القرآن» وإذا بخطاب من الجامعة يقول لي إن الجامعة لا توافق على موضوع الرسالة.

كان ذلك سنة ١٩٥٠ ... في عهد الملك فاروق . والسبب غير مذكور في خطاب الجامعة ، ولكنه معروف . أن الدولة المثالية في القرآن لابد أن تكون هدما للدولة التي يجلس على عرشها فاروق ومزقت الرسالة وتنازلت عن الدكتوراه.

إننى لا أروى قصة حياتى فى هذا المقال ، فما هى بالشئ الذى يهم القارئ . ولكننى أنتزع من هذه القصة اعترافات لم أكتبها قبل اليوم ، لأقدمها للشباب ، لعلها تهديهم فيتجنبوا عثرات الطريق ... عثرات الطفولة .. عثرات الطيش .. عثرات الرسوب ... عثرات الهواية .. عثرات الأدب ... عثرات الفن!»

وحول تجربته مع القلم يكتب صالح جودت حكايته وتجربته فى ميدان الأدب والفن والشعر : (*)

«أضحك كثيرا حينما أذكر تجاربى مع الحياة . أذكر أننى حاولت - فى صباى - أن أكون بطلا رياضيا . ومارست أكثر من لون من ألوان الرياضة ، ككرة القدم ، والتنس ، والتجديف ، وكرة السلة ... و ... و ... ولكنى لم أستطع أن أكون بطلا فى شئ منها ... أبدا ...

وحاولت أن أكون فارسا .... ومرة .... جمح بى الجواد ... وطار بى لمسافة طويلة بسرعة خيل السباق ، وأنا ثابت فوق ظهره ، وصحابى يرمقوننى فى ذهول ... وفجأة وجدت نفسى أمام ترعة واسعة ... وأشفقت أن يستطرد الجواد فى سيره فألقيت بنفسى من فوق ظهره ، وسقطت سقطة فاجعة... وأذهلنى بعد ذلك أن أرى الجواد يتوقف على بعد خطوة منى.

(*) الهلال : مارس ١٩٧٤

أما أنا فقد كسرت ساقي ، وبقيت فى الجبس شهرا كاملاً... وحاولت أن أكون ممثلاً ... وعرض على الممثل الكبير جورج أبيض ، رحمه الله ، أن أقوم معه ببعض مشاهد من الروائع التى اشتهر بها ، مثل لويس الحادى عشر وأوديب وعطيل ، على أن تشترك معنا ابنته سعاد.

وكانت «البروفات» تبشر بالنجاح ولكنى حينما وقفت على المسرح أول ليلة ، أمام الجماهير لم أذكر كلمة واحدة من الدور الذى سأمثله ، وهو دور الأمير نيمور فى مسرحية لويس الحادى عشر ... وأردت أن أستعين على فقدان ذاكرتى بسيجارة ، وأخرجت من جيبى علبة سجاير «لاكى سترايك» .. فصرخ جورج فى وجهى ، وكان من عادته إذا غضب أن يتحول إلى اللهجة اللبنانية : «شو عم بتسوى يا أزعر ... أيام لويس ما كان فيه سجاير لاكى سترايك ..!» وضحك الجمهور، ونزلت الستارة ، وأسرعت إلى الهروب من الباب الخلفى للمسرح ... ولم أعد إليه أبدا.

وحاولت بعد تخرجى فى كلية التجارة، أن أكون محاسبا.. وأنشأت مكتباً للمحاسبة ، ونجحت نجاحاً لم أكن أحلم به... ولكن بعد سنة واحدة ... تغلب حبى للحروف على حبى للأرقام ، وجاء اليوم الذى أصبحت أشعر فيه أن هناك ثعبانا

يطل من كل رقم ... فاعتزلت عالم الحسابات ، وتفرغت لعالم الكلمات .

«بدأت تجربتى مع القلم فى موعد مبكر جداً من العمر .. كان جدى شاعرا ، ينظم الشعر باللغتين الفرنسية والتركية.. وكان أبى هو الآخر شاعراً ، ينظم بالعربية ، وله قصائد كثيرة منشورة فى صحف زمانه.

وهكذا نشأت والشعر فى دمى . وكنت فى طفولتى أرى أبى يجلس وحوله أصحابه كل ليلة فى حديقة بيتنا بمصر الجديدة ، ويقرأ عليهم من الشوقيات ، إذ كان مفتونا بشوقى، وكان يعده سيد القدامى والمحدثين .

وفى هذه السن المبكرة ، أعجبنى جرس الشعر الذى أسمعه كل ليلة ، فحاولت أن أقلده وأنا فى السابعة ، قبل أن أحسن القراءة والكتابة .

وكانت فى البيت مكتبة كبيرة ، بدأت أقلب فيها متفرجا ، ثم متصفحا ، ثم قارئا ، حتى لقد قرأت «مقامات الحريرى» وأنا فى العاشرة . وبهرتنى براعة الصنعة التى فى هذا الكتاب ، وفتحت عينى على ما هو فى جوهر اللغة العربية من جمال . ثم بدأت أقرأ الشوقيات حتى حفظتها جميعا وأنا فى

الثانية عشرة ، وخلبتنى موسيقاها حتى أصبحت - ومازلت حتى اليوم - أومن بأن الشعر هو أول ما يكون موسيقى ... وإن علىّ من ينظم الشعر وهو لا يحسن الموسيقى أن يهجر الشعر إلى النثر . وفى تلك السن ، كنت تلميذا بمدرسة المنصورة الثانوية - إذ كان أبى يعمل مهندسا هناك - وحدث أن جاءت فرقة يوسف وهبى إلى المنصورة ، واستضافته المدرسة هو وفرقته، وقلت قصيدة فى تحية الفنان العظيم .

ويبدو أن القصيدة أعجبت المحتفى به ، فأخذها منى ونشرها فى صحف القاهرة . وفى العام نفسه ، قرأت فى مجلة «الصباح» ... وكانت من أشهر المجلات الأدبية والفنية يومئذ ، وكان من كتابها الدكتور زكى مبارك وصديقنا الدكتور سعيد عبده... أقول قرأت فيها مقالا يتهجم فيه كاتبه على أم كلثوم، فأمسكت بالقلم، وكتبت مقالا طويلا محتدا أدافع فيه عن أم كلثوم ، وبعثت به إلى المجلة ، التى نشرته «بقلم الأستاذ الكبير صالح جودت».. دون أن يدرى صاحبها أن هذا «الاستاذ الكبير» عمره ثمانى عشرة سنة.

ومنذ يومئذ لم أنقطع أسبوعاً واحداً عن مراسلة هذه المجلة ، تارة شعرا وطورا نثرا ، وينشر هذا وذاك جميعاً باسم «الاستاذ الكبير» .. دائماً.

حتى إذا حصلت على الثانوية العامة - وكنا نسميها البكالوريا - وتأهبت لدخول الجامعة ، أحسست أن بى من الجسارة ما يكفل لى أن أذهب لمقابلة صاحب المجلة لأقدم له نفسى لأول مرة.

* وذهبت وسألنى : أين والدك؟

* قلت له : أتعرف والدى؟

* قال : طبعا الاستاذ الكبير صالح جودت.

* قلت له : أنا صالح جودت

وتفرس فى وجهى، فرأى أمامه صبيا فى الثامنة عشرة من عمره ، فاستصغر شأنى ، وأدرك «الخطأ الكبير» الذى وقع فيه خمس سنوات طوال ، وربت كتفى ، ودفعنى برفق إلى الباب.

وكانت عنده لى قصيدة ... وظهرت المجلة بعد ذلك ، فإذا بها هذه العبارة فى باب «رسائل القراء»:

«جاءتنا من الأديب صالح أفندى جودت قصيدة نجتزئ منها هذه الأبيات» .. وبعد ذلك .. ثلاثة أبيات أو أربعة ، من قصيدة طولها ثلاثون بيتا!

وهكذا هبطت من «الاستاذ الكبير» إلى «صالح أفندى» فى غمضة عين ... فأقسمت أن أهجر القلم ، وكرهت الشعر والنثر ، وقررت أن ألتحق بكلية التجارة ، بعد أن كانت

وجهتى كلية الآداب.

ولم تمض أسابيع . حتى تلقيت من صاحب المجلة نفسها، رحمه الله ، مكالمة رقيقة يدعوني فيها إلى لقائه ، فترددت قليلا ، ثم ذهبت ، فإذا هو يحسن استقبالى هذه المرة ، ويقدم لى القهوة ، و يسألنى أن أواصل الكتابة كل اسبوع ، بأجر لا بأس به .. ثمانية جنيهات فى الشهر.

كان الجنيه جنيها .... وكنت لا أزال طالبا يتناول مصروفه من أبيه .. وهكذا وجدت الأجر مغريا ، فقبلت على الفور . ومنذ ذلك اليوم ، أصبحت الهواية احترافا .. ومنذ ذلك اليوم أيضاً ، لم أنقطع عن الكتابة فى الصحف اسبوعاً واحدا حتى اليوم.

في عهد المدرسة الثانوية بالمنصورة كانت المنصورة خميلة شعرية جميلة يغنى فيه الدكتور إبراهيم ناجى شاعر الاطلال، وعلى محمود طه شاعر الجندول ، ومحمد عبد الغنى حسن شاعر الاهرام ، و م . ع . الهمشرى شاعر الأعراف ، ومختار الوكيل ومحمد رجب ، وجميلة العلايلى وغيرهم من البلابل التى هجرت الشعر فيما بعد.

وكانت لنا جميعا ليال حلوة على شاطئ النيل بالمنصورة، ومن عجائب الاتفاق أننا - الهمشرى وأنا - حينما نلنا البكالوريا وجئنا إلى القاهرة لنلتحق بالجامعة ، نقل ناجى

إليـها أيضـاً ، طبيبا بالسكك الحديدية ، وعلى محمـود طه كذلك، مـهندسـا بوزارة الاشـغـال ... وكـانـا يكبـراننا بعـدة سنوات.

وفى هذه الفتـرة قـامت جـمـعـية «أبوللو» برئاسـة أمـيـر الشعراء أحمد شوقى ، وأمانة الدكتور أحمد زكى أبو شادى.

وراح أبو شـادى - رحـمـه الله - ينقب عن الشـعـراء الشبـان، ويجمعهم حوله ، وهكذا التففنا حـول رسالة «أبوللو» ووجـدت نفـسى وأنا دون العشـرين ، عـضـوا بمجلس إدارة الجمعية ، ممثلا للشباب ، أجلس إلى جانب أولئك الفحول من شعـراء ذلك العـهد وروادة الفكريين ، وأكتب معـهم فى مجلة واحدة ، بعد أن كنت لا أراهم إلا فى الأحلام.

ثم نشبت المعركة بين مدرستى شوقى والعقاد ، فـاندفعت مدافـعا عن شوقى، مهاجـما خصـومه بعنف وضـراوة ، وكانت هذه أول معركة أدبية أخوضها فى حياتى.

وإن كنت قد طرحت حماقة الشباب بعد ذلك بسنين طوال، وعـرفت قدر العـقـاد واقـتـربت منه ، وجلسـت مـعـه طويلا فى مـجلس الفنون والآداب إذ كـان مـقـررا للجنة الشـعـر ، وصـفت نفسه لى كما صفت نفسى له ، وإن كنت قد بقيت على الولاء لأمير الشعراء أحمد شـوقى ، كسيد للقدامى والمحدثين وكان

العقاد – رحمه الله – لا يغضب من مجاهرتى له بذلك ، بعد وفاة أمير الشعراء .

وفى «أبوللو» أصدرت أول ديوان لى باسم «ديوان صالح جودت» وأهديته إلى الصورة الحلوة التى كانت تستهوينى دائما فى صدر الشباب ... وحتى اليوم ... «إلى العيون الزرق والشعر الذهب».

وكان الديوان حافلا بما يحفل به شعر الشباب – ابن الحلقة الثانية – من شك في كل شئ ، وتمرد على كل شئ ، مما أوقفنى أمام حملة ضارية من الشيوخ ، ولا سيما شيوخ الأزهر لم أكن لأحتملها ، وهجرت الشعر حينا ، ولكنه غلبنى فعدت إليه بعد حين.

عدت إليه هذه المرة ، بعد أن ازدادت قراءاتى ، وتعمق وجدانى فيما أقرأ ولا سيما فى أدب التصوف والمتصوفين ، فعدت إلى الله ، قوى الإيمان به ، مفرطا فى الحب لذاته ، لا ابتغاء لجنته أو خشية من ناره .. ومازال حبى لذاته – جل وعلا – يتصاعد يوما بعد يوم ، حتى لأوشك الآن أن أكون من المتصوفين دون أن أهجر الدنيا أو أزهد فى نعيمها . ذلك أنى أعتقد أن الله لم يخلق نعيم الدنيا لكى يحرمنا منه أو يعذبنا بتركه ، بل لنستمتع به فى حدود من رضا الله وراحة

الضمير وطاعة القانون.

وغمرتني موجة الإيمان إلى حد أنني بعد تخرجي فى كلية التجارة . قسم العلوم السياسية ، عكفت على إعداد رسالة الماجستير فى موضوع «الدولة المثالية فى الإسلام».

ولم يتخل الله عني أبداً...

مررت بعشرات من المحن ، وصمدت لها جميعا مؤمنا بأن الله سينصرني فى النهاية . فى بعض الآونة ، وقعت الواقعة بيني وبين أحد الوزراء الغلاظ - وكان عسكريا - فأصدر قرارا عسكريا باخراجي من وظيفتي - وكنت يومئذ مراقبا للإذاعة - وخرجت إلى الطريق مغضوبا على من الحاكمين ، وليس فى جيبى أكثر من بضعة قروش لا تقوم بأود.

وتصورت أن أحدا لن يجرؤ على استخدامى بعد هذه الغضبة العسكرية... ولكني كنت واسع الأمل فى وجه الله . ولم تمر أربع وعشرون ساعة ، حتى وجدت أمامى ثلاثة عروض ، لا عرضا واحدا ، وكان أدناها إلى نفسى عرض من دار الهلال ، أن أعمل بها مديرا لتحرير مجلة المصور ، براتب يعادل ضعف راتبى بالإذاعة ، فقبلت على الفور.

وبعد أيام من هذا الحادث ، رأيت الوزير الغليظ يخرج من وظيفته ويعمل فى إحدى الصحف ، وبعد أيام أخرى

رأيته يخرج من وظيفته ويقبع فى بيته.
وقلت : سبحان الله .

أحسنت اللغات العربية والفرنسية والإنجليزية منذ صباى، فتفتحت لي عوالم واسعة فى دنيا القراءة ، وروضت نفسى على أن أقرأ كل شئ وفى كل فن .

وفى أول شبابى ، أحببت فن الترجمة وترجمت عدة روايات، وربحت منها ما أعاننى على أن أحيا حياة ترف ، وأقتنى سيارة ، وأجالس من هم أكبر منى سنا وعلما ، وأكثر منى مالا وجاها ، وأحس أننى ند لهم ويحفزنى علمهم إلى الاستزادة من العلم حتى لا أكون دون إدراكهم إذا تكلموا ، ودون مستواهم إذا ناقشوا أمرا من الأمور.

وتفتحت لى أبواب السفر ، فطفت بكل أرض حتى بلغت القطب شمالا واليابان شرقا ، وأمريكا غربا ، ومن ثم أقبلت على ممارسة أدب الاسفار، ومنه كتابى «قلم طائر».

وأحببت العمل إلى حد أنى لم أظفر بأجازة منذ ربع قرن، ولعل سجلاتى فى دار الهلال شاهدة على هذه الحقيقة.

نعم .. قد أسافر إلى مكان بعيد ، ولكنى حينما أسافر ، لا أترك القلم من يدى أبداً.

وهكذا بلغت كتبى زهاء ثلاثين ، فى الشعر والقصة القصيرة والرواية والسيرة والترجمة وأدب الرحلات .

بيد أن الشعر هو أكثر ما أعتز به ، وأيسر ما خلقت له ، وأحسب أننى وصلت فيه إلى شئ ، ولعل هذا الوهم تمثل لى كحقيقة بعد أن خضت كثيراً من المسابقات فى شبابى ، فكنت أظفر منها دائما بالجائزة الأولى وأدناها إلى ذاكرتى الآن ، جائزة الأغنية الشعرية التى أقامتها الإذاعة فى أول عهدها ، ثم جائزة «مشروع القرش» ثم جائزة «أحسن قصيدة فى السد العالى» ثم جائزة الدولة للشعر ، التى كنت أول من نالها سنة ١٩٥٨ . ذلك اننى أخلصت للشعر . وأوضحت منهجى فيه، وعرفت المعاناة فى سبيل احسانه ، ولم أحاول أن أنحرف إلى المذاهب السهلة منه ، كالشعر المنثور أو المرسل أو الحر ، لايمانى بأن الفن معاناة جمالية ، وتجربة وجدانية ، وبوتقة شديدة الدفء تنصهر فيها عناصر اللغة والموسيقى والخيال.

وإذا كان لى أن أفضى إلى المقبلين على الشعر من الناشئة بشئ من حصيلة تجربتى مع الشعر ، فإنى أقول لهم:

إن الثقافة العميقة والمنوعة ، المستقاة من سائر الموارد القديمة والمعاصرة ، هى أول عدة الشاعر الذى يريد أن يحتل

مكانا فى هذا العصر.

وإن التمكن من اللغة بدراسة التراث والقواعد والأساليب، والهيام بقراءة المعاجم والموسوعات ، جسر أساسى للشاعر الذى يرنو إلى التفوق والسموق .

وإن الموسيقى هى أم الشعر ، ومن ثم فإنى أحب للشعراء أن يدرسوا الموسيقى بمختلف ألوانها . وإن عصر الشاعر الصعلوك ، الذى يتكسب بشعره ، أو يجوع ويعرى ويتشرد فى الطرقات ، قد انتهى ولا مكان فى عصرنا إلا للشاعر المثقف ، الأنيق ، المثمر ، ولهذا ينبغى للشاعر أن تكون له مهنة يتكسب بها ، كالطب أو الهندسة أو المحاماة أوالصحافة أو التجارة أو غيرها ، حتى يعصم شعره من شبهة التكسب . ويجعل الشعر فى أعماقه هواية لا احترافا طوال حياته.

وأن يبتعد عن السطحية ويحب المعاناة ويلتزم بما ينبع من نفسه لا بما يمليه عليه مذهب أو نظام أو حكم أو كسب مادي. وأن يقرأ ويتعمق ليؤمن ، فالشاعر الذى يحمل إيمانا أعمى، هو أعمى . والشاعر الذى لا يحاول أن يصل إلى الله، وينكر أعلى قيمة فى الوجود تهون فى وجدانه بعد ذلك جميع القيم التالية وهى الشرف والفضيلة والكرامة والكبرياء».

وقد اعتاد صالح جودت الدخول فى كثير من المعارك الأدبية بسبب تمسكه بأصول الشعر العربى وقواعده ، وقد فصل نظريته فى الشعر العربى فى مقال له تحت عنوان «نظريتنا فى الشعر» قال فيه : (١)

«فى البدء كانت الكلمة ..

وأول ما كانت الكلمة ، كانت شعرا لا نثرا وهكذا شاء الله أن يولد الشعر من الأزل ، ليعيش إلى الأبد .

وهذا هو شرف الشعر على النثر ، حتى لقد قيل إنه لم يحفظ من المنثور عشره .

فسر الضياع فى النثر اذن أنه لا وزن له ، وسر الحفظ فى الشعر أنه موزون.

وليس معنى هذا أن كل كلام موزون يكون شعرا يدخل ذمة التاريخ، فإن بنية الشعر - كما قال أبو هلال العسكرى - أربعة : لفظ ومعنى ووزن وقافية.

«وهذا هو حد الشعر ، لأن من الكلام موزونا مقفى وليس بشعر ، لعدم الصنعة»».

قلب الشاعر

إذا كان لكل شاعر حكاية حب واحدة أو حكايتان، فإن

---

(١) الهلال / ١٩٦٤.

لصالح جودت عشرات من حكايات الحب، حاول خلال ديوانه «حكاية قلب» أن ينقلها بأمانة إلى الناس علق عليه الأديب كمال النجمى (١٩٢٣-١٩٩٨) فقال : (١)

«الديوان الجديد للشاعر العاشق -إلى الأبد- صالح جودت، يلخص الشوط الذى قطعه فى رحلة الحب الطويلة خلال شبابه الثانى.. أى خلال عشرين عاما انقضت بعد شبابه الأول..

والشباب الأول عند صالح جودت ينتهى فى الثلاثين من عمر الأنسان، ثم يبدأ شبابه الثانى ..

فاذا كان المرء شاعرا عاشقا كصالح جودت، فإن شبابه الثانى لا ينتهى ولو بلغ الثمانين أو التسعين من عمره السعيد..

وهذه الحكمة نقشها صالح جودت على غلاف ديوانه الأنيق، كأنه يدعو كل قارئ إلى الإيمان بها: «الشباب الثانى لا ينتهى الا بانطفاء شعلة الحياة».

وفى ظلال الشباب الثانى الظريف المختال كالطاووس نظم صالح جودت قصائد ديوانه الجديد وسماها «حكاية قلب».. فجاءت هذه الحكاية تسجيلا منغوما أمينا حلو المذاق لمغامرات شبابه الثانى التى لا تقل توهجا واندفاعا عن

---

(١) الكواكب/ ١٨ يناير ١٩٦٩ .

مغامرات شبابه الأول المأثورة.

هذا الشاعر ذو القلب الخافق بحكاياته التى لا تنتهى، ينتقل من شباب إلى شباب، بنفس الخفة والرشاقة والسهولة التى ينتقل بها من غرام إلى غرام.

وما أطيب الحياة، وما أهون تكاليفها، حين تكون انتقالا من شباب إلى شباب .. ومن غرام إلى غرام..

غير أن طيب الحياة وهوان تكاليفها على هذا النحو الذى يبدو من السطح اللامع المعطر لأشعار صالح جودت، ليس الا انطباع الوهلة الأولى العابرة من قراءة هذه الأشعار..

فاذا أنعمت فيها النظر، وتأملتها على مهل، رأيت خلف أبياتها الثملة الراقصة وجه الشاعر مكسوا بالألم والملل واليأس والرغبة فى الهروب !

فبعد ثلاثين عاما قضاها فى عالم المرأة السحرى، لم يعد يجد فيه ما يجتذبه بقوة وعمق .. وتساوت لديه فى نهاية المطاف ذات الشعر الذهبى وذات الشعر الكستنائى..

وكثرت النهايات الحتمية التى ينقضى بها كل غرام وتختفى بها كل امرأة من حياة الشاعر، حتى سئم من تكرار الحب.. فكل بداية حب جديد، تفضى إلى نهاية حب قديم..

وهذا هو السبب فى أن كل قصيدة من ديوان «حكاية

قلب» ترسم صورة امرأة جديدة..

والسعيدة عند صالح جودت هي من تظفر منه بقصيدتين أو ثلاث فقلبه -بعد طول تجاربه- أصبح يسع كل وجه جميل، وكل عين سوداء أو زرقاء، وكل شعر ذهبى أو بلاتينى..

وعندما تسأله احدى عرائس ديوانه : أمازلت تصبو إلى العيون الزرقاء والشعر الذهبى ؟ فإنه لا يكذب، ولا يقول لها: إلا الحقيقة والحقيقة يشرحها بقوله:

وانتهينا إلى الحديث عن الحب فقالت فى رقة وحياء

أترى أنت لا تزال على عهدك تصبو للأعين الزرقاء

وتشيم الجمال فى ذهب الشعر فتهفو لموجه الوضاء

قلت : لازلت غير أنى تغيرت .. وبات الفؤاد رحب الفضاء

إن قلب الفنان يسجد للحسن.. بشتى الظلال والأضواء

وهكذا أصبح قلب الشاعر .. كل قصيدة جديدة .. وراءها وجه جديد، أو فكرة جديدة عن وجه قديم تجعل منه فى نظر الشاعر وجها جديداً..

ومن هنا كان الحديث عن الصغيرات والصبايا فى ديوان صالح جودت أكثر من الحديث عمن طرقن أبواب الشباب الثانى .. أى أصبحن - كالشاعر نفسه- فى منتصف العمر..

فان الصبايا يستهويهن الشاعر العملاق الذى تسلل

الشيب إلى رأسه، ويجدن فيه فارسا غامضا محفوفا بضباب مثير، يحلق بهن فى سماء الخيال..

أما ذوات الشباب الثانى، فلا الشيب يستهويهن، ولا فارس الضباب يهز قلوبهن، ولا يجدن أية متعة فى التحليق إلى سمائه العالية.

إلا أن الشاعر برغم تمسكه بوهم الشباب الثانى، يشعر فى أعماقه بغضاضة من فارق السن فى دنيا الحب ..

ففى الحب الشاعرى -كما فى الزواج- لابد من حدوث تعقيدات معينة بسبب الفارق الكبير فى السن، وصالح جودت جودت يعترف بهذا كله فى قطعة شعرية بديعة يقول فيها:

لك الله، مالك يا طفلتى
تذوبين فى حبك الصامت؟
أطالعه فى اختلاج الشفاه
وفى لونك الشاحب الباهت
وأقرأه فى اضطراب القميص
على صدرك الخافق النابت
وما كنت يوما حديد الشعور
ولا كان قلبى بالمائت
ولكن.. أتصلح عشرون عاما
تدورين فى طوقها الكابت
لحب فتى جاوز الأربعين

يجـــرر فـى عـــمــــره الفـــائت
ويســــمع منك نداء الشـــبـــاب
وترهبـــه ضـــحكة الشــامـت ؟

ولكن .. لماذا يخاف صالح جودت من ضحك الشامتين به في مغامرة الحب بين الربيع والخريف ؟

أليس هو الشاعر الفاتك الذى يصور نفسه فى ديوانه فى صورة «كازانوفا» و«دون جوان» وبقية الفاتكين فى عالم الغرام ؟

بلى .. إنه لكذلك عند نفسه.. إنه هو بعينه الشاعر المغير على نبض قلوب العاشقات ..»

عاشق الإسكندرية

كان صالح جودت من أبرز عشاق مدينة الاسكندرية بما تمثل له من سحر وفتنة وذكريات جميلة على ضفافها الفيح حيث اعتاد كل صيف أن يسافر إليها، ليقضى فى مسكنه على شاطئ البحر أياما رائعة يستلهم خلالها أجمل قصائد الحب والغزل.

وقد عبر عن حبه وعشقه للاسكندرية وبحرها فى عدة مواضع شعرا ونثرا، ويروى لنا حكاية حبه للإسكندرية، فيقول : (١)

«شهدت الصيف فى جميع بلاد الله.. ولكنى لم اشهد

(١) مجلة المصور/ ١١ يوليو ١٩٦٩ .

صيفا فى الوجود أجمل من صيف الإسكندرية.. وزمان .. وأنا حدث.. كنت أحب من الإسكندرية الصيف والبحر والرمل.. كما يحبها سائر الناس.

وفى أول الشباب، شدتنى إلى الإسكندرية صورة.. صورة لا أنساها .. ولا أزال احتفظ بنسخة منها فى غرفة نومى.. هى اللوحة الخالدة التى رسمها محمود سعيد لبنات بحرى هذه الصورة، علمتنى أن الإسكندرية ليست مجرد صيف وبحر ورمل وشدتنى إلى الداخل، لأ عرف أن الاسكندرية مدينة حب وجمال، وعلم فن، ونكهة وتاريخ.

ودخلت أعماق الإسكندرية.. ومشيت فى الحارات المعطرة التى تمشى فيها بنات بحرى.. وعشت فى جوار المتصوف القبارى، وسيدى أبى العباس المرسى.. وولى الله أبى الدرداء.. الذى تسميه العامة «أبو الدرداء» ..

وذهبت إلى متاحف الإسكندرية ودخلت مكتبة الإسكندرية، فعرفت قصة حكمائها وعلمائها وأدبائها الاقدمين، من عهد اليونان إلى العصر الاسلامى .

ثم عاشرت أدباءها وشعراءها المعاصرين، فوجدت عندهم لونا من الفكر له سماته التى تختلف عن سمات الفكر القاهرى.

كانت الإسكندرية حاضرة مصر قبل الفتح الإسلامى..

وكانت شمسها.. فذهب عنها الملك، ولكنها ظلت تلد فى كل علم وفن، وتنفح بهم الوادى بين جيل وجيل، من أمثال بيرم التونسى وسيد درويش.

شعراء الإسكندرية

جاء الفتح..

بدأت الإسكندرية تنفح الوادى بشعراء وأدباء ومفكرين، لغتهم العربية، وإن ميزهم على شعراء الفسطاط، أن تكوينهم الفكرى كان مزاجا من الثقافات اليونانية والرومانية والقبطية والمغربية والأندلسية والعربية.

من هؤلاء الشعراء، أبو بكر العبيدى، وسليمان بن فياض، ومحمد أبى الحسن الذى قال فى وصف منارة الإسكندرية:

لله در منار الإسكندرية كم
يسمو إليه على بعد من الحدق
من شامخ الانف فى عرنينه شمم
كأنه باحث فى دارة الأفق
يكسر الموج منه جانبى رجل
مشمر الذيل لا يخشى من الغرق
للمنشآت الجوارى عند رؤيته
موقع النجم من أجفان ذى أرق

ومنهم الشاعرة تقية الصورية التى وصفت بعض رياض الإسكندرية بقولها:

والروض مبتسم بنور أقاحه
لما بكي فرحا عليه غمامها
والنرجس الغض الذى أحداقه
ترنو لتفهم ما يقول خزامها
والورد يحكى وجنة محمرة
انحل من فرط الحياء لثامها

ومنهم الشاعر أبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز السكندرى: ومن بدائعه فى الغزل هذه الأبيات:

يا سحر الطرف ليلى ما له سحر
وقد أضر بجفنى بعدك السهر
ولست أدرى وقد صورت شخصك فى
قلبى المشوق، أشمس أنت أم قمر

أما المعاصرون، فمن أشهر من تفتحت شاعريته منهم على ضفاف الإسكندرية، الشاعر عبد الرحمن شكرى، صاحب العقاد والمازنى.

ومنهم خليل مطران: الذى هاجر من لبنان شابا حديث العهد بالشعر، وسكن الإسكندرية، واشتغل فيها بالصحافة.

ومن أجمل شعره فى الإسكندرية، قصيدة «المكس» ومنها:

شاك إلى البحر اضطراب خواطرى
فيجيبنى برياحه الهوجاء

ثاو على صــــخــــر أصم، وليت لى
قلبـاً كــهـذى الصـخـرة، الصـمـاء
ينتــابهــا مـــوج كــمــوج مكارهى
ويفــتــهــا كــالســقم فى أعـضــائى
والبــحـــر خــفــاق الجــوانب ضــائق
كــمــدا، كــصــدرى ســاعــة الإمســاء

ومنهم الشاعر الدكتور أحمد زكى أبو شادى، الذى عاش اضـوأ أيامـه وأحلكهـا فى الإسكندرية، وله فـيـهـا مـئـات القصائد، ومنها هذه القصيدة بعنوان «الإسكندرية»:

وتـغــــرد الأطـيــــار حـــتـى أنـهــــا
لـتـظـن فى تـغـــريـدهـا كـــمــــلاك
من لـم يـصــــدقنى، عليــــه بجـــولة
بـحـــــــدائق الـشــــــلال بـين أراك
لـيـــــــرى ضـــــــروب روائـع وبـدائـع
هـذى مـــــــوطـنـة وذى لحـــــــراك
ولـديك مـن فـتن الحـــســــــــان نـوادر
بـقـــيت على الأحـــقـــاب صنو جنـاك
زرق الـعـــيــــون وســــودهـن عـــوارف
صـــيــــد القلوب بـأســـهـم وشــبـــاك
أورثن ســـحـــر الاقـــدمـين كـــأنما

بوركن بـالكـهـــا من تحت ســــمـــاك

ومنهم الشاعر المبدع خليل شيبوب، تلميذ مطران..

ومنهم الشاعر الراحل عثمان حلمي، صاحب الدواوين والرباعيات والمسرحيات، وكان رحمه الله يعشق الإسكندرية، إلى حد أنه لم ير القاهرة في حياته حتى سن الستين، حين جاء إلى القاهرة لتسوية معاشه.

ومن شعرائها الأحياء، المخضرمين والمحدثين، الأساتذة عبد اللطيف النشار وإدوارد سعد وحسن ظاظا وعبدالمنعم الأنصاري وعبدالعليم القباني ومحمد محمود زيتون ومرسي بدر وغيرهم ممن يستوحون بدائعهم من عيون بنات بحري لتزدان بها جزيرة الإسكندرية الخالدة».

وعندما يصدر الشاعر صالح جودت دراسة أدبية عن صديق شبابه م. ع. الهمشري(١٩٠٨-١٩٣٨) الذي رحل في عمر الزهور يكتب أنيس منصور(١٩٢٤-٢٠١١) عن الشاعرين: جودت والهمشري فيقول: (١)

«في صنعاء .. في القصر الجمهوري .. والمقاعد من خشب والأرض من بلاط، والناس قطع من الهدوء والصمت.. وأنا أكاد أموت من الخوف. فقد عطست مرتين في الصباح ومعنى ذلك لانسان موسوس مثلي، أنني سأكون ضحية

(١) المصور : ١٠ يناير ١٩٦٤ .

لمرض خطير هذه الليلة.. فلن يمضى وقت طويل حتى تحتشد العواصف والأعاصير في بطني، وستخرج كلها على شكل طلقات مدافع من أنفى، وتتناثر على شكل شظايا فى رأسى .. وربنا يستر.. وبدأت أتعذب فى مقعدى. أريد أن أخرج، وأعود إلى الفندق، احتمى فى أغطيته الباردة الجامدة من جرثومة الزكام التى أحس بها ولا أعرفها.. وتلفت يمينا وشمالا لكي أنهض..

وفى هذه اللحظة سمعت أن صالح جودت سيلقى قصيدة وبصراحة لم أكن قد سمعت صالح جودت فى حياتى، وإن كان صديقا وزميلا، ونهض صالح جودت وألقى قصيدته وسمعتها وشعرت بالخجل العميق.

لقد اكتشفت الصوت الرقيق والأداء الناعم، والمرح الذكى وبسرعة وبعملية حسابية بسيطة قدرت خسارتى الفنية. وكانت فادحة فقد ألقى صالح جودت عشرات القصائد فى عشرات المرات من عشرات السنين، ولم أستمع له إلا هذه المرة وفى اليمن..

ومرة أخرى وقف صالح جودت وتحت رذاذ المطر فى مدينة تعز يلقى قصائد وطنية وعاطفية..

لا أعرف بالضبط. ولكن صوت صالح جودت فيه النعومة، والبحة الحلوة التى تنقل اليك المعنى الدقيق والمعنى القوى

بسرعة غريبة.. وبعد أن ينقل اليك المعنى تتولى أنت بعواطفك وأفكارك تشكيل المعنى وتفسيره وتنفيذه حسب قدرتك على الاندماج والتذوق.

ولكن الاستماع إلى صالح جودت متعة حقيقية، لم أكتشفها مع الأسف إلا متأخرا جدا.

وصالح جودت الشاعر أروع من صالح جودت الكاتب الروائى، بل إنهما مختلفان جدا. ففى كتبه تجد تعبيرات غريبة، وألفاظا لا تصادف الإنسان فى قراءاته إلا نادرا. بينما فى قصائده لا تجد لفظا واحدا يضرب أذنك.. بل أنفاس الشاعر تمهد الطريق إلى موسيقى ألفاظه وقصائده..

وقصة صالح جودت التى عنوانها «عودى إلى البيت» من أحسن القصص العربية التى قرأتها..

وقد فرغت من كتاب له عن الشاعر «الهمشرى حياته وشعره» والشاعر من بلدنا المنصورة، وهو صديق للمؤلف وزميل صباه. وهو لذلك يستطيع أكثر من غيره أن يروى حياته وأن يتابع تطوره النفسى والفنى..

وقد اهتم المؤلف فى أن يقترب من الشاعر الهمشرى، وأن يمشى وراءه وإلى جواره.. وأن يسجل خلجات نفسه وأحيانا نبضات قلبه فقط، لا قلبه. فهو يروى لنا تاريخ أسرة الشاعر. ثم نشأة الشاعر نفسه ويصور لنا حيرته..

ثم يتابعه وهو يتنقل بين القرى، يدعو إلى فلسفة «التعاون»..

ولو شاء صالح جودت لخلع عن الهمشرى صفحة الشعر التعاونى واحتفظ به شاعرا له مواقف اجتماعية وإنسانية..

وهذا الكتاب الذى أصدره صالح جودت عن الشاعر الهمشرى هو أقرب إلى تحية الشاعر أو إلى الإشارة والتذكير بحياته ومماته أيضا..

وهو أبعد من أن يكون دراسة متأنية عميقة.. وإنما هى مجاملة طويلة صادقة .. وصالح جودت من أئمة المجاملين.

وأنا لا أعرف الشاعر الهمشرى ولا رأيته، ولا قرأت له إلا قليلا جدا، ولكن كان أحد إخوته زميلى فى مدرسة المنصورة الثانوية.. وهو نحيف القامة أحمر الوجه غليظ.

ولكن هذه الالتفاتة إلى شاعر شاب، مات قبل الأوان، ويجب ألا يظل ميتا إلى الأبد، تستحق الاهتمام، ولذلك أطلب إلى مجلس الفنون الذى تولى إصدار هذا الكتاب أن يعيد إلى أذهاننا الكثير من الفنانين الذين راحوا، ولم نعد نقرأ عنهم أو نسمع بهم.. فمن مهام مجلس الفنون إحياء الذين ماتوا، واطالة أعمار الأحياء من الفنانين الشبان والشيوخ..»

وعندما صدر ديوان صالح جودت: الله والنيل والحب عام ١٩٧٥ أرسل الكاتب والأديب الكبير إبراهيم المصرى

(١٩٠٠-١٩٧٩) رسالة إلى صديقه الشاعر صالح جودت يتناول فيها ديوانه بالنقد والتحليل فيقول : (١)

«... أهديتنى، يا أخى العزيز، ديوانك الجديد الله والنيل والحب،

ولقد أحسست وأنا فى رحلتى مع ديوانك إحساس من يستقل زورقا يجرى به فوق نهر تنساب مياهه فى دعة ولين وفى تمهل محبب يتيح له أن يشهد على الشاطئين كل ما يحفلان به من مفاتن استوحيتها أنت الشاعر أجمل وأعمق ما يمكن أن تقدمه إلى وجداننا الظامىء من رؤى وأخيلة وأحلام..

ولقد أمضيت أنا أوقاتا جد ممتعة مع ديوانك هذا، فكان بلسما لروحى المتعب وراحة لعقلى المكدود. فحملنى على أجنحة خيالك إلى حيث الجمال الخالص، والمشاعر الصافية، والحياة الحرة الزاخرة بأروع الانفعالات.

والديوان فى الحق واحة لا نكاد نتجول فيها حتى تأخذنا منها ظلالها الوارفة وأفنانها الزاهرة، وثمارها اليانعة، فنقف حيالها مفتونين، لا نستطيع إلا أن نسلم بأن الروح التى ابتدعتها هى روح شاعر فذ وفنان أصيل.

---

(١) الهلال : سبتمبر ١٩٧٥.

إن أول ما يلقاه القارىء من هذا الديوان الفريد هو تلك الثلاثية المقدسة، المشهورة التي طالما صدحت بأبياتها فقيدة الغناء العربي أم كلثوم، والتي يرتفع فيها الشاعر إلى عالم علوي فيه الإيمان الكامل، والصفاء الغامر، واللهفة الوجدانية المتطلعة إلى فسحات النور والطهر، والمقترنة بالدعوة الحارة إلى القوة والجهاد، فيقول مخاطبا الكعبة بيت الله الحرام:

رحـــاب الهـــدى يا منار الضـــيـــاء
ســمـــعـــتك في ســاعـــة من صـــفـــاء
تـقـــــــول أنـا البـــــيـت ظل الاله
وركـن الخـليل أبـى الأنـبـــــيـــــاء
أنا البـــيت، قـــبلتكم للصـــلاة
أنا البـــيت، كـــعـــبـــتكم للرجـــاء
فـــضـــمـــوا القلوب وولوا الوجـــوه
إلى مـــشـــرق النور عند الدعـــاء
وســـــيـــــروا إلى هدف واحـــد
وقـــومـــوا إلى دعـــوة للبـناء
يـزكـي بـهـــــا الـلـه إيمـانـكـم
ويرفع هـامـــاتكم للســمـــاء

ثم يطلق الشاعر هذه الأبيات المدوية يستنهض بها عزائم أمتـه، ويذكرها بماضيها المجيد، ويحثها على التفوق والاستعلاء:

أمـــة علمـــهـــا حب الســـمـــاء
كـــــيف تبنى ، ثم تعلو بالبناء
ســــــــادت الأيام لما آمنت
أن بالقـــوة يســـمـــو الاقـــوياء
فـــإذا اســـتـــشـــهـــد منهم بطل
كـــانت الجنة وعـــد الشـــهـــداء

ثم تتقد في صدر الشاعر دعوة الوجدان والقلب، فيتحول بنا إلى الدنيا فتغلبه عاطفة الحب، فيصور لنا ما تحركه هذه العاطفة في نفسه من مشاعر وخلجات، ترق تارة وتعنف أخرى، حائمة حول الجمال، نزاعة إلى احتضانه، مازجة بينه وبين أصل الإنسان، عاجزة عن تذوق طعم الحياة إلا به، فيهتف:

لا تلومـــيني لأفكارى الجـــريئـــه
أول القـــصـــة فى الأرض الخطيـئـه
لا أبـــونـــا آدم عـــــف، ولا
أمنا كـــانت من الذنب بريئـــه
عـــصـــرا فى دمنا تفـــاحـــة
مـــا لنا فـــيـــمـــا تغـــذيه مـــشـــيـــئـــه
هـــى فـــى كـــل ذهـــاب نـــغـــم
ولـهـــا ترنيـــمـــة فى كل جـيـــئـــه

بيد أنه وهو يصطدم بالمرأة لا يستطيع إلا أن يبهت ويرتاع، فيحدق فيها ويتأملها، فيهوله تلونها، ولا يضنيه تقلبها، ويعجب كيف أن الحاضر هو كل شيء في نظرها وأن قرب الحبيب هو وحده الذي ينعشها، وبعده يكربها ويضجرها، بل وينسيها ذلك الذي كان بالأمس غايتها وقبلتها فيرسل هذه الأبيات الحزينة الشاكية الممزقة:

يا قلب لا تحفل بها. واكتب نهاية حبها
لا، لا تصدقها وإن حلفت بعزة ربها
إن التي أحببتها يا قلب، عبدة كذبها
وهي التي لا تحتوي قلباً، تحب بقلبها؟
أفما ترى شرك الخديعة في مظلة هدبها
وعيونها المتلونات بغدرها وبريبها
تعطيك أجمل ما اشتهيت إذا ظللت بقربها
فإذا نأيت هنيهة، لعب الهوان بلبها
ومضت إلى الجار القريب فكفنته بثوبها

وهنا نلمس توافقا عجيبا بين روح صالح جودت ومنزعه، وروح ومنزع الشاعر الفرنسي ذائع الصيت «بول جيرالدي» في ديوانه المشهور «أنت وأنا» فكلاهما عرف المرأة، وكلاهما فطن إلى طبيعتها، وأماط اللثام عن تلك الطبيعة في شعر تمتزج فيه الرقة والعذوبة بالأسى العميق والعجز المرير عن

فهم الغوامض والأسرار التى تكتنف شخصية الأنثى، والتى حيرت ولاتزال تحير الرجل عندما يعشقها ويهيم بها.

ونرى هذا المنزع أكثر وضوحا وأبلغ فى مصريته تأثيرا، يتجلى فى هذه الأبيات التى يضطرم فيها عنف الحب وعذاب الشك والغيرة اضطراما، ويقترن فيه خداع النفس اللذيذ بالثقة الفريدة فى عودة الحبيب:

كم خاطر محير يذهب بى مذهبه
يظل يستجوبنى الليل وأستجوبه
فديته... أن الحبيب كم يلذ كذبه
مادام قد عاد .. فقد عاد إلى قلبه

وفى هذه المقطوعة أيضا يصور لنا الشاعر بنفس الرقة والنعومة والروح المصرية العذبة، مشهد حسناء تتهادى على شاطىء البحر في الصيف، مزهوة بنفسها، مفتونة بمحاسنها، تنهبها أبصار الرجال. فتضطرب وتتعثر على الرغم منها. فيضاعف اضطرابها من لهفة الرجال عليها، فيزيدها دلالا واعتدادا وكبرا فيقول:

يا دمية تتهادى وفتنة تتمخطر
الصيف والرمل والبحر والنسيم المعطر
وشعرك المذهب الطيف مائجاً يتبعثر

ويظل الشاعر يتنقل بين ألوان الجمال، وتتعدد صلاته بعرائس شعره، ويعانى الكثير من إقبالهن وصدهن، ومما

طبعت عليه المرأة من حب للمرح والحياة قد يغلب في نفسها على الهوى الصادق وما يكلف أصحابه من تضحيات، فيبرح به هذا الطواف، فيتصور امرأة خيالية مثالية لم يعرفها قبله رجل، ولم تشبها شائبة من مكر أو دهاء، فيهيم بها هيام الفنان برائعة هو الذى أبدعها، وبات يتعبدها، ويرى فيها أجمل وأكمل امرأة فينشد:

ما أنت إلا امرأة في الخيال
رأيتها بالقلب رؤيا المثال
مناى أن تحيا بفكرى.. ولا
تخطر في الدنيا لغيرى ببال

غير أن الشاعر مهما فر من الواقع، ولاذ بدنيا الخيال، واعتقد أن الحب الخيالي راحة له وسلوى فهو لايمكن أن يكتفى بالخيال وحده. ولابد أن يرتد إلى المرأة واقعا محسوساً، وجمالا نابضا، وإلهاما حيا، وشعلة تلهب منه الفكر والقلب والروح.

وهكذا بعد أن فر صالح جودت من الواقع إلى الخيال لم يسعه إلا أن يرتد من الخيال إلى الواقع، ويطلب المرأة ذاتها ولو في وقدة الألم وحمى العذاب، فيناجيها متضرعا ويصرخ:

ياملاكى، نشر الليل غلالات الظلام
فافتحى قلبك للأحلام والنجوى، ونامى

واتركينى فى اشتياقى واحتراقى يا غرامى
جئت أستشفى من الحب، فضاعفت سقامى
يامـلاكى، سـامحى طيشى، ورقى لجنونى
واغفرى الماضى وما يوحيه من سود الظنون
وارحمى ضعفى إذا ما شئت ألا ترحمينى
هل ترين اليـوم إلاك خـيـالا فى عـيـونى؟
يا مـلاكى، أنا من أحـببت فى الحب عذابى
ونشـرت الغـزل المشـبـوب فى كل الروابى
وبنـار الشـوق واللهـفـة أحرقت شـبـابى
أنقـذى روحى من النار، وفـوزى بالثـواب

ولكن هل حب المرأة وحده يمكن أن يشفى غلة صالح جودت، ويستغرق عواطفه وفكره وحواسه، ويصرفه عن التطلع إلى الحياة الكبرى؟ إن مشاعره التى تتفتح على المرأة لتتفتح أيضا على الوجود كله. ولاسيما على وطنه الأثير، على بلاده العزيزة، على مصر الغالية التى يحمل لها بين جوانحه حبا يكاد يعلو على كل حب، والتى أشاد بها فى ديوانه «ألحان مصرية» ويشيد بها أيضا فى قصائد شتى من هذا الديوان.

فاستمع إليه يتغنى بالقاهرة عاصمة بلاده ويمجدها فى هذه الأبيات الرائعة:

صـــــلاة علـى أرضـك الـطـاهـره
ســـــلام علـى روحك الشـــاعـــره
وحب مـــــدى الدهر يا قـــاهـره
★★★
ســـــــلام عـلـى لـيـلـك المؤنـس
ســـــلام عـلـى الـورد والـنـرجـس
إذا انتـــفض الغـــدر لا تيـــأسـى
وإن عـــبس الدهر لاتعـــبـــسـى
★★★
جـــلالك يصنع نـور الصــبـــاح
وحـــقك يعلو ولا يســـتـــبـــاح
فـكـم مـن غـــــوى أتـى ثـم راح
وكـم مـن عـــــتـى طـوتـه الـريـاح
ولازلـــت مـــن ألـــف عـــــــام
مـنـار الـهـــــدى والـســـــلام
ســــتـــــرجـع أيـامـك الـزاهـره
وتـعـلـو بـنـودك يـا قـــــاهـره
★★★

وتفيض بالشاعر عواطفه الوطنية كما تفيض مياه النهر الخالد على أرض مصر. فيمجد النيل أيضا، هبة الله لوطنه، ويراه رمزا للحب والكرامة والبطولة والحياة فيقول:

يانيل يا هدية الإله
يانغما كأنه صلاه
يا قبلة الحب على الشفاه
وياحياة تسعد الحياه

★★★

سيكتب الله لك السلامه
فشاطئاك الحب والكرامه
وأنت مهد المجد والشهامه
وأنت للحرية المثل
يحمى حماك شعبك البطل

والآن وبعد أن اقتطفت هذه الروائع من ديوان صالح جودت «الله والنيل والحب» ووقفت منها موقف من يخاطب أحد قرائها، ويحاول أن يكشف له عما فيها من طرافة وجمال، اتجه إليك أنت أيها الأخ العزيز صاحب الديوان، وأقول إن تلك الروائع هي صور حية تعكس لنا أبرز خصائص شاعريتك، من رقة في العاطفة، وأصالة في الحس، واتقاد في الخيال، وإشراق في العبارة ونفاذ في النظرة إلى المرأة والحب.

هذا إلى عاطفة وطنية متأججة ومشتعلة، تضرم في نفوسنا حب مصر، وتجعل من هذا الحب المقدس دينا في أعناقنا، تحثنا أنت الشاعر الملهم على أن نؤديه بكل ما فينا .

الفصل الرابع :

صالح جودت.. الإنسان والشاعر

سـراب، وكل حيـاتي سـراب
وفي وهمه قد أضعت الشباب
سراب، وأسلمته خاطرى
فعللني بالأماني الكذاب
وتابعته، رغم يأسي به
ومعرفتي أنه لايصاب
يروح كمقترب في ابتعاد
ويغدو كمبتعد في اقتراب
وأجهدني السير في إثره
فلا القلب مل، ولا العقل ثاب

صالح جودت

كان صالح جودت إنسانا فياضا بالحب والوفاء والاعتزاز بكرامته وكرامة وطنه مصر .. وكانت مظاهر إنسانيته ساطعة لأصدقائه ومحبيه الذين شهدوا بذلك من خلال مواقف عديدة كان شاعرا عاطفيا طروبا يغنى للحب وينشد أبدع أناشيد الحب والجمال لمن يحب لكن هذا الشاعر الغنائى الطروب لا يلبث أن ينقلب إلى شاعر انسانى عميق مشج عندما تضيق عليه الخناق تجارب الحياة فيصحو وجدانه إلى مافيها من آلام وما فى تلك الآلام من عمق، وذلك عى نحو ما نحس من قصيدة له هى «نحو الآخرة» التى نظمها على إثر مرض عضال ألقى به فى مصحة العباسية حيث أحس باليأس والعناء عندما أوشك الداء أن يقهره، ومن حوله مرضى من أمثاله يزيدون شعوره ببلواه حدة .

وكم يكون شيقا أن نقارن هذه القصيدة بقصيدة مماثلة للشاعر الكبير خليل مطران نظمها فى ظروف مماثلة وهى قصيدة «المساء» التى نظمها وهو عليل فى مكس الأسكندرية:

داء ألم فخلت فيه شفائي
من صبوتى فتضاعفت برحائي

وعندما بلغ صالح جودت الخمسين من عمره اكتشف أنه قد أضاع : عمره فى البحث عن الحب رغم عشقه للجمال بعد

أن صدم عدة مرات فى قصص حبه وكأنه كان يجرى وراء السراب الخادع، فكتب فى لحظة اعتراف تحت عنوان «لا أحب الحب ولكن أحب الجمال» يقول : (١)

«أريد أن أعترف اعترافا خطيرا ..

«لقد فقدت قلبى، فأنا الآن أعيش بغير قلب! وأرجو من كل فتاة أو امرأة يضعها القدر فى طريقى ألا تصدقنى حينما أهمس لها : «أنى أحبك» .. فقد أصبحت لا أؤمن بالحب !

وكثيراً ما أخلو إلى صديقى أحمد رامى فى الليل، على «روف» أحد فنادق القاهرة، نتحدث فى الحب، فيقول لى رامى: أن الحب هو السهد والحرمان والعذاب والدموع.

أما أنا .. فإنى أنكر أن الحب كذلك .. بل أنكر الحب أصلا .. ومع هذا فإنى أحب أن أسكن إلى المرأة كمخلوق جميل رقيق يؤنس الوحشة ويشيع البهجة والايناس .

أما إذا تحول هذا المخلوق الجميل إلى سهد وحرمان وعذاب ودموع، فإنى أكرهه .. أكرهه من الأعماق!

وآخر .. قصيدة قلتها لآخر امرأة عرفتها، كان عنوانها «كبرياء» قلت فيها :

أجل .. أنت فاتنة .. إنما
أرى عزة النفس لى أفتنا

---

(١) الكواكب : ٩ سبتمبر ١٩٥٨.

وإن كان عندك سحر الجمال
فسحر الرجولة عندي أنا
وإن كثرت فى هواك القلوب
فذلك من بعض ما عندنا
وأنت المنى .. غير أنى امرؤ
يذل للكبرياء المنى
ويكره فى الحب بذل الدموع
وبسط الخضوع وفرط الضنى
إذا المرء هان على نفسه
لكان على غيره أهونا

وأنا أعترف، بكل شجاعة، أن كل من يقرأ مثل هذا الشعر، ومثل هذا الانكار للحب، إذا كان الحب معناه السهد والحرمان والعذاب والدموع، سيقول لى من فوره : «أنت تعانى عقدة نفسية»!

وهذا صحيح...

لقد فقدت قلبي، الذى خرج من صدرى، وحلت محله عقدة نفسية صنعتها ثلاث نساء.

الأولى عرفتها إذ نحن طفلان .. هى فى الخامسة، وأنا فى العاشرة.

وكبرنا وكبر الحب حتى بلغ مبلغ الشباب كانت جميلة سمراء، وكانت شواطيء المنصورة مسرح حبنا الكبير»، ومن

حبها أحببت الجمال الأسمر، ووضعته فوق كل ألوان الجمال.

وحينما ودعت هذه الشواطيء، وقفت أناجيها قائلا :

لى حبيب فيك أفديه بعمرى
سمرة النيل على خديه تجرى
هو إلهامى وأحلامى وشعرى
ونعيمى بين عينيه وسكرى
كان عند الليلة الظلماء بدرى
وله نجواى فى دنيا اغترابى
يا ترى يذكرنى بعد الغياب؟
آه مما بى، وهل تدرين ما بى
يوم ودعتك ودعت شبابى

وبقى لهذه الطفلة فى خيالى تمثال جميل .. تمثال رائع .. كنت أسميه «مثالية الحب» .

والتقينا بعد ذلك فى القاهرة، واستأنفنا قصة حبنا القديم، فى أفلاطونية لم يعرف مثلها أفلاطون نفسه.

وحينما همت بأن تقدم أجمل ما عندها لرجل .. قدمته لرجل غيرى !

وانهار التمثال الجميل ..

وانهار معه سحر الجمال الأسمر فى عينى، ومات فى قلبى .

وكان هذا هو الحجر الأول فى بناء عقدتى النفسية ضد الحب.

وجاءت الثانية ..

وكانت فى هذه المرة شقراء .. خضراء العينين، ذهبية الشعر.

وبهرتنى .. وبدأت ثانية المآسى فى حياتى واستمعت إليها طويلا ، وكانت همساتها أعذب من الشعر وألذ من الموسيقى.

وكانت أفكارنا تلتقى دائما عند نهاية واحدة .

وانتهى حديثنا إلى الزواج.

ورحنا نتصور كل شىء.. نتصور عشنا على طريق الهرم.. وما فيه من أثاث.. وما يزينه من ورود .. وما ينتظرنا من بنين وبنات.

وفجأة .. تلقيت بطاقة دعوة إلى حفلة زفافها .. إلى شيخ يكبرها بثلاثين عاما على الأقل .

وأذهلتنى قسوة المفاجأة .. ولكنى عرفت بعد ذلك أن هذا الشيخ قد حبب لها الطموح.

لقد كان وزيرا فى ذلك العهد .. ومنذ أكثر من عشر سنوات .

وقد أعجبتها الفكرة، أن تصبح زوجة وزير، ويقف على بابها الحراس ذوو الأزرار المذهبة، وأن تدعى إلى مآدب القصر الملكى!

وذهبت مع الريح .. تاركة فى أعماقى حجرا ثانيا فى بناء عقدتى النفسية !

ثم جاءت الثالثة ...

وأقول مخلصا أننى لم أتعمد أن أحب الأولى لأنها كانت سمراء، ولم أتعمد أن أحب الثانية لأنها كانت شقراء ولكن هكذا شاء القدر.

وكذلك شاء القدر أن تكون الثالثة من لون جديد.

كانت بين بين، معسولة العينين، كستنائية الشعر .

وكانت أذكى امرأة فى الوجود ..

كانت مثقفة .. تقرأ ليل نهار .. وتعشق الشعر والأدب والموسيقى ..

ولكن أجمل ما فيها أنها كانت قوية الإلهام .. كل كلمة أو نظرة أو همسة أو خطرة منها، كانت عندى ملحمة كاملة!

ووقفت عندها أحس أننى أسترد كل ما فقدت من عاطفتى وانسانيتى فى الحبين السابقين.

وذات ليلة، انسربت إلى مكان على شاطىء النيل لأخلو إلى نفسى .. لأنظم فيها أجمل أنشودة فى حياتى.

وجعلت أتخيلها .. فإذا بها أمامى وجها لوجه .. ولكن فى ذراع رجل آخر .. بعد حب دام لخمس سنوات !

هكذا انهارت التماثيل الثلاثة، التى كانت - بالصدفة - تمثل كل لون من ألوان الحب، وكل لون من ألوان الجمال.

وبعد .. أفلست معذورا حينما أقول اننى فقدت قلبى، وأصبحت أطوى صدرى على هرم مدرج من العقد النفسية؟

أجل .. اننى لم أعد أحب الحب، ولكننى لازالت أحب الجمال !

★★★

وعندما رحل صالح جودت عن الحياة فى ٢٣ يونية ١٩٧٦ تناول الكاتب الصحفى فكرى أباظة (١٨٩٣-١٩٧٩) بعض جوانب صالح جودت الإنسان والشاعر ، فقال : (١)

عندما توفى إلى إلى رحمة الله شاعر النيل الكبير «حافظ ابراهيم» رثاه أمير الشعراء «أحمد شوقي» بقصيدة استهلها بهذا البيت :

قد كنت أوثر أن تقول رثائي يامنصف الموتى من الأحياء

ومن غير تشبيه ، كنت أوثر أن يتوفانى الله قبل «صالح» وأنا أكبره سنا بعشر سنوات على الأقل، ولكن شاء القدر ألا يرثينى هو وأنما أرثيه أنا .

---

(١) الهلال : أغسطس ١٩٧٦.

ورثاء «صالح» بكلمات عابرة مكتوبة ومقروءة أو مرتجلة ليست الإنصاف الذى أشار إليه أمير الشعراء أحمد شوقى الذى صدرنا هذه الكلمة بمستهل قصيدته فوصف حافظ ابراهيم بأنه «منصف الموتى من الأحياء» !

وصداقتى بفقيدكم وفقيدى «صالح جودت» عمرت أكثر من أربعين عاما وكان يهدينى بدرة من درره الغالية قصيدة من قصائده العامرة عقب كل «نعمة» أو عقب كل «محنة» ومازلت أحتفظ بدرره وقصائده بين أنفس ما اعتز به من أوراقى ووثائقى .

من حق «صالح» ومن واجبنا انصافه ضميراً ووجداناً وقلماً أن يصدر عنه كتاب يحلل هذه الغرائز الثلاث لحياته، ويشفع كل ما انتجته قريحته الجوادة بتحليل أو تفسير فنى ، شعرا أو نثرا، وخطبا أو صحافة . فإنه قدم الكثير، والكثير الوفير لوطنه والأوطان العربية مما يستحق التحليل ..

دواوين ستة من شعره الفياض بين إلهيات علويات سماويات وبين اجتماعيات طرقت كل باب وبين مقطوعات غنائية إذاعية صدحت بها موسيقاه مع أصوات أبدع المطربات والمطربين ...

وأكثر من هذا، وأصدقه فى التحليل والتسجيل طوافه حول «الكرة الأرضية» بعنوان «القلم الطائر» حول القارات

الخمس مما اعتبر فى عالم الصحافة فتحاً جديدا وسبقا عديم النظير !

على أن أقوى ما يرفع رأس كل مصرى قصائده العديدة التى ألقاها فى مؤتمرات الأدباء والشعراء فى دمشق، وبغداد، والجزائر، والرباط، وعمان، والسعودية، وليبيا، وبيروت .

لم تكن المهمة مهمة قصائد تلقى وفيها من الوطنية العربية مافيها ولكن كان أقو ى من هذا وأعنف ذلك اللجاج الذى شب فى كل مؤتمر حملة على مصر والمصريين، فكان يرد رده المقنع الذى يخرس الألسنة ويحسم اللجاج ولا أدرى لماذا كانت الحملات فى كل المؤتمرات ولعل «الزعامة المصرية» هى التى تسللت إلى تلك المؤتمرات تحت عنوان «مركب النقص» عند بعض الأدباء والشعراء» .

وكان بعض الحاقدين الناقدين يأخذون عليه، شاعرا، لأنه امتدح وارتفع بممدوحه إلى الذروة . ثم انتقد وجرح فى مرحلة اخرى من مراحل هذا الممدوح ! وتعليل ذلك وتفسيره أن «الشاعر» فى جميع مراحل الشعر من الجاهلية حتى الإسلام وحتى اليوم كان بين مدح وقدح، لأن حياة «الممدوح» تنتقل بين صلاح تارة، وفساد تارة أخرى . وبين استقامة حينا والتواء حينا آخر ولايستطيع ضمير الشاعر أن يغفل

الحسنات أو يغفل بعد ذلك ما وقر من السيئات هذا هو تحليل البند الأول من العنوان الذى اخترته وهو «الضمير» .

اخترت من حياة «صالح» البند الثانى وسميته «الوجدان»: وعجيب فى غريزة الراحل العزيز أنه كان لدرجة الإسراف جوادا لدرجة الإتلاف كان إذا ذرف البائس الذى أمامه دمعة من دموع الوجيعة والألم ينثر من جيبه الخاص المعونة المالية إعانة وإقالة، وقد أتعبنى حينما كنت رئيساً لهذه المؤسسة وهو النائب لمجلس الإدارة، ورئيس التحرير المسئول معى ، انه كان يجود بالمكافآت والإضافيات المبالغ فيها، وكنت بكل تحفظ ألفت نظره إلى شىء فى هذه الدار اسمه «الميزانية» وشىء آخر اسمه «اللائحة» وكان لايعبأ إلا بأن يجود ويغدق .. وتلك غريزة لا فى حياته العامة فقط وإنما فى حياته الشخصية العجيبة فى جميع أدوارها كان من يوم انشاء نقابة الصحفيين - وكنت نقيبا أكثر من مرة - أنه بجانب إشرافه كمحاسب مشرف على أموال النقابة وحرصه عليها يناقض نفسه ويمنح الإعانات الفياضة للمتظلمين بسبب أزمة مفاجئة، وكان يؤجل إلى أجل غير مسمى «الديون» المستحقة على بعض أعضاء النقابة، وبعض أعضاء «مجلس إدارة النقابة» إلى أجل بعيد «مسمى» أو إلى «أجل غير مسمى»

كان ذلك هو «وجدان» صالح جودت أو غريزته المغدقة التى تبسط يدها كل البسط لإخوانه وزملائه .

أما «قلم» صالح جودت وهو البند الثالث فى هذا العنوان فقد جرى جريه وركض ركضة من يوم أن ولى منصب «مدير الإعلام» فى بنك مصر وخبير الإذاعة بعد ذلك، والمحرر الصحفى اللامع فى الأهرام ودار الهلال فى مجلة «الاثنين» و«المصور» زمنا طويلا لم يناقض غريزته الأولى والثانية وهما غريزة الضمير الحى ، والوجدان الصادق المغدق .

تآمرت عليه أوجاع وأمراض ثلاثة منها ما أصاب القلب . وما أصاب الكبد وما أصاب الأمعاء والمرىء وما استقر واستعصى على الأطباء بل لا يزال مستعصيا على أطباء العالم جميعا وهو الداء اللعين الذى لا نسميه !

لا يمكن أن يستطيع كاتب مع ما أحاطه ببلاغة التعبير ودقة الوصف أن يذكر فى رثائه ما احتمل فى مراحله الأخيرة من شقاء وعناء وهو لا يستطيع أن يتحرك أو ينام أو يأكل، عامين متواليين مترنحا فى فراشه بين مستشفى ومستشفى وبين «غرفة انعاش» و«غرفة انعاش» ، وبين عملية جراحية وعملية جراحية فى القاهرة وفى لندن، ومع ذلك ورغم ذلك كان «الصبر العبقرى» هو جرعته ، وهو دواؤه، وكان فى غيبوبته الأخيرة يحتمل ولايستطيع الشكوى .. ثم لما دنت

اللحظة الأخيرة عرفها واكتشفها وقال لى فى لحظة الوداع ..
«الحمد لله خلاص» !!

وانتهى صالح جودت بعد أن خلف وراءه ثروة طائلة لا من المال السائل ولا من المزارع المزدهرة ولا من العمارات الشاهقة وانما خلف وراءه صرحا أغنى من كل ثروة !.فبوالله خلف وراءه ثروة طائلة من نتاج ضميره ووجدانه وقلمه .

إلى أصدقائه وزملائه وتلاميذه أكرر العزاء ثم أقول إنه لم يغب عنا بل مازال اسمه صداحا ومروحا وغذاء للقلوب والنفوس فى كل ناحية من مناحى وطنه العزيز وأوطانه العربية العزيزة، ثم مازلنا نسمع صوته محللا وملقيا ومذيعا وفيما نثره فى السنين الطويلة درسا وعظة وعبرة لكل من يحاول أن يقتدى به ويجرى على منواله .

إلى زوجه الكريمة الأصيلة الصبور، أكرر العزاء ، أكرر العزاء داعيا الله من أعماق نفسى أن يشملها الله سبحانه وتعالى بالصبر الجميل جزاء وفاقا لما احتملته وأدت من واجبات «الزوجة المثالية» الجديرة برعاية الله» .

★★★

ويتناول صديقه أنور أحمد لمحات من صالح جودت الإنسان والصديق الذى عرفه لسنوات طوال، فيقول : (١)

---

(١) المرجع السابق.

مال أحبابه خليلا خليلا وتوالى اللدات إلا قليــــلا
نصلوا من غبار الليالى ومضى وحده يحث الرحيلا

ما أكثر ما كنت أروى هذه الأبيات من شعر شوقى كلما فجعنا القدر فى الأعوام الأخيرة برحيل صديق من رفقاء رحلة العمر ، فكان - رحمه الله - يهز رأسه ويقول :

- إننى أرثى كل يوم راحلا عزيزا .. ترى من سيرثينى عند رحيلى ؟!

ثم يضحك فى مرح ويقول :

- ولماذا أنتظر؟ ما رأيك فى أن أكتب قصيدة رثاء لنفسي؟

كان ذلك منذ ثلاثة أعوام، ولم أكن أدرى أن المرض الوبيل يتربص به ليفتك بصدره وليجعل منه بعد قليل حديثا يروى .

لهفى عليك أيها الصديق !

لقد زرته فى اليوم التالى لعودته من رحلة العذاب الثانية، فرأيت النهاية المفجعة على وجهه، وحاولت أن أتماسك أمامه وأخفى عنه تأثرى وانزعاجى ولكنه فاجأنى بقوله :

- هل تعلم أن أيامى معدودة ؟ لقد صارحنى الأطباء فى لندن هذه المرة بالحقيقة وأصروا على عودتى بسرعة .. وأننى قد أنتهى فى خلال أسبوعين !

وكانت هذه ذروة المأساة .. شاعر وفنان فى رقة صالح جودت يعلم أن حياته توشك أن تنطفىء وأنه سيموت بعد

أيام! .. أى قسوة رهيبة تطحن الأعصاب وتمزق كل وشائج الانسانية فى أعماق الإنسان !

«سأموت بعد أيام ..»

كان يقولها فى هدوء وبساطة وكأنه يتحدث عن رحلة من رحلاته الكثيرة التى كان يقوم بها، هل فقدت الكلمات مدلولها ومعناها ؟! ألا ما أتفه الحياة ! ...

ومضى صالح جودت يقول :

«لقد عشت طويلا .. عشت بالطول والعرض ، وإنى أثق فى رحمة الله تعالى فقد كتب على نفسه الرحمة وأنه الغفور الرحيم .

ورأى الدموع فى عينى ، فقال وكأنه يواسينى :

- إننى راض بقضاء الله ... وهذه هى قصة الحياة والموت .

ثم أنشد وهو يبتسم فى حنان :

مشيناها خطا كتبت علينا
ومن كتبت عليه خطا مشاها
ومن كانت منيته بأرض
فليس يموت فى أرض سواها

وبعد خمسة أيام كنت أمشى خلف نعشه أودعه فى رحيله الأخير

عرفت صالح جودت منذ أكثر من ثلاثين عاما، وجمعت بيننا صداقة عميقة حلوة، كانت بمثابة الواحة وارفة الظلال في صحراء الحياة، يأوى إليها المتعب المكدود فيجد فيها طيب الجنى وشهى الثمر كما يجد الأنس والحنان وبسمة الحياة وإشراقة الأمل . ذلك أن صالح كان يقبل على الحياة مبتسما دائما ، متفائلا أبدا ، ساخرا من آلامها مفلسفا لمصائبها، قائلا إنها باطل وقبض الريح وعلينا أن نأخذ نصيبنا منها ولا نأسى على مايفوتنا .

ولهذا فإنه كان على رقته إنسانا صلبا لاتزلزله الأحداث.

وهذه قصة للتاريخ ...

في أوائل عهد الثورة ذهب يوما في الصباح إلى مكتبه بالإذاعة فمنعه من الدخول شخص يحمل في يده كشفا به عدة أسماء وأبلغه أنه مفصول وعليه أن يلزم بيته .. وقد رأيته، فدعاني للسهر معه ، وقضى ليلته يسمر ويضحك وكأنما يحتفل بترقيته لا بفصله الذى لم يعرف له سبباً، ولما سألته عما ينوى أن يفعل قال إن معى قلماً لن أجوع طالما كان في يدى ..

في تلك الأيام كان مصطفى وعلى أمين قد أحدثا ثورة في الصحافة المصرية، وعمدت دار أخبار اليوم إلى استقطاب عدد من كبار الأدباء والكتاب واحتكرت نشر انتاجهم بينما

كانت دار الهلال تعتمد في الغالب على استكتاب الأدباء بنظام القطعة .. وأراد أصحاب دار الهلال أن يدعموا مجلاتهم لتساير الثورة الجديدة وتثبت أمام المنافسة، ففكروا في التعاقد مع عدد من الأدباء والكتاب وسألني المرحوم نسيم عمار مدير تحرير «المصور» في ذلك الوقت عمن أرشحه لهذا الغرض ، ولما رشحت له صالح جودت أخذني إلى الأستاذ إميل زيدان أحد صاحبي دار الهلال الذي قال لي :

– ولكن صالح جودت شاعر .

– إن نثره في رقة شعره .

– وهل يرضى أولو الأمر عن عمله في دار الهلال بعد أن أخرجوه من الإذاعة ؟

– عليك أن نجس النبض وتستأذن ..

– هل تأتي به ليشرب معي فنجان قهوة ؟

– أفضل أن تتصل به أنت مباشرة لأنه مرهف الإحساس شديد الكبرياء وأنت صاحب الدار ورب العمل .

ودخل صالح جودت دار الهلال ليتألق كواحد من ألمع كتاب المقال السياسي والأدبي والفني ، وليصبح بعد ذلك نائبا لرئيس مجلس إدارتها ورئيسا لتحرير أكبر مجلاتها «مجلة الهلال» .

كان صالح جودت يحب الحياة ، ويعبُّ من كأسها، ويكره أن ينفق ليله فى النوم وكثيرا ما ردد معى بيت الشاعر القديم:

لا تنم واغتنم ملذة يوم   إن تحت التراب نوما طويلا

وهو القائل :

وسهرنا نقدح الصبح ونغتاب النعاسا
ليس من صحبتنا من يجعل الليل لباسا
نحن لا ننسى حقوق الله لكن نتناسي
أملا فى عفوه السابغ عنا والتماسا

وكان صالح جودت يحب الجمال، يحبه فى الطبيعة وفى البشر، ولايطيق أن يرى شيئا قبيحا، وليس هذا بغريب من شاعر الإحساس، وقد أسرف البعض عليه فى هذا المجال، والواقع أن صالح كان على مذهب عمر بن أبى ربيعة، الجمال عنده وحى وإلهام لشعره قبل أن يكون متعة حسية .

وقد كان صادقا عندما قال فى قصيدة من قصائده :

يطالعنى وراء السرب سرب
ولى قلب على الظبيات حدب
أشاهدهن ألوانا حسانا
فلا أدرى لأيتهن أصبو

هذا هو صالح شاعر الحب والجمال، يرفرف بجناحيه متنقلا بين الأزهار يستاف عبيْرها، ويملأ عينيه من ألوانها ،

ليفرز أحاسيسه للناس بعد ذلك شهدا مصفى . ولفرط حبه للحياة وعمق إحساسه بها كان قلقا دائما ، لا يكاد يستقر فى مكان واحد فكما أن النحلة تقضى يومها تتنقل من روض إلى روض وتثب من زهرة إلى زهرة ، كذلك كان صالح يقضى نهاره وليله متنقلا من مكان إلى مكان ، ويرى فى ذلك تجديدا للنفس، وتعميقا لإحساسه بالحياة، وكأنما يريد أن يجمع الدنيا كلها فى مكان واحد لتكون تحت نظره وفى متناول يده، وأن يختصر الزمان كله فى الساعة التى يحياها ليعيش فيها عمرا كاملا ، وكأنه المعنى بقول شوقى :

يومى بأيام لكثرة ما مشت
فيه الحياة وليلتى بليالي

وهكذا عاش حياة عريضة عميقة يومه فيها بأيام وليلته بليال كثيرة وهو فى خلال ذلك ينثر حوله البسمة المشرقة، والدعابة المرحة .

أجل .. كانت الدعابة من أبرز سمات صالح جودت الإنسان. ولكنها لم تكن الدعابة الجارحة التى تجرح وتسيل الدماء ، ولكنها الدعابة الحلوة التى تجعل الإنسان يسخر من ضعفه ويضحك من نفسه .

وكانت دعابته تثقل أحيانا على أصدقائه الذين لا يدركون حقيقة نفسيته الصافية، فكان يسارع إلى غسل ما علق بنفوسهم، ويسبغ عليهم من حنانه ورقته الشىء الكثير .

والواقع أن صالح كان يحمل بين جنبيه قلب طفل كبير، يفيض بالحب والحنان ويشيع الأنس والبهجة فى كل مكان.

هذه لمحات خاطفة من صالح جودت الإنسان والصديق، مجرد لمحات بقدر ما تسمح به ظروف الفجيعة التى لاتزال تعصف بكيان أصدقائه .

أما صالح جودت شاعر الحب والجمال الذى ملأ الدنيا بأهازيج غزله الرقيق الممتع ، وصالح جودت شاعر الوطنية والقومية والعروبة جهير الصوت فى كل مؤتمر للأدباء ومهرجان للشعراء، وصالح الكاتب السياسى الجرىء المناضل عما يؤمن، ومؤلف الرواية الطويلة والقصة القصيرة، وكاتب التراجم والدراسات الأدبية والنقد الفنى والأدبى . فهو موسوعة تحتاج إلى عديد من الدراسات المتأنية التى تجلو جوانب الأديب الكبير الراحل .

فإلى جوار الله أيها الصديق وفى رحاب الرحمن الرحيم الذى ناجيته فقلت :

إلهى وأنت العلا والجلال
وأنت جميل تحب الجمال
حنانك يارب ملء الوجود
وعفوك فوق حدود الخيال

وأنت الكريم وأنت الرحيم
ومنك العطاء ومنك النوال
يؤمل عفوك جم الذنوب
ويسعد فى حبك العابد
وفى كل ما حولنا آية
تدل على أنك الواحد»

★★★

ويستعيد الدكتور سيد نوفل بعض ذكرياته عن صالح جودت الإنسان والأديب فيقول :

«قد يتحدث الناس عن صالح جودت الشاعر العاطفى الرقيق، والوطنى المتدفق إيمانا وإخلاصا لوطنه وعروبته، ومؤلف الاغانى السائرة التى تملأ الأسماع والقلوب والمقتدر الموهوب فى عالم التأليف المسرحى والإخراج الاذاعى والميدان الاعلامى.

وقد يتحدثون عنه كاتبا أدبياً وسياسيا مرموقاً،ومناضلا عن رأيه فى الالتزام بعمود الشعر العربى، ومقاومة الاتجاه اليسارى، وقد يتحدثون عن وفائه وسماحته وكرمه وتفاؤله الدائم، رغم الأمراض والتحديات والمصاعب التى ناء بها طوال حياته..

لكنى فى حديث اليوم لن أتجاوز الايراد لبعض الخواطر، التى يستذكرها الانسان فى مقام الأسى لصديق راحل، ارتبط به حينا من الدهر، ثم غاب عنه وولى كما تغيب الأيام والليالى وكل شئ فى هذه الحياة.

كانت بداية الطريق لمعرفتى بصالح جودت فى نهاية الثلاثينيات .. فقد كنت أشغل حينئذ وظيفة السكرتير الفنى لوزير المعارف: وزعيم الفكر والسياسة المرموق الدكتور محمد حسين هيكل .. وكانت اختصاصات وزارة المعارف تشمل التعليم بجميع مراحله وشئون الثقافة والمسرح والموسيقى جميعاً.. وكان صالح جودت يتردد على مثلما يتردد خليل مطران شاعر القطرين، ومحمد الأسمر الشاعر المصرى، وسليمان نجيب مدير دار الاوبرا.. وغيرهم ممن يتصل نشاطهم بوزارة المعارف، أو يتوسطون فى بعض المطالب..

وكان الدكتور يمنحنى ثقته التامة، ويعتمد علىّ اعتمادا لا حدود له فى شئون الوزارة حين تولاها وفى اخراج آثاره الخالدة قبل توليها وبعده ..

وكان للشاعر المرحوم محمد الأسمر بعض مطالب المجانية لأقربائه .. وكنت معروفا بالتزمت فى معالجة هذه الشئون. والبت فيها بمنهاج دقيق صارم، حتى هاجمنى أصدقائى ،

ورمونى بأننى لا قلب لى .. وضاق الشاعر الأسمر بأن طلباته تأخذ طريقها العادى ، ولا تنال عناية خاصة .. فهاجمنى بمقطوعتين أودعهما ديوانه المطبوع وكان مطلع الأولى :

وهبنى صبرت على هيكل فمن لى بصبرى على نوفل؟!

وكانت الثانية بالغة الاقذاع، مستفيضة السخرية.. يكفى فى الدلالة عليها مطلعها :

ياسيد، ياجعـــر فاصنع صنيعا يسر . !

إن كان ذلك حقا فاصنع صنيعا يسر . !

وأرسلها الشاعر الأسمر إلى الوزير بواسطة أحد المقربين منه، كما أرسلها إلي بواسطة صالح جودت .. وعرفت صالحا ومروعته ووفاءه وبشاشته، واستطاع التأثير فى المنهاج الصارم الذى ألتزم به، وأن ينجز للشاعر الأسمر مايريد رعاية لقربى الأدب التى تجمع بينى وبينهما ..

والتقيت بصالح كثيرا ، وسعدت بوده وشعره وفنه .. ومضى الزمان أربعة عشر عاما سويا ...

وفى بداية عام ثلاثة وخمسين . وأثناء الحركة التى أطلقت عليها الثورة «حركة التطهير» ، كنت مديرا للإدارة التشريعية بمجلس الشيوخ والسكرتير العام للجنتى مشروع الدستور وإصلاح التعليم الجامعى .. وعهد إلى مع قاض ووكيل

نيـــابة ووكيل وزارة تطهير موظفى الهيئات المستقلة التى لا يـــتـــولى أمـــورها وزراء ، وهـى البـــرلمان ومـــجلس الوزراء والأزهر والإذاعـة.. وكـان صـالح جـودت من كـبـار مـوظـفى الإذاعة الكفـاة، فنالتـه الشكاوى والاتـهامـات مـثلمـا نـالـت كل كـــفء مـــخلص فى عـمله، تطلعـا من الحـاقـدين الى وراثة المقتدرين ..

وكـانت أعـجب الاتـهامات الموجـهة الى صـالح، فـتنتـه بالفن والجمال، وضـعفه الشديد أمـام أم كلثوم وغرامه العـميق بهـا، ضـعفـا وغرامـا لا يجـملان بالموظفين لعهد الثورة ولا يتلاءمـان ومبادئها.

وانتـهت اللـجنة الى حـفظ الاتـهامـات الموجـهـة إلى صـالح وبعض الصـفـوة من العـاملين فى الإذاعـة الذين لا ترضـى عنهم المخـابرات .. وأوصت بالاســتـغناء عن عـدة مـوظفين يفتقرون إلى مقـومات العمل الإذاعى ، ولا يؤدون أعمالهم على وجه مرض، ويمارسون أنشطة خارجية لا تتفق وواجب العمل فى الإذاعة الوطنية ..

ودهشت معْ زمـلائى فى لجنة التطهير حين فصل صـالح والصفـوة من زمـلائه الذين برأت اللجنة سـاحـتـهم وأشـادت بجـهودهـم ، واسـتمر الموظفون العـاجزون المخـالفون لواجبات

العمل الوطنى الذين أوصت اللجنة بالاستغناء عنهم .. وكانت حجة الفصل والإبقاء قاعدة لا يمكن تطبيقها ، وهى التلاؤم «من الملاءمة لا اللؤم» وعدم التلاؤم مع الثورة ! ..

ولم يمض وقت طويل حتى فوجئت باجراء ضدى ، لأنى لم أتلاءم مع الثورة فى أداء عملى بلجنة التطهير، ولم أقترح فصل الذين شاءت المخابرات فصلهم .

وكانت الأشهر الأولى من عام أربعة وخمسين هى خير الأيام التى سعدت فيها بصحبة صالح جودت ، صحبة سداها الأدب والفن ولحمتها الود والإخلاص ...

ثم جاء عملى بالجامعة العربية فى خريف ذلك العام، فاصلا بينى وبين الاستمتاع بهذه الصحبة العزيزة ...

وتدور الأيام دورتها ، ويبلغنى صالح فى سبتمبر «أيلول» لعام ستين وتسعمائة وألف، أنه سيحضر دورة اعلامية فى نيويورك دعت إليها الأمم المتحدة، وأنه يرجو أن يلقانى هناك أثناء حضورى اجتماعات الأمم المتحدة ممثلا لجامعة الدول العربية ..

وألتقى بصالح اثر وصوله إلى نيويورك، وأعرفه بها فى ساعات قليلة ثم أذهب لمتابعة بعض القضايا العربية المطروحة فى اللجنة السياسية من مساء ذلك اليوم.. ولا يحضر صالح

للعشاء ، وأتفقده بحجرته في الفندق طوال الليل فلا أجده . ويتصل بي في الفندق صباح اليوم التالي ويبلغني أنه عائد إلى الفندق بعد أن أمضى طوال الليل خارجه ..

وأسأله عن خلف الموعد ، وعن حاجته إلى النوم.. ويجيبني صالح : أما خلف الموعد فيجب أن يكون قاعدة لتعاملنا مادام كلانا ينشد السعادة لصاحبه .. فأنا أسيرو مجالات السعادة تربطني بها أينما وحيثما لقيتني، وتصرفني عن كل ماعداها .. فإذا أخلفت موعدا لك فاعلم أن ذلك تأويله ..

وأنت قادم للعمل ، وأنا قادم للتعرف على الحياة في هذا البلد والتمتع بألوانها إلى أقصى درجات التمتع .

وأما النوم فنوفره لبلادنا ، فلم آت إلى هنا لأنام ..

وأمر في طريقي إلى الأمم المتحدة في إحدى الليالي ، فأجد صالحا نازلا إلى حان الثلاثمائة (300 BRA) ، ويدعوني للجلوس معه خمس عشرة دقيقة لا تعطلني كثيرا ..

وأنزل معه إلى الحان في الدور الأرضي ، فأجده نجما بين الأمريكيين الموجودين بالحان : شيوخاً وشبابا ورجالا ونساء.. ينادي هذه بأختي وتلك بابنتي ، وهذا بأخي وذلك بابني ، ويندمج مع الجميع أيما اندماج . ويسعد كل السعادة بالحديث إليهم والاستماع منهم ..

ومع ذلك فقد أدى لمصر أعظم الخدمات في هذه الزيارة..

لقد أنشد العرب هناك مطولته البليغة عن التقدم المصرى المعاصر : سياسياً واقتصاديا، وجمعهم من حوله جمعا سعيدا بلقائه كما حاضر الامريكان بالانجليزية معرفا بعدالة القضايا العربية .

وعلى طول السنوات الأربع الأخيرة، توثقت صلاتى الأدبية بصالح .. فمنذ تولى رياسة تحرير الهلال أخذ يلح على بطلب الكتابة الأدبية المفضلة عنده .. وكانت حجته فى ذلك أن الأدب والفن هما أعز ما فى الحياة».

***

كانت فلسفة صالح جودت فى الحياة، هى حب الجمال فى الطبيعة والبشر، وليس هذا بغريب من شاعر رومانسى مجنح الخيال، مرهف الإحساس، يرفرف بجناحيه متنقلا بين الأزهار، يستاف عبيرها، ويملأ عينيه من ألوانها، ليفرز أحاسيسه فى شعره، شهدا مصفى، فعكس شعر صالح جودت حبه للجمال وحبه لوطنه مصر إلى درجة التقديس والوجد، فكان هناك ارتباط عميق بين الإنسان والشاعر، لأن شعر صالح جودت ينم عن ملامح صالح حودت النفسية والوجدانية والإنسانية.

الفصل الخامس :

صالح جودت
فى مرآة النقاد

أنا فـى رحلة عــمــرى، طفت من واد لوادى
مــــارنت عـــينى أجـــمل من ثغــر بلادى
المنى فـى كل شط والسنـى فـى كل نادى
هاهنا البـحر غذائى، هاهنا الرمل وسادى

صالح جودت

يتناول د. مختار الوكيل (١٩١١-١٩٨٨) أحد شعراء أبوللو (١٩٣٢ - ١٩٣٤) الذين زاملوا الشاعر فى تلك الحقبة وصادقه بعض جوانب شاعرية، صالح جودت، وبعض ذكرياته عنه فيقول (*) :

«فى الحياة تصرفات عجيبة، وفى نفوسنا هواجس وخوالج غريبة، لا نكاد نجد لها تفسيرا أو تعليلا !

عندما دعيت للكتابة عن ملحمة (شاطىء الأعراف) للشاعر الموهوب محمد الهمشرى، فى عدد مايو ١٩٧٦ من مجلة (الهلال) داهمنى إحساس غامض غريب، بوجوب التأهب للكتابة عن صديقه ورفيق صباه وصباى الشاعر العاطفى صالح جودت. فهما صنوان، نشأ معا فى مدرسة المنصورة الثانوية . ولقد لقيتهما وهما متوادان متحابان متشابهان فى كثير من الخصال والصفات عندما التحقت بتلك المدرسة عام ١٩٣٠. أجل ، (لقد وجدت بين صفوف تلاميذ تلك المدرسة - كما ذكرت فى مقالى السابق - طالبين ألمعيين متميزين بما ينظمان من الشعر المتألق الأنيق الرفيع، هما الشاعر صالح جودت، رد الله له كامل الصحة وحفظه ذخراً لدولة الشعر والأدب، ومحمد عبدالمعطى الهمشرى) ..

(١) الهلال : أغسطس ١٩٧٦ .

ولقد خامرنى إحساس غامض عجيب وأنا أدعو الله أن يرد صالحا من غربته موفور الصحة، أجل أحسست أننى يجب أن أتأهب للكتابة عن صالح كما أحتشد للكتابة عن الهمشرى وبدأت فعلا أستعد لذلك !

فلما نشرت (الهلال) مقالى عن الهمشرى أدهشنى أنها وضعت صورة صالح مواجهة لصورة الهمشرى ! لقد كان ذلك من ترتيب القدر ولا دخل لفرد فى ترتيبه وإعداده !

مرحلة الإرهاص !

ولما نعى الناعى صالحا لم أدهش لموته. فقد كان يعانى من الآلام ماتنوء من هوله الجبال الراسيات، وكان هو يدهشنا برباطة جأشه وصموده العظيم لتلك الآلام المهولة ..

وأكذب على الله أن قلت إننى تجلدت وصمدت لهول الكارثة، فلقد بكيت صالحا الأخ والصديق أغزر البكاء ومازلت أبكيه حتى هذه اللحظات، فهو جزء عزيز من صباى وشبابى فقدته شيئا فشيئا ..

لقد نشأنا معا فى المنصورة، ثم تزاملنا مع مطالع الشباب الأولى فى رحاب (أبوللو) وكانت ميولنا تتفق واتجاهاتنا الأدبية تتلاقى . واهتماماتنا تكاد تكون متفقة فى كل اتجاه ..

كنا نقرأ الكتاب الواحد فى الأدبين العربى والأوربى وكنا نحب الشاعر الواحد أو شعراء معينين . وكان سمرنا يمتد

ساعات طوالا بالليل والنهار نتناقش فى كل شىء . فى قصيدة لابن الرومى أو البحترى أو المتنبى أو شوقى ، وقد يدور الحوار حاميا حول شيللى وكيتس وبيرون وتوماس جراى وشكسبير وفيكتور هوجو ولامرتين، وكانت له وللهمشرى آراء ناضجة فى نقد الشعر وشرحه وتفسيره ولاسيما الشعر الأوربى !

وكنا فى تلك الأيام نغشى دار الكتب بباب الخلق ونمكث بقاعة المطالعة فيها الساعات الطوال، وكنا (نفترس) ما يقع بين أيدينا من أمهات الكتب والمراجع، إذا صح هذا التعبير، وكنا فى بعض الأحيان لا نترك قاعة المطالعة إلا بعد أن يهم الموظفون بإغلاق الأبواب ! وقد يبدو ذلك غريبا لشباب اليوم، ولكنهم متى أدركوا أن دور السينما وأماكن التمثيل والملاهى كانت قليلة حينذاك إذن لعلموا لم كان إقبالنا عظيما على المطالعة والقراءة فى جد ودأب واتصال.

مرحلة أبوللو

على أن مرحلة السير فى طريق الشعر الرومانسى الصحيح عند صالح جودت بدأت فى رحاب «أبوللو» بعمر شاه بحى السيدة زينب فى القاهرة. وكان ذلك عام ١٩٣٢ عندما التحق بكلية التجارة بالقاهرة. فكأن انبثاق مجده الشعرى كان على موعد مع التحاقه بالجامعة فى القاهرة.

وسرعان ما برز صالح ولمع اسمه فى رحاب (أبوللو) إلى جانب اسماء على محمود طه وإبراهيم ناجي والهمشرى والشابى والصيرفى والسحرتي وعتيق وغيرهم من شباب الشعراء الذين يعود الفضل فى إظهارهم ولمعانهم إلى الدكتور أبى شادى ذلك الرجل الموهوب متعدد الجوانب . أقول – وأنا أستوحى من الذاكرة صورة ذلك العهد الأدبى المبارك المزدهر – ان صالحا شارك بشعره العذب السلس الموسيقى الجميل فى موكب شعراء الشباب على صفحات (أبوللو). ثم جمع صالح طائفة شائقة من شعره – شعر الشباب الحى – فى ديوانه الأول (ديوان صالح جودت) الذى أصدره فى أوائل عام ١٩٣٤ مع تصدير للدكتور أبى شادى، ولعله كان أول ديوان يصدر لشاعر من شعراء الشباب فى جيله الواعد الصاعد. ولقد طالع الناس فى ذلك الديوان نغما عذبا صافيا حنونا، كما طالعوا فيه نغما حزينا مثل قصيدته (الحسناء الباكية)، ونغما متمرداً، كما فى ملحمته (الراهب المتمرد) . وطالعوا كذلك غزلا رقيقا وجديدا كما فى قصيدته (العيون الزرق) حيث يقول :

أيها الهاجر من غير سبب لو تجافى أنا راض بجفاك
العيون الزرق والشعر الذهب ألجآنى يا حبيبى لهواك !

واشتهر صالح بهذه القصيدة التى أخذ الناس يرددونها في كل مكان . وأصبحوا يطلقون عليه اسم (شاعر العيون الزرق والشعر الذهب) وإذا كانت هذه القصيدة لم تلحن بعد ولم تظهر فى أغنية يرددها الناس، إلا أنها كانت ارهاصة للشعر الغنائى العذب الذى أتحف الشاعر المعجبين به فى مصر والعالم العربى بعد ذلك !

مرحلة الانطلاق العاطفى

وأخذت شاعرية صالح تنمو وتتسع مستندة إلى دعائم مكينة من الفصحى ومن ألفاظ مختارة أنيقة، وصور رائعة وموسيقى خلابة . لقد توافرت له الأداة الشاعرة أصدق ما يكون التوافر، واستقامت الخطة واستبان السبيل، ولم يبق إلا أن يعزف الشاعر ألحانه العذبة ليشنف آذان المعجبين فى مصر والوطن العربى الكبير ..

وقد كان ..

عرف شاعرنا بالاتجاه الغنائى الرومانسى الرقيق، ولقد أجاد فى شعر الحب إجادة متميزة، حتى لقد عرف بشاعر الحب، ولكنه كان فى بعض شعره يطلب حب المحال، حب المرأة التى لم تخلق بعد، كما فى قصيدته (سيراناده) حيث يقول :

ما أنت إلا امرأة فى الخيال

رأيتــــهـــا بالقلب رؤيا المثـــال
لـو قـــــدرت «لـيـلـة قــــدر» عـلـى
تحـقـيـقـهـا .. لم أرض هذا المحـال
مـنـاى أن تحــــيـــا بـفـكـرى ..
ولاتـخـطر فى الدنـيـا لـغـيـرى ببـال

وهى قصيدة جميلة تصور لهفة الفنان واشفاقه من أن يكون له شريك فى حبه الكبير الوحيد المثال.

وللشاعر قصائد فى السمراوات كما له فى الشقراوات، ولكنه كان يحن كثيرا إلى نموذج ملهمة قصيدته القديمة فى ديوانه الأول (العيون الزرق والشعر الذهب).

ولذلك عاد فى قصيدته (شقراء) يصور تلك اللهفات العميقة الصادقة ويكرر تلك المَعانى والصور العزيزة عليه، فيقول :

تعـالى ... أنت يا شـقـراء للشـاعـر إلهـام
على عـودك يا شــقــراء للفــتنة أصنام
بـه من ذهبى الشــعــر تســبـيح وأحــلام
ومن سحـر العيون الزرق ألحـان ... وأنغام
إطار من بديع الحـسن لم يرسـمـه رسـام
تعالى ... إن عشاق العيون السود قد ناموا
أجيرى القلب يا شقراء هذا الحسن هدام !

وهى قصيدة جميلة رقيقة تصور ثبات الشاعر فى عشقه

العريق (للعيون الزرق والشعر الذهب) الذى تجلى فى شعر ثلاثينيات القرن العشرين.

على أن الشاعر الفنان الذى ألف عشق الجمال كما قدمنا فى مختلف صوره وألوانه، عاد ليؤكد ذلك فى قصيدته (أغنيات المساء) حيث يقول :

وانتهينا إلى الحديث عن الحب فقالتُ في رقة .. وحياء
أترى أنت لاتزال على عهدك تصبو للأعين الزرقاء ؟
وتشيم الجمال في ذهب الشعر فتهفو لموجه الوضاء !
فتحيرت، إذ يغالبنى الصدق وترنو إليّ عين الرياء !
قلت لازلت .. غير أنى تغيرت وبات الفؤاد رحب الفضاء
إن قلب الفنان يسجد للحسن بشتى الظلال والأضواء

وهنا نشعر شعوراً جارفا وصادقا بالفنان الذى يخفق قلبه لكل ألوان الجمال، وشعر الحب عند صالح جودت هو العمود الفقرى فى فنه، بل وفى حياته كلها، فحاجته إلى الحب كحاجته إلى الطعام سواء بسواء، وبه دائما جوع شديد للحب، فهو محب مسرف فى حبه، زاهد ممعن فى زهده وسبحان من جمع النقيضين فى قلب الشاعر، الذى يرى أنه لا بأس عليه إذا عرف بالحب، أو إذا ذاع سره وتحدثت به الركبان. وهو يجيد وصف ذلك فى قصيدته الرقيقة.(حكاية

فى الحى) حيث يقول:

قالوا حديث حبنا حكاية فى حينا
ينقلها من الوشاة من قصا ومن دنا
ما ضرنا من قولهم يا فتنتى، ما ضرنا؟
وما علينا منهمو ؟ وما لهم ومالنا ؟
أما ملأنا الجو عطراً وجمالا وسنى ؟
وأصبح الزهر سلاما وكلاما بيننا
وأغنيات لا يعيها غير أنت وأنا ...
كم اتخذناه حساباوعتابا لينا

وعندى أن هذه القصيدة ، أو بالأحرى هذه الأغنية، هى من أرق أغانى الحب، وما أجدرها أن تلحن وتغنى !

★★★

ومن أعمق الدراسات الأدبية والنقدية التى تناولت حياة صالح جودت وشعره بالنقد والتحليل تلك الدراسة التى نال عنها الأديب والناقد اللبنانى د. فوزى عطوى(١٩٣٩-٢٠٠٨) درجة الماجستير من الجامعة اللبنانية سنة ١٩٨٠ تحت عنوان «صالح جودت: الشاعر والإنسان».

ونظرا لضخامة تلك الرسالة المطبوعة (٦٠٠ صفحة) فإننى سأختار لمحات من نقد وتحليل الباحث الصديق لبعض الملامح الفنية والإنسانية فى شعر صالح جودت مثل تناوله

لظاهرة الكآبة فى شعر صالح جودت الرومانسى يقول د.فوزى عطوى بعد أن استعرض ظاهرة الكآبة فى شعر الرومانسيين عموما (١) :

«على ضوء هذه الظواهر، نستطيع تكوين مفهوم صحيح عن معنى الكآبة التى نلمسها أحيانا فى شعر صالح جودت الذى لم يكن يبالى بأحداث الدنيا ولو كشفت عن أنياب الملمات، فيأخذ الدنيا، كما تجىء غير متهيب ولا منساق إلى السوداوية التى تغرقه فى اليأس والخوف من الغد :

تلك الحكاية لا تحـركنى إن لم تقع يومـا وإن تقع
أنا آخذ الدنيا، كما قدمت فى غير ما يأس ولا طمع
وأحب أيامى ، وإن كشفت أحداثها عن ألف مصطرع

وهو لا يعبأ بالأيام الآتية، وما يخبئه المستقبل له من مفاجآت :

مالى وللمجهول، أعرفه، فأعيش باقى العمر فى هلع؟

إن شاعرا يرفض اليأس والكآبة، لا بل يرفض شبهة الوقوع فيهما، هو أبعد ما يكون عن «الكآبة السلبية» التى طبعت شعر الرومانسيين، وأما الكآبة التى تتبدى بعض ملامحها فى شعره العاطفى، بصورة خاصة، فهى «كآبة

---

(١) د. فوزى عطوى / صالح جودت الشاعر والإنسان/ دار الفكر العربى بيروت ١٩٨٧/ص ٢٦٠.

ايجابية» لها ما يبررها، وهى لون من التعبير الواعى عن حالة ادراكية لم تخف على الشاعر، حتى ولو كان يتخبط شخصيا في صميم المعاناة الوجدانية، وهو إذ يعترف بكآبته، فانما يفعل ذلك من أجل أن يتلمس سبيل الخلاص منها، بالثورة عليها أو على مسببيها» .

ثم يتناول د. فوزى موقفين سوداويين من خلال قصيدتين لصالح جودت، يقول :

«وبين يدى الآن من قصائد صالح جودت، اثنتان تنتظمان فى ديوانه الأخير «الله والنيل والحب»، وتتسمان ببعض الحزن الكئيب الشفيف الذى يعرفه الشعر الرومانسى عموماً: ولكنهما معا تصفان موقفا سوداويا، الأول مرده إلى ظروف خارجة على إرادة الشاعر والحبيبة معاً، والثانى مرده إلى الحبيبة التى غدرت فخانت. غير أن الموقف السوداوى ليس موقفا انهزاميا يمكن تسجيله على الشاعر، ولكنه موقف فيه الكثير من ثورة الرفض الصامت، فى القصيدة الأولى، والكثير من ثورة الرفض العاصف، فى القصيدة الثانية .

فى أولى القصيدتين، «بنت الجيران» يقول صالح جودت :

لا تسألينى متى أدنو فألقاك
بل اسألى الله أن أنأى وأنساك
بينى وبينك سد فوق طاقتنا

من شائعات وأسوار وأشواك
يا جارتى، كم طوينا ليلنا سهرا
كأننا فى الدجى أشباح نساك
وليس ما بيننا إلا قليل خطى
حفت بألف رقيب ساهر حاك
طبيعة الحسن أن يشقى ببيئته
هل يزدهى الورد إلا فوق أشواك!
يا جارتى هل درى ما فى جوانحنا
من بالتجمل أوصانى وأوصاك ؟
تنهداتك فى شباكك اشتعلت
وأدمعى أحرقت أضلاع شباكى
وأصبح الحى يروى عن صبابتنا
ملاحما من حياة الشاعر الباكى !

وفى ثانية القصيدتين ، يقول صالح جودت تحت عنوان «نهاية قصة» :

يا قلب لا تحفل بها ، واكتب نهاية حبها
لا، لا تصدقها وإن حلفت بعزة ربها
إن التى أحببتها يا قلب ، عبدة كذبها
وهل التى لا تحتوى قلبا، تحب بقلبها ؟

إلى أن يقول فى أسى، متلهفا على أيامه السالفات معها :

يا ضيعة الشعر الذى رقرقته من ذوبها
وخسارة الزهر الذى نمقته فى جدبها
ومرارة الكأس التى عاقرتها فى نخبها
فإذا تمردت الكرامة فى هواك، فلبها
وأفق، فإنك واهم إما خدعت بلوبها !

فإذا انتقلنا الآن، إلى نموذجين آخرين من شعر صالح جودت، فى ديوانه «ألحان مصرية» خدعنا ما فيهما من شفافية الكآبة، وما يغشاها من سوداوية ينساق إليها الشاعر، حتى إذا بلغ نهاية المطاف، وجدناه يهتف بالثورة، ويهيب بالحبيبة أن تثور على اليأس والسراب والقنوط الظالم القاتل، وبذلك نجد الشاعر يتوسل الأسلوب الرمزى طوال رحلته الشعرية . ولكنه سرعان ما يبرأ من الرومانسية، لكى تفضى به المسيرة إلى دعوة ايجابية تتناقض مع مواقف الشعراء الرومانسيين.

فى قصيدته «سراب»، يقول صالح جودت :

سراب، وكل حياتى سراب وفى وهمه قد أضعت الشباب
سراب، وأسلمته خاطرى فعللنى بالأمانى الكذاب
وتابعته، رغم يأسى به ومعرفتى أنه لا يصاب
يروح كمقترب، فى ابتعاد،ويغدو كمبتعد فى اقتراب
وأجهدنى السير فى إثره فلا القلب مل، ولاالعقل تاب !

ويعبر ، بعد هذا عن كونه اصبح كالمدمنين على أمر لا فكاك له منه :

كـــــأنـى بـروحـى أدمـنـتـــــــه
فـــأصـــبـــحـت لا أســـتطيع الإياب
أحث إلـيـــــه الخطى راضـــيـــــا
بأنـى علـى خطـأ فى الحــــســـــاب
وأمــــــــلأ مـنـه كـــــــؤوس المنـى
وأشـــربـهـــا ، فـــيطيب الشـــراب

ثم يروى قصته مع امرأة تهمس بصوتها الناعم أنشودة كأنها منطلقة على شفاه الرباب، فيصورها صوتها فى مسمع الشاعر دمية منمقة بالثنايا العذبة، انها تحدثه بالهاتف، ليلا، والهاتف قريب الخطاب، لكنه بعيد المنال، فتروى حكاياتها بصدق فى مسمعه، وتفتح له صفحات قلبها، وكأنها تفتح أمامه صفحات كتاب، فيلمح فى عمرها حيرة، ويستشف فى صوتها قلقا واضطرابا، كأنما هى تتشهى أن تعيش حكاية حب عاصف، ولكنها تخشى أن يخيب حظها فيه :

وظلـت لقـــــاءاتـنـا فى الخـــيـــــال
فكانـت لنا واحــــة فى اليـــبــــاب
وطـالـت أحـــــاديثنـا الحـــــالمات

كوشوشة من وراء الحجاب
وساءلتها، ليلة، ما اسمها
فقالت: سؤال عصى الجواب
أنا فى حياتك وهم الحياة،
وأنت خيال وراء الضباب
فما همك اسمى إن قلته ؟
أنا كالسراب، فقل لى : «سراب»
ودعنا نعيش على قصة
تتيح لنا فى المنى ألف باب
وتصنع فى الحب أسطورة
مجردة من سمات التراب
فلا لوعة، لا أسى، لا شجى
ولا حرقة، لا ضنى، لا عتاب
ونعشق فى الوهم.. إن الحقيقة
كم تسكر الناس مراً وصاب

فماذا كان جواب الشاعر؟ لقد رآها كمثله تسعى مخدوعة وراء السراب، غير ملتفتة إلى الواقع والحقيقة :

فقلت لها : أنت مخدوعة
أخذت القشور، وفت اللباب
وقد كنت مثلك حتى أفقت

فـــأدركت أنـى أضـــعت الشـــبـــاب
أفـــــيــــقى من الوهـم، يا طـفلـتى
ورودى الصـــراع، وخـــوضى الـعـبــاب
فـــمـــا خــمـــرة الحب إلا الدمـــوع
ومــــا لـذة الحب إلا الـعــــــذاب!

والحق انه لولا هذه الدعوة الأخيرة، التى يوجهها الشاعر، إلى الحبيبة، «بالمراسلة الهاتفية»، إذا ساغ لنا أن نستعمل هذا التعبير تظرفا، لكانت القصيدة راوحت فى حدود الرومانسية وتجاربها المأساوية الكئيبة، ولكن الشاعر، فى أى حال، لم ينس أن يحافظ على عذرية الحب وطهارته، وروحانيته، فلم تتضمن دعوته أى سمة من «سمات التراب»، وإنما أبقت على الحب - الأسطورة الذى روجت له الحبيبة المجهولة «سراب»، كما أسمت نفسها، ولم يتعد هواهما إطار الأحاديث الحالمات فى العشايا.

وفى قصيدته : «الحب مات»، فيتزاوج فيه شعوران : شعور الخيبة التى عانى الشاعر من جراحاتها، وهو يرى الحبيبة تشيح عنه بوجهها، وهو شعور رومانسى أصيل، ثم شعور الكبرياء الجريح التى آثرت الخسارة بشرف، على أن يستعاد الربح مجبولا بمذلة العاشقين العائدين. يقول

صالح جودت:

قالت، وفى القلبين جـرح : الحب إحسان وصفح
إنى ظلمتك حين ضـــج بخاطرى القلق الملح،
وكبا بى الشك العنيــد، فصح لى ما لا يصح،
ورجــعت تائبـة إليك، يردنى ندم وبــرح
خــذنى، فإنك قمـــة، وأنا بغير هواك سفح
أفما ترى صوت الضمير يكاد من خجلي يبح ؟
إن الكريم، وإن تعــذب بالإساءة، لا يشح !

ولقد كان حريا بالشاعرأن يقبل عودة الحبيبة التى برح بها الندم، وحدا بها الحنين إلى القمم الشامخة التى تربعت عليها شخصية الشاعر، كما يقول، ولكن ألمه وغضبه على ما يبدو، كانا قد عطلا كل سبيل إلى الصفح والمغفرة :

فأجبتها متبسما: الحب مات، فليس يصحو
قدكان لى قلب كقلب النور معطاء وسمح
يضفى حواليك الضياء، وما انطوى لليل جنح
قلب يزين لك الفصول، فكلها عبق ونفح
ويمد نحوك راحتين، طلاهما أمل وفرح
حتى تملكك الغرور، ولم يعد يجديك نصح
وغدوت أنثى، فى ثقوب ضميرها أفعى تفح !

وتعود هذه المرأة التى كانت إلى عهد قريب هوى الشاعر

وحبه وإلهامه العبقرى، فتعترف بذنبها اعترافا يكشف عن الأنوثة الضعيفة الرقيقة ازاء حزم الرجل وقسوته وكبريائه، ولكن الاعتراف بالذنب لم يكن فضيلة فى نظر الشاعر، فتمادى فى تعاليه وجبروته :

قالت : أجل أذنبت، فامح الذنب، إن الله يمحو
فأجبتها، هل تطلبين من الضحايا أن يضحوا؟
خمد اللظى فى جانبى، فلم يعد للنار لفح
وخسرت فيك عواطفى الهوجاء، والخسران ربح
واسود قلبى. لم يعد فيه لليل هواك صبح
إنى نسيتك فاذهبى، الحب مات فليس يصحو

لقد وقف صالح جودت وقفة الرجل المطعون فى كبريائه، فلم يستطع أن يغفر للحبيبة ذنبها، ولم يقف وقفة الشاعر الذى يدنيه من الحبيبة إلهامها، وينئيه عنها تشوه صورتها فى ناظريه وفي ضميره. ولو وقف صالح وقفة الشاعر، لغفرنا له تناقضه، إذن، مع نفسه، فى مواطن أخرى، حيث لا يمن على الحبيبة بفضل واحد مما اسبغه عليها بشعره، بل يقول لها مثلا :

أهواك، لا أنكر أن الهوى ... مكمنه فى طرفك الأرعن
يسألنى قلبى : وما سره ؟ ... أقول: لا أعرف.. يا ليتنى
لعله حيرة ظنى، إذا ... لم تظهري شيئا، ولم تبطنى

أو اعتيادى منك طول الجوى   كما تطيب الخمر للمدمن
أو ابتلاء الله لى بالهوى   هل يحمل البلوى سوى المؤمن؟

ويتمادى الشاعر فى التعليل والتخمين والظن والحدس، فى آن معا، ولكن ذلك كله لا يفضى إلى معرفة شيء، عدا أمراً واحداً وهو أنه يحبها :

لعله فى النظرات التى   تنطق عن ذبذبة المعدن
جانحة تسأل عن مرفأ   شاردة تبحث عن موطن
لعلنى أعشق فيك الذى لا   ألتقى فى عشقه مأمنى
وكل ما أعلمه أننى   أهواك، يا خائنة الأعين!

فلا ريب، بعد هذا، ان من يقرأ القصيدتين السابقتين، يظن انهما لشاعرين مختلفين فى الاتجاه، والفكر، والعاطفة، والموقف الإنسانى والوجدانى من تجارب القلب، ولكن حسب صالح جودت انه، فى القصيدتين، كان يصدر عن تجربتين اثنتين، وان موقفيه المتناقضين كانا يصدران عن حالتين نفسيتين مختلفتين، وذلك دأب الشاعر، يشجى القلوب إذا حزن، ويهز النفوس إذا طرب، فهو الطائر الحر الذى يغنى كما يطيب له الغناء، وليس بالفيلسوف المتزمت الذى يلتزم منهجاً دقيقاً لبناء نظام فلسفى موحد الأسلوب والاتجاه.

وعن موجبات الطبيعة فى شعر صالح جودت يتناول

د.فوزى عدة موحيات انغمس فيها، منها البحر والمياه:

فيذكر أن صالح جودت، انغمس فى موحيات الطبيعة والفن، فكتب عن البحر، والقمر، والليل، والطفولة، والأزهار، وليس أبعد كتاباته عن متناولنا ، أغنيته الشهيرة التى يغنيها المطرب فريد الأطرش :

يا زهرة فى خيالى   رعيتها فى فؤادى

وهناك ثلاثة من الموضوعات الرومانسية المهمة التى استلهمها الشاعر فى قصائده ودواوينه، وهى : البحر ، والقمر، والليل.

شاعرالبحر

كان البحر، بالنسبة لصالح جودت، شركا للحسان، «يرى على شاطئه الجسد العبقرى، أو يلتقى على صفحاته بالفاتنات السابحات، وأحيانا يغوص معهن إلى الأعماق» ولهذا، فقد تكررت قصائده «البحرية» التى يروى فيها «عهود المياه»، ومغامرات الشبيبة الموارة الفوارة بالعواطف المنطلقة.

ومن شعر صالح، فى هذا المجال، قصيدته «الجسد العبقرى» على شاطىء ستانلى، وقد جاء فيها (١):

عبقرى أنت، فى كل نتوء وثنيه

---

(١) راجع «ديوان صالح جودت»/ ١٩٣٤.

عبقرى أنت، أوحيت لشعرى العبقريه
لست أنسى لحظة الصيف وما جرت عليه
لحظة بين غوانى الماء، فى الإسكندريه
إذ تجردت وأبقيت من الثوب بقيه،
حدثت عما طوته من ثنايا قدسيه

وحين يتذكر «ليالى الاسكندرية» ، يمر فى باله حديث «البحر»، و«الكورنيش»، و«الرمل»، و«امسيات الصيف»، وارتياد السابحات الفاتنات شواطىء المدينة المتوسطية، فيقول:

هذه الحسناء مرت فتن الصيف عليها،
فكستها سمرة تجتذب الدنيا إليها
رقص الموج على لحن الهوى، بين يديها،
فأجابت، وابتسامات المنى فى شفتيها :
أنت أحلى من ليالى البندقيه
يا ليالى الصيف فى الإسكندريه

ثم يقول، اعتزازاً بأجمل «ثغر فى بلاده»، وهو يعنى به الأسكندرية نفسها:

أنا فى رحلة عمرى، طفت من واد لوادى
ما رنت عينى إلى أجمل من ثغر بلادى
المنى فى كل شط، والسنى فى كل نادى

هاهنا البحر غذائى، هاهنا الرمل وسادى
هاهنا سحر العيون العربيه
يا ليالى الصيف فى الإسكندريه

لقد كان صالح جودت، فى فجر شبابه الغض، يكثر من إبداع مثل هذا الشعر الغزلى الرومانسى اللعوب، وكم طارد الحسان على الشواطىء، وحتى فى الماء، حيث لم تكن أمواج البحر لتعيقه عن مغامرات هواه، وعن جرأة الفتى الجسور الذى لم ينس عهد المغامرات حتى وهو فى سن الشيخوخة.

يقول فى قصيدة «عهد المياه»:

هناك، على الشاطىء اللؤلؤى
وتحت مظلتك الوارفه
جلسنا نغنى نشيد الغرام
على نغم الموجة العازفه
وتسعى إلينا قلوب المياه،
لتسمع ما تنشد العاطفه
تود المويجات لو داعبتنا
وفاضت على روحنا الهاتفه
فتلقى مؤامرة فى الرمال
فترتد للبحر كالخائفه

وتشـــتـــعل النار فى جـــســـدينا
وتلهــبــهـــا الرغـــبـــة العـــاصـــفـــه
فنمـــضـى لنطفـــئـــهـــا فى الميـــاه،
فـــتـــهـــتـــز فـــينا اهتـــزاز الحنين
وتضـــــحك فى القلب مـــــجنونة
بعـــــهـــد الميـــاه، فـــهل تذكـــرين ؟

ولا يلبث بعد ذلك أن يعلن، عن وقائع تلك التجربة، وعما جرى بينه وبين فتاته، وراء صخرة فى المياه:

وذوبـــت قلبــى فى قطـــرة   وذوبـت قلبـــك فى أختـــها
وقابلتا رغبـــة فى الصـــدور   فبددتا السحب عن كبتـــها
وأطلعتاها مجوســـــــية   تحشرجت النار فى صوتها
فرحنا إلى صخرة فى المياه   أجادت يد البحر فى نحتها
ولم نبق ساكنة فى النوازع   إلا عـــــدونا على بيتـــها

وقد تغنى صالح جودت كثيرا بالإسكندرية التى اعتبرها شاطىء الحب الذى شهدت رماله صبواته وصولاته العاطفية منذ شبابه مع فاتنات الشاطىء اللؤلئى:

إسكندرية، فـــيك الرى والظمـــأ
بأى قـــصـــة حب فـــيك أبتـــدى ؟
أقـــصـــة الحب طفـــلا، فى مـــلاعـــبـــه

لا هم أترابه الدنيا ولا عبأوا
أيام كنا نرى الحرمان معصية
ونأخذ اللهو كلا ليس يجتزأ
ونجعل الرمل قصرا، ثم نهدمه
ونركب الموج عرشا، ثم ننكفىء
ولت طفولتنا كالحلم مسرعة
ودب فى إثرها المستقبل اللكىء
جاء الشباب، وكنا فى ملاوته
نلهو فنغلو، ونستشرى فنجترئ
أما الشباب، فقد فضت موائده
وما تخلف إلا الجوع والظمأ

ثم يناجى الإسكندرية بقلب العاشق المفتون بسحرها الفياض:

منازل الوحى فى مغناك ما برحت
والملهمون على شطيك ما فتئوا
يا ربة الشعر، يا بلقيس دولته
جودى علينا، فإنا كلنا سبأ
بناك للصيف ذو القرنين مروحة
تشفى بها المهج الحرى وتبترىء
سماء غيرك تزهى إن حوت قمراً

وأنت أرضك بالأقمار تمتلىء
إنى رأيت طلوع البدر من «بحرى»
فقلت هب لى أمانا أيها الرشأ

وقد استهوته ليالى الإسكندرية بسحرها وعذوبتها وذكرياته فى مجاليها الفيح وعلى كورنيشها الرائع:

موكب الحسن على الكورنيش إذ يخطر ليلا
يملأ الجو ترانيماً وأنغاماً وميلا
كلهم فى ذكريات من هوى قيس وليلى
يسألون الرمل والبحر هل الجنة أحلى
من مغانيك الحسان العاطفية
ياليالى الصيف فى الإسكندرية

الفصل السادس :

قيثارة مصر

قالت: وكيف النيل؟ قلت لها:
رغم الحوادث لم يزل يجرى
متحملاً لجراح عزته
متذرعا بالحلم والصبر
مترصدا للمحدقين به
متحفزاً للأخذ بالثأر
مازالت الأهرام شامخة
والسد مختالاً على النهر
أنا لست من دينى ومن نسبى
إن عشتُ مغلوباً على أمرى

صالح جودت

أجاد صالح جودت فى شعر الوطنية والقومية العربية إجادة عظيمة، ومهرجانات الشعر التى أقيمت خلال حياته فى ستينيات ومطالع سبعينيات القرن العشرين في مختلف ربوع العالم العربى شهدت صالحاً فى طليعة الشعراء المبدعين.

وفي قصيدة رائعة باسم «قرطاجية» ألقاها فى مهرجان الشعر بتونس فى مارس ١٩٧٣ قبيل حرب أكتوبر المجيدة، وكانت لاتزال بعض آثار النكسة بارزة فى بعض أرجاء الوطن العربى، وقد عزفت لنا قيثارته فى هذه القصيدة أنشودة الحب والوفاء والاعتزاز بوطنه مصر فى مواجهة حملات التجريح أثناء فترة الاستعداد لحرب العزة والكرامة :

قالت: وكيف النيل؟ قلت لها ... رغم الحوادث لم يزل يجرى
متحمـــلا لجــراح عـزته ... متــذرعا بالحلم والصــبر
مترصــدا للمحــدقين به ... متحفــزا للأخــذ بالثــأر
مازالت الأهرام شــامخة ... والســد مختــالا على النهر
والكــرنك المرفـوع مؤتلـقـا ... يجلو دبيب الروح فى الصخر
وصلاة اخنــاتون خاشــعة ... غبــارة كمــؤذن الفجـــر
وهــواية الأمجـاد مابرحـت ... مهــوى قلوب الفتية الســمر
الصامــدين بحـلو نكتتهــم ... يروونها فى العســر واليسر!
ومن العجائب فى طبائعهــم ... لطـف الحمــام وعزة النســر

شربوا التفاؤل من تعطشهم   للنيـل فى تيـاره الشـورى
يروى أبو الهول الأمين لهـم   ما شـامه من حـادث الدهر
نقش الفـراعن فى براثنـه   تعـويذة مجهولة السـر
مر الغـزاة به فما هبطـوا   من سـفحه إلا إلى القبـر
لم يلق منهـم فاتـح سكنا   فى أرض مصر عصية الظهـر
إلا جـنود الله، إذ قدمـوا   فى مـوكب الإيمـان والخير
يسعون والقرآن رايتهـم   والله ناصـرهم على الكفـر
يمشون فيها رحمة وهدى   ويبـاركون الكـون بالذكـر
فتحت لهم مصـر منازلها   واسـتقبلتهم رحبة الصـدر
وعنـت لدين الله قانتـة   ودنت له بالحمـد والشـكر
وحنت على عمـرو مهـللة   يا بارك الرحمن فى عمـرو!

وكتب الله للشاعر أن يعود إلى وطنه مصر، وشهد ساعة الصفر، وشهد الهجوم العظيم الذى انتهى باجتياح خط «بارليف» ودحر جحافل العدوان الصهيونية الباغية بزعامة أنور السادات العظيم، وشاء الله أن يكون انتقال صالح جودت إلى جواره الكريم بعد ذلك النصر العظيم الذى تنبأ به وألهمه فى أبياته الخالدة .. لقد كان صالح جودت شاعراً كبيراً مؤمناً ووطنياً صادقاً، وعربياً مخلصاً، رحمه الله.

فى الذكرى الأولى لرحيل صالح جودت يتناول كمال النجمى لمحات من حياة صالح جودت وأدبه وشعره، فيقول:

«كان صالح جودت فى السنوات الأخيرة من عمره أنشط شعراء مصر جميعاً إلى الشعر .. ينظمه فى كل مناسبة قومية أو أدبية أو فكرية أو فنية .. فضلاً عما ينظمه تعبيرا عن خوالج نفسه ونبضات قلبه، وهو ما لايقل حجماً عما ينظمه فى الأغراض الأخرى مجتمعة إن لم يزد...

ودواوينه كثيرة غزيرة، وأهمها صدر فى سنوات نضجه، وتفتحه للشعر والحياة بعنف لم يعرفه حتى فى صدر شبابه الأول..

وكان على جانب الشعر يكتب لوناً خاصاً من القصة، طويلة وقصيرة كما كان يكتب فى السياسة والأدب والرحلات ويشغل نفسه بأعمال كثيرة مع انشغاله بالعمل الصحفى المرهق!

ومن يتأمل شعر صالح جودت يجد أن أقرب دواوينه تعبيراً عن شاعريته هو ديوانه «حكاية قلب» الذى نشره فى ستينيات القرن العشرين، لأن شعر صالح جودت هو حكاية قلبه لا أكثر ولا أقل! (١)

حكاية بمعناها الشعرى ومعناها الأدبى عند نقاد الأدب، فهو ليس قصة قلبه الشعرية بل مجرد حكايتها .. وهو ليس قصصا شعرية بل مجرد تهويمات غنائية عاطفية..

---

(١) المصور / ٨ يوليو ١٩٧٧.

ولما صدر ديوانه هذا سنة ١٩٦٥كتبت حينذاك ما معناه أن صالح جودت عاشق إلى الأبد لايعترف بمر السنين، فهو فى الخمسين من عمره وفى الستين، يحب كما كان يحب فى العشرين والثلاثين.

ومذهبه فى الحب واحد فى الحالتين أو فى الحالات المختلفة المتنوعة الطعوم والروائح، لأن حالات الحب فيما بين سن العشرين وسن الثلاثين كثيرة مختلفة لاتقع تحت الحصر، ولكن صالح جودت بحيويته الشعرية الخاصة، كان يجمع هذه الحالات كلها فى قلبه ويسميها حكايات قلبه ويعيشها أو يعايشها كما يعيش المرء أو يعايش حكايات تحلو حينا وتتنضح مرارة أحياناً.

وكان العمر عنده مقسماً على الحب بالعدل والقسطاس، وكل قسم من العمر عنده، قسم من الشباب، فلا كهولة ولا شيخوخة فى عمر من يحب ويعيش للحب!

وكيف يكتهل أو يشيخ شاعر أبدى الشباب .. إذا انقضى شبابه الأول أقبل شبابه الثانى، فإذا أدبر أطل عليه شبابه الثالث، فإن رحل جاء الشباب الرابع .. ثم الخامس والسادس والعاشر إلى ماشاء الله من أطوار الشباب فى عمر هذا الشاعر العاشق إلى الأبد، الشاب إلى نهاية الزمان!...

وفى نهاية الزمان - زمان الشاعر - تنطفئ شعلة الحب والحياة معا، فالحياة الحب والحب الحياة، كما قال أمير الشعراء أحمد شوقى الذى كان صالح جودت يكن له ما لا يوصف من الإعجاب والإكبار، ويحاول دائماً حين ينظم أن ينسج على منوال نظمه، فيذكرك به مرة، وينسيك إياه مرة، ولكنك ترى صالح جودت فى كل مرة!...

ومن عرف صالح جودت وصحبه سنوات مثلنا، لايتخيله حتى بعد رحيله إلا شابا، يتنقل من شباب إلى شباب بالخفة والسهولة والرشاقة التى يتنقل بها من حالة حب إلى حالة أخرى..

قلت له مرة:

- ما أطيب الحياة، وما أهون تكاليفها حين تكون انتقالا من شباب إلى شباب ومن غرام إلى غرام!..

قال:

- هذا إذا نظرت إليها من سطحها اللامع المعطر!..

قلت:

-أشعارك لامعة معطرة..

قال:

- ألا ترى فيها غير هذا؟!

قلت:

- هذا انطباع الوهلة الأولى من قراءة هذه الأشعار، فإذا تأملتها رأيت خلف أبياتها الثملة الراقصة وجها مكسواً ببعض الألم والملل وبعض الرغبة فى الهروب من المرأة!

نعم فبعد زمن مديد قضاه فى عالم المرأة السحرى لم يعد يجد فيه ما يجتذبه بقوة وعمق .. وتساوت لديه فى نهاية المطاف ذات الشعر الذهبى، وذات الشعر الكستنائى، وأصبح كل شئ عند هذه ككل شئ عند تلك، وعند غيرهما وغيرهن، حتى يشمل جنسهن كله..

وكثرت النهايات الحتمية، ينقضى بها كل الغرام، وتختفى بها كل امرأة من حياة الشاعر، حتى سئم تكرار الحب، فكل بداية حب جديد، تفضى إلى نهاية حب قديم..

إن ديوان «حكاية قلب» يمثل الشاعر صالح جودت العاشق، كما لايمثله ديوان آخر من دواوينه..

الشاعر فيه يكشف لك قلبه كله .. كل قصيدة جديدة وراءها وجه جديد .. أو فكرة جديدة عن وجه قديم يريد اكتشافه من جديد..

وقد شف ديوانه هذا حتى كشف تفاصيل من حكاياته لم يكن هو نفسه يصدق أن القارئ لديوانه يستطيع أن يكشفها بتفاصيلها كاملة، مع أن الشاعر لم يذكر هذه التفاصيل.

ولما كتبت عن ديوانه هذا في الستينيات قلت إن الشاعر يعترف في إحدى قصائده أنه ظل واقفا «ملطوعاً» في الشمس على كورنيش الإسكندرية عدة ساعات ينتظر من إحدى ملهماته الوفاء بوعد اللقاء، فلم تف بالوعد، وعذبته بتجربة من تجارب الشك لاتقل عن تجربة الشك التي عاناها عطيل في مسرحية شيكسبير.

هذه التجربة وصفها صالح جودت في قصيدة «الموعد الخائب» فحولها من موقف «درامي» إلى موقف غنائي أو موقف أنيق حافل بالظرف والتجميش النواسي البغدادي:

ومـوعد للوصل ياغانيه أخلفته للمرة الثانيه
وقفت والشمس على هامتي جهنم مشبوبة حاميه
حتى دنا الميعاد فاستعجلت أشواق روحي اللحظة الباقيه
خيل لي إذ طال بي موقفي أن عيون الناس تهزأ بيه
ومرت الساعات محزونة ومالت الشمس عن الناصيه
وأظلم العالم في ناظري فعدت ألقى ليلتي الداجيه

قرأ صالح ما كتبته عن هذه القصيدة، فلم يكد يلقاني في الاجتماع الأسبوعي الذي كان ينعقد في مكتب شيخ الصحافة الأستاذ الكبير فكري أباظة بمجلة المصور، حتى قال لي:

- هل رأيتني في الإسكندرية واقفاً على الكورنيش في عز الشمس انتظر تلك المرأة.

قلت: – لا

ودهش وقال:

– فمن أين لك وصف موقفي «ملطوعاً» كما تقول في الشمس على كورنيش الإسكندرية، وأنا لم أذكر الكورنيش في كلامي ولاذكرت الإسكندرية؟!

قلت له:

– شعرك ينم عنك، إن أبياتك شفافة لاتحجب ما وراءها..

ارتاح إلى هذا التعليل، وقال لي:

– لقد شربت يومها مقلبا سخنا

كان شعر صالح جودت ينم عنه دائماً قال مرة:

سلواي يا أحلى من الحلوى   يا لذة اللذات يا سلوى
أهواك في صبر وفي عفة   أهواك في طهر وفي تقوى
ولا أرى معصية في الهوى   مادمت أرضى منك بالنجوى

قلت له يومها:

– الحمدلله الذي اذاقك من الحر ما جعلك لاتجد مفراً من الحب في طهر وفي تقوى، ولا تطمع في أكثر من النجوى .. ولكنك كشفت دميتك الجديدة للناس، أفلم تستطع حتى أن تكتم حروف اسمها..

رحم الله صالح جودت ومن كان يهواها في صبر وفي تقوى، ولتبحث عرائس الشعر الباقيات بعده عن شاعرينظم

فيهن الشعر ليل نهار .. ولن يجدن مثله .. فى حالات حبه .. وفى زهده وتقواه. وتساويهن لديه وألمه منهن..

وعندما صدرت أول دراسة عن حياة صالح جودت وشعره تحت عنوان «صالح جودت: شاعر النيل والنخيل» لكاتب هذه السطور عام ١٩٧٧ تناول الأديب الناقد كمال النجمى هذه الدراسة ليتحدث من خلالها عن صديقه صالح جودت الشاعر والإنسان، فقال: (١)

«فاتنا أن نقول شيئاً عن الدراسة الموجزة التى نشرها سنة ١٩٧٥ عن الشاعر صالح جودت، تلميذه وصديقه الأديب الشاب محمد محمود رضوان وهى دراسة طيبة عنوانها «شاعر ليالى الهرم» .. كان صالح جودت وقتها فى السنة الأخيرة من حياته، وقد توفى بعد نشر هذه الدراسة ببضعة أشهر..

وأخيراً عاد الأستاذ محمد رضوان فوفى الشاعر الراحل بعض حقه من الدراسة فى كتاب ممتاز بالرغم من أنه - مثل دراسته تلك - أقرب إلى الإيجاز، ولا يعطى لصالح جودت إلا ما تيسر من حقه فى الدرس والتحليل وقد لبث ينظم الشعر خمسين عاماً يتسع فيها مجال القول والنظر..

(١) مجلة المصور / ٢٥ نوفمبر ١٩٧٧.

عنوان الدراسة الجديدة «شاعر النيل والنخيل» .. والفرق بين «شاعر ليالى الهرم» و «شاعر النيل والنخيل» هو الفرق بين شباب صالح جودت فى العشرينيات وبداية الثلاثينيات، وبين كهولته ونضجة بين الخمسينيات والسبعينيات.

ولكن لماذا لم يتح لهذا الشاعر ذى الشاعرية الحقة، التى عاشت عشرات السنين، نصيب من الدراسة والتكريم لشعره حتى الآن، مع انه لم يكن مغموراً من بداية حياته الشعرية إلى نهايتها؟

ربما كان الأقرب إلى الصواب فى هذا الأمر - كما يبدو لى - أن صالح جودت عاش منذ بداية الخمسينيات حتى توفاه الله، فى جانب فكرى خاص، بينما وقفت غالبية نقاد الشعر والأدب فى تلك الفترة فى جانب آخر.

كان صالح جودت بين الخمسينيات والسبعينيات يمينياً، بالمعنى السياسى المتداول الآن، وكان النقد الأجنبى أقرب إلى اليسار، وبعضه كان يساريا بحتاً، وغلب عليه هذا الاتجاه، واستعر العداء بين من يقف هناك ومن يقف هنا من حملة الأقلام..

وكان «التجاهل» من بين الأساليب التى اتبعها النقاد المتغلبون على الصحف فى تلك الفترة، فتجاهلوا على سبيل

المثال شعراء وأدباء كانوا يستحقون الدراسة مثل على أحمد باكثير وعبدالحميد جوده السحار وعبد الحليم عبدالله وغيرهم.

والخطأ الذى وقع فيه هؤلاء النقاد لايحتاج إلى بيان، وقد أثبتت الحياة نفسها أنه خطأ، وأن معرفة القمر لاتتم من وجه واحد.

وهكذا لم يجد صالح جودت فى القليل الذى كتبوه عنه إلا كلمات صحفية، وهى فى الحقيقة نوع من الشجار والنقار، وغمز لمواقفه الفكرية وللجوهر الفنى لشاعريته وشعره! ومن المعروف أن النقد الحديث فى جميع الدنيا الآن، يتأمل الموقف الفكرى للأديب أو الشاعر أو الفنان، ولكنه فى الوقت نفسه ينظر إلى تجربته وإنتاجه ولو كان يقف فى أقصى اليمين أو أقصى اليسار أو يجلس أو يقف أو يجعل رأسه إلى تحت ورجليه إلى فوق!

هناك الآن - فى غير مصر - من يقول مثلا أن فلاناً أو علاناً أو ترتاناً مفكر يمينى ولكنه روائى موهوب، أو مخرج عظيم أو رسام كبير، وهناك من يقول أن فلانا يسارى الفكر ولكن يساريته لا تهدد فئة ولا تحيله دعاية وطبلا وزمراً، فإن الفن الجيد يمكن أن يوجد فى الجانبين معاً، بل فى الجوانب

المتعددة، فلم تعد الدنيا جانبين فقط، بل جوانب لا يعلم عددها إلا الله!

والفن - فى ذاته - صار قيمة مستقلة بل الحقيقة أنه كذلك منذ الزمان الأول برغم المواقف الفكرية لأصحابه، ومن الذى يستطيع أن يكتب شيئاً صحيحاً دقيقاً عن المواقف الفكرية والاجتماعية لرسامى عصر النهضة الأوربية أو لشيكسبير مثلاً:

وددت - والله - لو أنبأنى من عنده علم صحيح ماذا كان الموقف الاجتماعى والفكرى للمهندس النابغة الذى بنى جامع السلطان حسن فى القاهرة، تلك التحفة الفنية الغنية؟!

ولسنا ننحاز بطبيعة الحال إلى ذوى الأفكار السيئة أو المواقف الخاطئة فى أى عصر، ولكننا لا ننكر ثمرات قرائحهم أن كانت لها ثمرات..

وقد ضاع صالح جودت عند نقاد عصره لموقفه الفكرى الذى خالف موقفهم، وترك اشتداد الصراع فى هذا العصر آثاره الوخيمة على الفن والأدب فكان من أمر الفن والأدب بمدارسهما المتنوعة المتعاقبة تعاقب الليل والنهار، بلا تشابه ولا تكرار.

أصدر صالح جودت ستة دواوين بين سنة ١٩٣٤ و ١٩٧٥، أولها ديوان «ليالى الهرم» وآخرها ديوان «الله والنيل

والحب» .. ومن طريف ما يذكره محمد رضوان عن صالح جودت حسبه ونسبه وأصله وفصله..

فإن صالح جودت هو ابن باشوات .. جده جودت باشا، كان أديباً سياسياً ولد فى الاستانه وكتب بالعربية والفارسية والتركية ومن كتبه «تاريخ جودت» وهو مترجم إلى العربية. ويصف أحوال الدولة العثمانية، لاسيما الانكشارية ذوى السمعة العسكرية التاريخية..

فيكف نزح بعض أولاد جودت باشا إلى مصر؟!

يقول محمد رضوان أن إسماعيل جودت - نجل جودت باشا .. كان أحد أحرار الترك وكان خطيباً مفوها وأديباً ينظم الشعر بالتركية والفرنسية .. اضطهدته السلطات التركية فلجأ إلى مصر، واشتغل بالمحاماة. فلما نشبت الثورة العرابية شارك فيها ثم قبض عليه بعد فشلها وسيق إلى المنفى فى السودان فلبث ثلاث سنوات ثم أبعد إلى تركيا ليبقى تحت عيوان الجواسيس خشية أن يثير السودانيين أيضاً!..

ولكن إسماعيل جودت كان قد عزم على العودة إلى مصر، فعاد إليها بعد أربعة عشر عاماً ومعه ابنه كمال الدين وكان صبيا وقتها ورث عن أبيه حب القراءة والأدب وتعلم فى المدارس المصرية وتخرج مهندساً زراعياً واستلهم من عمله

في الريف فكرة كتاب يصف مصر وأقاليمها بالزجل، وكان عملاً أدبياً طريفاً غير مسبوق!..

وفي عام ١٩٠٦ تزوج كمال الدين من كريمة الشيخ عبدالرحمن وهو شيخ تركي الأصل أما والدة الزوجة فكانت مغربية الأصل.. وفي عام ١٩٠٨ ولد في الزقازيق صالح كمال الدين اسماعيل جودت .. وأطلقت عليه والدته اسم «عبد الرحمن» تيمناً باسم أبيها، وكان والده حين مولده مريضاً فلما شفي أختار له اسم «صالح» تيمناً باسم شقيق له هو المستشار صالح جودت صاحب المؤلفات في القانون والأدب.. وهكذا ظهر إلى الوجود اسم صالح جودت الصغير بعد اسم عمه صالح جودت الكبير.

ويعرف صالح جودت بين الأدباء انه من شعراء المنصورة، مع كونه قاهرياً، والسبب أنه بعد حصوله على الشهادة الإبتدائية والتحاقه بالثانوية، اتجه إلى مسارح عماد الدين وروض الفرج فرسب في السنة الأولى الثانوية ثلاث مرات، وكان لايعود إلى بيته قبل الثانية صباحاً، فانتزعه والده من القاهرة وألحقه بمدرسة المنصورة الثانوية فنجح في الدراسة، وبدأ يتجه إلى الشعر .

وفي المنصورة تعرف على الشعراء علي محمود طه ومحمد عبدالمعطي الهمشري وإبراهيم ناجي تلك الكوكبة من شعراء

الرومانسية المصرية .. ومنذ ذلك الحين عرف قراء الصحف اسم صالح جودت ضمن شعراء الحب والجمال والرومانسية وكانت زعامة الرومانسية الشعرية لعلي محمود طه ثم لابراهيم ناجي والهمشرى ثم انتقلت إلى صالح جودت مع زعماء آخرين لها فى عهده وقبل عهده عدد غير معروف.

عاش صالح جودت رومانسى الشعر والشاعرية، إلا أن شيئاً طرأ على مذهبه اللفظي والموسيقي ففي بداية أمره لم يكن متمكناً من أساليب الشعر العربى إلى الحد الذى يرضاه الشعر الرصين، فأعلن صالح ثورته على هذه الأساليب، إذ لم يستطيع أن يمتلك ناصيتها، ولكنه فى الوقت نفسه أخذ يستوعبها ويتأملها، وكانت عمدته فى ذلك أشعار شوقى خاصة، وما سمعته يروى أو يتحدث عن البحترى أو المتنبى.. دعك من أبى تمام ومسلم وبشار، ومن كان قبلهم إلى الجاهلية.

ومن شعر شوقى أفاد صالح رصانة أسلوب، وجمال تنغيم، وصار بيانه الشعرى أعرب مما كان وتخلص من تلك اللكنة الأعجمية التى نعرفها فى شعر الرومانسيين - عدا على محمود طه - وكنا نقرأ بعض شعره فى أُخريات حياته - رحمه الله - فنكاد نسأل كما كانوا قديماً يسألونه من هذا البدوى المطبوع! .. فإن أداة صالح جودت فى نظم الشعر

نضـجت فى الاتجـاه الكلاسـيكى مع أن مـضـمـونه لبث رومانسياً لأنه يلبى حاجة وجدانه وحاجة فنه وحاجة حياته كلها: طرباً وشجناً .. ويقيناً وخيالاً!

ويفسـر لنا بعض النقاد سـر «مصـرية» صالح جودت العميقة كظاهرة بدت فى بعض ممن كانت أصولهم غير مصرية، حيث بدأت إرهاصات هذا الاتجاه عند جودت مع انضمامه لجماعة أبوللو (١)

ومن الملاحظ أنه بعد اقترابه الشديد من أحمد شوقى، ومن جمعية أبوللو، رأيناه يتبنى اتجاه «المصرية» الذى استيقظ فى هذه الفترة، والغريب أنه ازدهر على يد جماعة تبتعد بأصولها عن هذه المصرية، ومع ذلك كانوا من أشد الدعاة إلى هذه المصرية، على نحو ما نعرف من توفيق الحكيم، وأحمد شوقى، ويحيى حقى، والدكتور حسين فوزى، والعقاد فى بواكيره، فهؤلاء كانوا ومازالت فيهم آثار تلك المدرسة المصرية فى الأدب، ابتداء من هذا القرن.. وسواء علينا أن قلنا: إن مصر قادرة على تمصير الأجناس من كل نوع، أو قلنا إنه كانت وراء ذلك المبادرة إلى الانتماء، ومن العمل على تأكيد هذا الانتماء دائماً.. فإن الذى لاشك فيه أن الغناء الحار لمصر قد ترقرق من وجدان صالح جودت.

فـهو حين يتكلم عن القاهرة يضعها بين قوسين هما

(١) المصور / ٨ يوليو ١٩٧٧.

الفراعنة والعرب، وهو يركز بعشق على الحضارة القديمة، وإن كان فى الغالب قد قفز منها قفزاً إلى العروبة الحديثة فى مصر، فهو يرى فى البنت ذات الملاية والضفيرة «نفرتيتى الصغيرة»، وهو يتغنى بعشقه فى ليالى الهرم:

ها هنا مهد أبى الهول هنا   كاتم الأسرار من عهد «منا»
هيأ الأحلام والنجوى لنا   عبقرى الصمت منذ القدم
فتمتع بليالى الهرم

كما أنه يتغنى بالنيل، وبليالى إسماعيل فى قصر الجزيرة، وبالقاهرة فى أكثر من قصيدة، وببعض الملامح المصرية كقصيدة «الغجرية» التى استخدم فيها الألفاظ التى تجرى على ألسن الغجريات مثل «الجدع: النقطتين: الفترتين، والنقطة فى عرفهن هى اليوم أو الأسبوع أو الشهر أو السنة»، بل قد يلجأ إلى بعض المفردات الشعبية كقوله:

ولا شجاني نَفَسُ عاجزُ   يَنْسابُ من ثَغْرك كالسَنْسَن

وهو حين يرى فاتنة على الشاطئ «الراين» يدخل معها فى حوار، ينتهى منه إلى قوله:

مسْكينةٌ «هيلدا أما عَلِمَتْ   أنى ألفُّ مَدائنَ الكَون
وأعودُ فى الوطن الحبيب إلَي   لُطْف الظلال، وسُمْرة اللَّوْن
فأقولُ: ما فى الكون أجْمعُه   فِتَنٌ كفتنة بنت فِرْعَون

وهو فى قصيدة «غريب فى لندن» ينتهز الفرصة ليتكلم

بحرارة عن مصريته

قــــالتْ لهم: من الغـــريب هـا هـنـا؟
أتجــــــهلـين يا جـــــوان مـن أنـا؟
أنـا؟ أنـا أكـــــرم منك مــــــوطـنـا
أنا؟ أنـا أعـــــرق منك مـــعـــدنـا
أنـا ابن شـــعب يتـــحـــدى الزمـنـا
ابن الروابى الخـضــر من أرض «منا»
لا تـســـــألى عنـه.. فــــإنـه أنـا
قــالت جـــوان «ليـتني».. يا ليــتنا

وإذا كـان يحـسب له هذا الغناء الحـبـيب لمصـر، مع أن أصـوله غير مـصرية، فـمن المفـارقات أنه وقف نفسـه في هذه الفتـرة المبكرة على الحب، وكانت مـحبوبتـه - على غير عـادة المصـريين - شـقـراء الشـعـر، زرقـاء العـينين، فـهـو يقـول فى قصيدة شقراء:

تعـالـيْ.. أنت يا شـقـراء للشـاعـر إلهـامُ
به من ذَهَبيِّ الشَّـعْـر تَسْـبـيحٌ وأحـلام
ومن سَحْرِ العيون الزُّرْق أَلْـحانٌ وأنغَام
إطارٌ من بديع الحسن لم يَرْسُمه رسـام

صالح جودت بين جمال عبدالناصر والسادات

كان من أبرز ملامح شخصية صالح جودت الشاعر الرومانسي الوجداني هي تلك العاطفة المشتعلة وجيشان المشاعر وكان الواقع أقوى من طاقته، وكان إحساسه الحاد بالتناقض في حياته بين الواقع والخيال، جعله يؤمن - كالرومانسيين - بالحرية التي يستلزم تحقيقها حرية الرأي.

وكانت عاطفة الشاعر المجنحة المنطلقة، وجيشان مشاعره التي تعبر عن القلب والوجدان قد آمنت بدور الزعيم جمال عبدالناصر التحرري خاصة بعد أن حقق لمصر استقلالها بعد اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٦ ضد العدوان الثلاثي، فواكب صالح جودت بشعره ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ودور جمال عبدالناصر الذي يمثل الحرية والعزة والكرامة لمصر التي تمثل المكانة الأولى في قلب صالح جودت ووجدانه حيث كان يعتبر مصر أمه بل أعز من أمه التي أنجبته.

وظلت صفحات شعره نقية بيضاء.. أما ما كتبه من مقالات في مجلة المصور التي كان يرأس تحريرها بعد ذلك من سلبيات للحقبة الناصرية فكانت أشبه بمراجعة تلك الحقبة بعد نكسة يونيو وبعد رحيل الزعيم استشرافاً للمستقبل وعندما تولى الزعيم محمد أنور السادات حكم مصر رحب به

كخليفة لعبدالناصر وكأمل لتحرير مصر وبالفعل عندما قاد السادات معركة نصر أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة هلل جودت وأطلق أناشيد الحرية التى طالما اشتقنا إليها لقد ظلم بعض نقاد الأدب وبعض أصحاب الاتجاهات اليسارية وبعض الناصريين موقف صالح جودت وناصبوه العداء حتى بعد رحيله لتصفية مواقفه السابقة منهم واتهموه بالتلون والتغير ولكنهم نسوا أنه كان شاعراً وجدانياً عاطفياً عبر عن مشاعره بكل صدق والدليل على ذلك هو قصائده المفعمة بالحزن والأسى بعد رحيل عبدالناصر وهو ما لا يستطيع مزايد أن ينكره وأن يوالى ظلمه الفادح لصالح جودت ويكفى أنهم ظلوا يسدلون على سيرته وشعره ستار النسيان بعد رحيله تصفية لحسابات خاصة بهم.

كان صالح جودت فى شعره صادقاً فيما قاله عن الزعيم جمال عبدالناصر فى كل المراحل التى مرت بها مصر حتى عندما وقعت نكسة يونيه ١٩٦٧ سخر شعره للدعوة للصمود والتماسك من أجل تحرير الأرض السليبة وكان أول من أنشد قصيدة يطالب فيها ناصر بأن يستمر زعيماً لمصر عندما تنحى فى ٩ يونيه ١٩٦٧ فكانت قصيدته «دم للشعب» التى تغنت بها كوكب الشرق أم كلثوم، فكانت بلسما أعاد بعض

الثقة لنفوس الشعب المصرى، والتى يقول مطلعها:

قم واسمعها من أعماقي فأنا الشعب
ابق فأنت السد الواقي لمنى الشعب
أنت الخير وأنت النور أنت الصبر على المقدور
أنت الناصر والمنصور

كان هذا في حياة جمال عبدالناصر.. وعندما رحل ناصر عن الحياة فى الثامن والعشرين من سبتمبر ١٩٧٠، وأصبح عبدالناصر فى ذمة الله وفى ذمة التاريخ، ولا يملك نفعاً ولا ضراً بكاه صالح جودت بدم قلبه فى أربع قصائد شجية باكية أولها «نحن أولى بالرثاء» مطلعها:

أمع الإسراء نادته السماء
كدت أن أحسبه فى الأنبياء
علت الطائرة الثكلى به
فتخيلت براقاً فى السماء

وكانت القصيدة الثانية «بعد الوداع» يدعو فيها للصبر والتماسك:

هيهات أن نعرف معنى الضياع
والزحف ماض والأمانى جياع
هيهات والثأر بأعماقنا
يزأر من أعماقه كالسباع

هوى الذى كـــان ارتفـــاع السُّـــمـــا
وانهــــار من كـــان كـــشم القـــلاع
إرادة الله قـــضت أمـــرها فـــينا
فـــــقلنا: يا جـــــمـــــال الوداع

أما القصيدة الثالثة فكانت «أغنية على قبر البطل»

أيـهـــــا الحـى المسـتــــجـي
لم يزل دربك للأيام دســتـوراً ونـهـجـاً
التمـسنا من بطولاتك إشـعاعاً ووهجاً
ووجدنا فى وصـاياك لنا العـهد المرجي

والقصيدة الرابعة كانت موجهة إلى «شريكة المجد: أم خالد» يواسيها ويشد من أزرها فى هذه المحنة القاسية:

لك يا من جرحها أعمق جرح فى الأيامي
نسـأل الرحـمن صـبراً وعـزاء وسـلامـاً
لست فى فقدانه وحدك وجداً واضطراماً
كلنا مـــثلك يا أخت ثكالى ويتـــامى
كـانت الناس على النعش قلوبا تتـرامى
وتنادى : لم لايحييه من يحمى العظاما؟
لم لايبـقـيـه كـالنيل وكـالشـمس دوامـا؟
ورجـعنا نشـرب الدمع ونقـتـات الرغامـا
ونلوم الموت، لكن نحن أولى أن نلامـا

كم قتلناه افتئاتاً واختلافاً وانقساماً
وكأن الله يسترجعه منا انتقاماً

كان حزن صالح جودت عفوياً صادقاً من القلب استطاع أن يعبر عن وجدانه فى هذه اللحظة التاريخية الفاصلة، وعاش بعد رحيل الزعيم عبدالناصر ست سنوات لم يمس فيها الزعيم الخالد بسوء فى بيت واحد من الشعر .

لكن كيف استقبل صالح جودت حكم الرئيس أنور السادات بعد توليه سدة الحكم في أكتوبر ١٩٧٠؟

تمنى عليه أن يسترد حرية مصر وعزتها، فماذا قال للسادات في يناير ١٩٧٢ قبل معركة العبور:

يا ابن القرى السمراء معطارة
بالطيبة المصرية الند
إيمانها بالله تاريخه
فى ظلها متصل العقد
قم يا أبا السادات لب الندا
فقد تنادت ساعة الجد
أمامنا معركة مالها
إلا اتحاد العزم والجهد
وأنت فيها القائد المرتجي

وكلنا فيها من الجند
ابنوا لمصر الغد مستقبلاً
أعلى من الأهرام والسد
ردوا لمصر الغد أمجادها
مالذة العيش بلا مجد؟
خوضوا الكفاح المر من أجلها
تلقوه أحلى من حلا الشهد
إن عشتمو عشتم كراماً، وإن
متم كسبتم جنة الخلد

هذا ما قاله صالح جودت لحاكم مصر الجديد يستحثه على الكفاح والنضال من أجل تحرير أرض مصر المحتلة تحت الاحتلال الإسرائيلى.

وكانت نظرة صالح جودت عاشق مصر وقيثارتها الخالدة ثاقبة فى زعيم مصر الجديد الذى حقق أمنية حياته قبل أن يموت ويرى معركة النصر المجيدة فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣، فكانت فرحته غامرة بمعركة العبور المجيدة وبعودة قناة السويس إلى أمها مصر، فقال:

عاد لنا وابتسمت ضفتاه
أبوالحكايات الكبار العتاه
عاد القنال الحر صفواً لنا

الله مـــا أجـــمـل عـــود الميـــاه
عـــــاد لنا الشط، فـــــأهلاً بـه
وانـــهـــــــدم الخط على من بنـاه
وانتـفـضت مـصـــر، فـمـرحى لهـا
وانعــقـــد النصـــر، فـــوافــرحـــتـــاه
وأذن الفـــجـــر، فـــقـــومـــوا إلي
صـــحـــرائنا مـــد بســـاط الصـــلاة
وادعـــــوا لمن علمنا شـــــوقـــــه
للعلم والإيمان حب الحـــــيـــــاه
فليـــشـــــهـــــد الله على جـــيلنا
إنا مـــســحـنا اليـوم عـــار الجـــبــاه

هذا هو كل ما قدمه صالح جودت لقائد حرب أكتوبر الذى أعاد أرض سيناء إلى حضن أمها مصر وفتح قناة السويس، فهل كان يستحق كل هذه العداوات وكل هذا التجاهل؟

الحقيقة إن صالح جودت كان صادقاً حينما أحب جمال عبدالناصر وأشاد بمنجزاته وبكاه من قلبه صادقاً حين رحل عن الحياة وكان صادقاً فى مؤازرته للزعيم أنور السادات حين حرر الأرض وأعاد الكرامة لكل مصرى.

الفصل السابع :

شاعرية صالح جودت

الشـعـر، إن فـات يدى انتـهى
حظى من الدنيا، فمـالى يدان
والله، مـالى غـيـر إيقـاعـه
وسيلة ترجى بها الحسنيان
وهبـتـه لله أرجـو به
كـرامة العـفـو، وظل الأمـان
نظمـتـه من وسـوسات الحلى
وصـغـتـه من عثرات اللسان
فـهـو الذى كم رد عنى الردى
ومدلى فى العيش هذا الليان
وفى سـبـيل الوطن المفـتـدى
وحسـبـة لله يوم الطعـان

صالح جودت

ظهر صالح جودت منذ بداياته الأولى كشاعر رومانسى غنائى استطاع أن يقدم لنا ألواناً من شعره الرومانسى romanticism كأحد أبرز شعراء الوجدان الذين جمعوا بين الشعر العاطفى والشعر الوطنى حيث جعل من شعره الوطنى قصيدة حب عاطفية طويلة لمصر التى أحبها وعشقها والتى أصبحت محور حياته وسر تكوينه الوجدانى وقد كان موقف صالح من الذات والطبيعة والمجتمع والكون واضحاً منذ بداياته الأولى حيث سيطرت النزعة الوجدانية على شعره حتى أصبح مفهوم الشعر عنده متحداً مع عواطفه وخياله، فغلبت النزعة الوجدانية على شعره الرومانسى العاطفى والوطنى والذى اتسم بالغنائية Lyrical Poetry وحين جنح صالح جودت الشاعر الرومانسى إلى التعبير عن موقفه من الذات والمرأة والطبيعة والوطن كانت له لغته الخاصة التى شكلت عالمه الشعرى.

وقد استطاع صالح جودت على مدى رحلته الشعرية أن يشكل معجمه الشعرى الخاص به كشاعر رومانسى وجدانى غنائى والتى هى بالطبع جزء أساسى من التشكيل الجمالى الكامل لشعره وكانت موسيقاه فى شعره هى الصوت الرومانسى الهامس الذى يعلن عن أعماق هذا الشاعر الرومانسى الغنائى العاشق للحياة والمرأة والوطن وكل قيم الحق والجمال والخير.

والشاعر صالح جودت حين يتحدث عنه، لابد أن تقفز إلى الذهن موسيقاه، ومن هنا نتذكر على الفور قول كولردج «..لن يستطيع الرجل الذى تخلو روحه من الموسيقى أن يصبح شاعراً أصيلاً، فالصورة قد يستطيع أى فرد موهوب، وعلى قدر من الاطلاع أن يكتبها بالجهد المتصل كما يكتسب المرء حرفة من الحرف، أما الإحساس بالمتعة الموسيقية - بالإضافة إلى القدرة على توليد الإحساس لدى الغير - فإنما هى موهبة الخيال وحده، ومن الممكن تنمية هذا الإحساس وتثقيفه، ولكن يستحيل تعلمه»، فالموسيقى عند شاعرنا هى قدس أقداسه، ومن الضرورى أن نؤكد على أن موسيقاه ليست منفصلة عن إيقاع عصره، فأكثر شعره من البحور القصيرة أو من المجزوءات، أو بشكل الموشحات، على أن هذه الموسيقى تأخذ طابع الجدة، لأنه أساساً متصالح مع العالم، وما لا يوافق عليه يكتفى بعدم الابتسام فى وجهه، ثم إنه كثيراً ما يستسلم للجمل المحلية، وكثيراً ما يأتى عنده هذا النوع المسمى عند البلاغيين: التكرار للتوكيد، ونحن لا ننسى أن اللغة التى يكتب بها لغة مترعة بالموسيقى وبالغناء ويرصد الناقد د. عبده بدوى «١٩٢٧ - ٢٠٠٥» اعتناء صالح جودت بالموسيقا من خلال معجمه الشعرى المتفرد الخاص به الذى

تغلب عليه الروح المصرية الغنائية، وقد ظهر ذلك فى نوعية الحروف والكلمات فى قصائده.

«فنسبة المهموس عنده في الحروف أكثر من المجهور، وهو كثير التعامل مع حروف اللين، ومع حركة الكسرة، وإذا كان القدامى يربطون بين الوزن والإحساس النفسى، فهو مع المحدثين الذين يرون أن الشاعر هو الذى يعطى البحر خصوصيته الفرحة أو الحزينة أو الراقصة أو المتأنية، ثم إنه إلى جانب اهتمامه بالموسيقى الداخلية يهتم اهتماماً خاصاً بالقافية إلى حد أنه يتحدى بالكتابة من قافية صعبة لم ترد فى بحر البسيط من قبل، كقوله فى القصيدة المهرجانية «الإسكندرية شاطىء الحب»:

إسكندرية، فيك الرى والظمأ   بأى قصة حب فيك أبتدئ

فهو يتعامل هنا مع ما سماه ابن المعتز «القافية القوية باعتبارها إحدى محاسن الكلام»، والذى يلاحظ أن قوافيه لا تقبلها الأذن فقط، وإنما تقبلها العين كذلك، صحيح أنها قد تكون ضرباً من الصاجات فى مواضع العين، ولكنه ضرب هامس، خاصة إذا عرفنا أنه يكثر من القوافى الهامسة، والشفوية، وهو يرتكز بصفة خاصة على ما يسمى «القوافى الذلل»، ويكثر بصفة خاصة من قافيتى الراء واللام، وكثيراً ما يضيف إليهما الهاء، بحيث تظهر هذه القافية وكأنها تنهيدة

العاشق، ثم إنه قد يضاعف الإحساس بها حين يكرر كلمات، أو شطوراً بعينها، على نحو ما كرر شطر «ليتنى أنسى ولكن كيف أنسي»، وشطر «فاسمك أحلى الأسامي»، وشطر «أتراهم يا حبيبى أنصفوا أم ظلموني» و«أغنى فى جزيرة معك» و«يوم ودعتك ودعت شبابي» و«فتمتع بليالى الهرم»، وعلى كل فالقافية عنده هى التى تملى على البيت مساره، بله القصيدة كلها، ومهما يكن من شئ فكثير من شعره يمكن رده إلى رقصات بعينها، أو قطع موسيقية شرقية، فالقافية عنده جزء أثير من عالمه الشعرى، وهو يطوعها بشكل يثير الإعجاب، بحيث لا تمثل عنده صعوبة، أو تفقد عالمه الشعرى التنوع والسهولة والتناغم، خاصة إذا عرفنا أنه يغترف هذه «اللازمة الموسيقية» لا من القاموس، ولكن من قلبه، ثم من حركة الحياة وسلاستها، ومن التنوين باعتباره تطريباً لغوياً، وفى مقدمتها ما يعرف باسم «تنوين الترنم» الذى يقدم وقفات هامة، وترجيعات بين الفواصل، ولضرورة القافية جعل بعض النقاد يستبعدون البيت المفرد من الشعر، ثم لا ننسى أنه كان «مؤلف أغان» مشهور، وأنه كان من الشعراء الذين يتحكمون فى زمن القصيدة، ولم يكن كالشاعر القديم الذى تقوده حركة الزمن متى أتى بالافتتاحية المصرعة، فيرى العالم الموسيقى

مفروضاً عليه، ولهذا رأيناه يكثر من الحديث عن المشية الموقعة لحبيباته، ويكتب قصائد بعنوان «سامبا» و«سيراناده»، وكما يتحدث عن «بيتهوفن» يتحدث عن فيروز وأم كلثوم، ويتقدم أحمد رامى عالم صداقاته، وحين كان يقع فى مأزق كان يغني:

أنبأونى أنها تسأل عنى
ليت شعرى.. ما الذى ترجوه منى؟
حين قالوا: إنها تسأل عنى
عادنى هاتف إلهامى وفنى
يا شقائى.. إننى عدت أغنى

ولعل من الواضح أن نذكر هذه الطواعية الثمينة فى قاموسه اللغوى، بحيث يصبح لكل إحساس كلمة موحية تدل عليه، ومن الملاحظ أنه يقدم صوره الملونة جزءاً جزءاً من العالم المحسوس حوله، وأنه لا يخاطب قارئه بالبيت، وإنما يستدرجه - وبخاصة فى القصائد المهرجانية - إلى أن يصيح صيحة محسوبة بعد عدد من الأبيات، وهو يفعل هذا حتى في رثائياته التى دارت حول عدد كبير من أبناء المهنة، فكما كان يهتم بالمطالع، كان يهتم بالوقفة المثيرة بعد عدد من الأبيات لينطلق التصفيق، أو الدموع.. فإذا كان الأساس فى

(١) د. عبده بدوى/ فى الشعر العربى الحديث.

الشعر عنده هو الكلمة، فالموسيقى عنده أساسها النغمة، وما كان يركز عليه هو الغناء سواء أكان يدور حول معنى أو لا يدور، فهو يختار الكلمة بين حشد الكلمات، ويمررها على عالم العروض والقافية والنمطية، والتكرار، والتنظيم الدقيق للمقاطع، ومعنى هذا أنه يتعامل مع أفكار عادية، بلغة حديث عادية، متفرقة على الشهيق والزفير، وضربة القلب، وإيقاع القدم عند السير، وبهذا النوع من التطويع يصبح للكلمة شكل المعنى، بحيث تتقابل - ترنيماً ونغماً - مع العالم الذى تنبع منه، فالكلمة كما يقال: فخ يمسك بالحقائق الهاربة، وقد أمسك الشاعر بعدد من الحقائق فى عصره يجئ فى مقدمتها حب الحرية، والخوف على نفسه من قوى أكبر منه، غير ناس أبداً أنه هدد فى رزقه، ودخل دائرة «التطهير»، وقد كان هذا وراء المرارة المجاورة للعذوبة، ووراء الفشل الملاحق للجسارة، وبخاصة فى عالم الحب!

يبقى القول أنه أكثر من الشعر فى إحدى ملهماته، ولكن الحقيقة تؤكد أنه لم تكن وراء غزله امرأة بعينها، لأن الذى كان وراءه هو الإعجاب بالجمال فى كل مكان، وكل زمان، فقد كان طائراً لا يستقر على شجرة واحدة، كما أنه كان يجد متعته - وشعره - فى التنقل من شجرة إلى شجرة، ومن

موحى إلى موحى!

أما الشاعر والناقد الذواقة فاروق شوشة حين يتناول صالح جودت بين غواية الحسن وعروبية النفس يرى أن المتأملين فى شعر صالح جودت يرون أن الموسيقى لديه هى قدس أقداسه وإن حرصه على الجرس الهامس والكلمة الموحية واهتمامه بالقافية والموسيقى الداخلية جعل لشعره فتنته وغوايته، عند المتابعين له منذ بواكيره الأولى، شاعراً شاباً فى كوكبة شعراء «أبوللو»، ثم نجما بين أعلامها الكبار: على محمود طه وإبراهيم ناجى، ومحمد عبدالمعطى الهمشرى، ومحمود حسن إسماعيل، وحسن كامل الصيرفى وأقرانهم من شعراء الوطن العربى الذين هيأوا للرومانسية فى الشعر أجواءها ونماذجها الأولى وفى مقدمتهم: أبوالقاسم الشابى وعمر أبوريشة والأخطل الصغير وأمين نخلة وإلياس أبوشبكة وإبراهيم طوقان وغيرهم ويستعرض الشاعر فاروق شوشة رحلة صالح جودت الشعرية ويسلط الضوء على أبرز ملامحها وأبعادها الفنية والجمالية ومكانته بين شعراء الوجدان فى شعرنا العربى المعاصر، فيقول: (١)

«على مدار خمسين عاماً من الإبداع الشعرى، أنجز صالح جودت ستة دواوين شعرية أولها ديوان صالح جودت عام ١٩٣٤ فديوان ليالى الهرم عام ١٩٥٧ فديوان أغنيات

على النيل عام ١٩٦٢ فديوان حكاية قلب عام ١٩٦٥ فديوان ألحان مصرية عام ١٩٦٨ فديوانه الأخير الله والنيل والحب عام ١٩٧٥. وأتيح لشعره - الذى افتقد قارئه معظم دواوينه - طبعة جديدة وكاملة حققها وقدم لها الأديب الباحث محمد رضوان، أسماها: صالح جودت: شاعر الحب والحرية، حياته وشعره وقصائده المجهولة، صدرت سنة ٢٠١٢ عن مكتبة جزيرة الورد فى القاهرة.

ويبدو أن التفات صالح جودت، منذ مطالع شبابه إلى أهمية الغناء ودوره فى نشر الشعر والتعريف به وتحقيق شهرة غير عادية من خلاله - تأثراً بصديقه الشاعر الغنائى الكبير أحمد رامى الذى استهلكت أغنياته المؤلفة لأم كلثوم المساحة الأكبر من طاقته الشعرية - يبدو أن التفاته هذا، بنسبة أقل بكثير من رامى - قد حقق له من ناحية تقدماً فى الشهرة وذيوع الصيت بين أقرانه من شعراء أبوللو، وإن كان يجىء فى مرتبة بعد على محمود طه الذى يجعل ذيوع قصائده المغناة الشاعر الأول فى الحضور والأهمية عندما تذكر الحركة الرومانسية فى الشعر وجماعة أبوللو بصفة خاصة. كما انعكس التفات صالح جودت إلى إبداع الأغنية على إبداعه لقصائده وكتاباته بصفة عامة، فأكسبها رقة

(١) مجلة العربى الكويتية/ عدد أبريل ٢٠١٣.

وموسيقية وحرصاً على الإيقاع واهتماماً بلغة خالية من مجاهدات الصنعة أو مكابدات العنت والخشونة، فهى لغة سلسة متدفقة مناسبة، تتشبه فى سلاستها وعذوبتها انسياب النيل الذى هام به الشاعر، وأطلقه عنواناً على اثنين من دواوينه، وعلى كثير من قصائده ومقطوعاته المغناة.

ولد صالح جودت وعاش بين عامى «١٩٠٨ - ١٩٧٦» وخلال حياته الممتدة، وعمله فى الصحافة، خاض كثيراً من المعارك الأدبية والسياسية، اتسم معظمها بالحدة والعنف، وبخاصة ما كان منها ضد المجددين فى الشعر العربى، الذين أبدعوا النماذج الأولى فى شعر التفعيلة أو الشعر الحر ثم فى قصيدة النثر، وما أطلق عليه شعر الحداثة، فقد حمل عليهم بشدة، وكانت ردودهم عليه أعنف وأشد، وأدى هذا كله إلى تعمد إهمال الأجيال الجديدة لشعره، وإبعاده عن مكانه ومكانته اللتين يستحقهما فى حركة الشعر المصرى العربى الحديث، وبخاصة أنه فى طليعة الشعراء المصريين الذين ربطتهم علاقات وثيقة وحميمة مع شعراء الوطن العربى فى سورية ولبنان والعراق وغيرها من الأقطار العربية، وكانت له مشاركاته الدائمة - ممثلاً لشعراء مصر - فى كثير من مهرجانات الشعر فى بغداد ودمشق وبيروت.

وقد تهيأ لصالح جودت بسبب إتقانه للغة الفرنسية - ومن بعدها اللغة الإنجليزية - الاطلاع والمتابعة لكثير من دواوين شعراء الرومانسية الغربية، وبخاصة شيلي وكيتس ووردزورث وألفرد دى فيني وألفرد دى موسيه وفيكتور هيجو ولامارتين، وامتلأت دواوينه الأخيرة بترجمات شعرية لقصائد مكتوبة بالفرنسية والإنجليزية، برع في ترجمتها حتى لتبدو وكأنها مكتوبة في الأصل بالعربية.

ويبدو أن بروز الطابع الحسى فى شعره، هو الذى جعل ناقداً كبيراً هو الدكتور محمد مندور يقول عنه - فى كتابه عن الشعر المصرى بعد شوقى - إن صالح جودت شاعر غنائى حسى لعوب، ويسلكه فى عداد الشعراء العابثين منذ امرئ القيس وعمر بن أبى ربيعة وصولاً إلى على محمود طه - الذى وصف بالأبيقورية وقيل إن صالح جودت هو الأقرب إليه من حيث المزاج النفسى والشعرى، والولع بالعبث وشيطنة أهل الحضر من المصريين وإن شعره يشف عن روح الصالونات المصرية وما يجرى فيها من دعابات غزلية عابثة. لكن الدكتور مندور سرعان ما يقول - فى حديثه عن صالح جودت وتقييمه لشعره -: «ومع ذلك، فإن هذا الشاعر الغنائى الطروب، لا يلبث أن ينقلب إلى شاعر إنسانى عميق مشبع عندما تضيق عليه الخناق تجارب الحياة فيصحو وجدانه إلى

ما فيه من آلام وما فى تلك الآلام من عمق، على نحو ما نحس من قصيدة فريدة له هى «نحو الآخرة» التى نظمها على أثر مرض عضال ألقى به فى مصحة العباسية حيث أحس باليأس والعناء عندما أوشك الداء أن يقهره، ومن حوله مرضى من أمثاله يزيدون شعوره ببلواه حدة». ويرى مندور ضرورة أن تقارن هذه القصيدة بقصيدة مماثلة للشاعر خليل مطران نظمها فى ظروف مماثلة وهو عليل فى مكس الإسكندرية، وهى قصيدة «المساء» التى يقول فى مستهلها:

داء ألم فخلت فيه شفائى

من صبوتى، فتضاعفت برحائى

وهكذا تجمعت عناصر ومقومات فى شعر صالح جودت، جذبت إليه قدراً كبيراً من المتابعة والاهتمام: جرأة وخروج على المألوف فى التناول، من غير اهتمام بالتقاليد والمواضعات، وطابع حسى عابث يغرى المحرومين من الشباب بأن يجدوا فيه عوضاً عن الشظف والحرمان فى دوائر العلاقة مع المرأة، وإيقاع موسيقى لافت يصافح الأذن ويطربها عند قراءة قصائده أو الاستماع إليها، وولع بالألفاظ الموحية واللغة السهلة الميسورة، المصقولة صقلاً فنياً بارعاً، يذكرنا بجماليات المدرسة الشامية فى الشعر وبخاصة عند أمين نخلة وعمر أبوريشة ومن بعدهما على محمود طه ونزار قبانى،

وعناصر درامية تتخلل مقاطع القصيدة وثناياها، اكتسبها صالح جودت من كتاباته الغنائية والروائية والتمثيلية فى العديد من الأعمال الفنية، الأمر الذى جعل قصيدته تحتشد بأصوات أخرى غير صوت الشاعر نفسه، وتستجيب لحوارات ومداخلات تتطلبها الطبيعة الدرامية للنص الشعرى.

فى قصيدة من شعره الباكر عنوانها «الماضي» يقول صالح جودت:

لا تذكرى الماضى، فما أنا ذاكر
وأحب أحلامى إلى الحاضر

ويهدى صالح جودت قصيدته «المشية الموقعة» إلى تلك السارية فى الليل والناس نيام، تؤنس الشاعر بمشيتها المنغمة، وكأن ما ينبعث فى مشيتها من أنغام يجد معادله فى شعره الموقع، وهى قصيدة تكشف عن ولعه الحسى بالمرأة وافتنانه فى رسم صورتها الجسمية:

لحنت أشعارى على مشيتك الموقعه
إن سرت فى الدرب سمعت فى الفؤاد قرقعه
تحكم فى ساحته وتستبيح أضلعه
كأنما قيثارة فى قدميك مودعه
تسمعنى فى الخطوتين نغمات أربعه

وفى قصيدة عنوانها «بردي» تتفجر شاعرية صالح جودت بكل ما يحمله وجدانه من انتماء عروبى أصيل، وما تتفجر به أعماقه من عشق لدمشق وما تضمه من مواقع ألهمت خيال الشعراء، وجعلت من قصائدهم عقود محبة للغوطتين والهامة ودمر وبردى وغيرها. وتنساب القصيدة فى إيقاعها الجياش المتدفق نموذجاً بديعاً لشعر صالح جودت فى نفسه القومى، وحرارة توهجه وهو يشارك فى مهرجان الشعر الثالث الذى أقيم فى دمشق عام ١٩٦١ ضمن كوكبة من الشعراء المصريين، يقول:

أتوب، وأدعو، وأستغفر
وأخلص لله ما أضمر
وأستعجل الله يوم المآب
ويوم خلائقه تنشر
إذا قيل موعده «الغوطتان»
وموقع جنته «دمر»
فإن لم يكن «بردى» كوثرى
فيا ضيعة العمر يا كوثر

★★★

سليني، فعندى تواريخ مصر

وفيها لك الأثر الخير
لكم لج في تربها فاتح
وأوغل طاغ ومستعمر
تخطر «قمبيز» في أرضها
وأعقبه الفحل «إسكندر»
ونامت على عرشها «كليوباترا»
وهوم في بحرها «قيصر»
وهموا بصبغة أخلاقها
بلون الغزاة، فلم يقدروا!
إلى أن أتى الفارس العربي
فأدركها صبحها المسفر
وألقى «المقوقس» مفتاحها
إليه، ودان له العسكر
وما كان فتحا ولكنه
كما يشرق الأمل المزهر
شعاراته الباقيات: التحرر
والسلم، والعمل المثمر
وآياته البينات: السماحة
والعدل، لا اللون والعنصر

وجمال العربية فى هذه القصيدة العامرة يتجلى فى نفسها العروبى الزاخر، وزهو الشاعر بوتر الشعر الذى يجسد خيط الانتماء القوى لكل ما هو عربى وأصيل، وفى إيقاعها الذى تتدفق به تفاعيل بحر الكامل فى يسر وطواعية، دون مشقة أو إعنات، وقواف محكمة خلقت لتوضع فى مواضعها من الكلام، وخيال شعرى محلق، تنهض به لغة قشيبة مصقولة، فيها جدة الشباب، ورونق الحياة، وبهاء الخلود.

أما الشاعر والباحث محمد عبدالغنى حسن «١٩٠٧ - ١٩٨٥» فيعد صالح جودت «شاعر القوافى الرقيقة المواتية» لأنه يمتاز بأسلوب شعرى مميز يجعله فريداً فى طرازه بين شعراء العصر الحديث، كما أنه يمتاز بقافية رقيقة مواتية طيعة يختارها مما لا يخطر على البال من القوافى المألوفة الدارجة ولعله بذلك يوافق بين رقة الصياغة الشعرية فى القصيدة نفسها، وبين رقة القافية فيها، حتى يكون هناك توازن تام بينهما.

ولقد أتيح للشاعر الكبير صالح جودت أن يكون شاعر المنبر فى المناسبات القومية الكبرى، وفى الأحداث الجارية فى الشرق العربى كله، كما أتيح له أن يقف على منابر الشعر فى القاهرة ودمشق وغزة وبيروت وبغداد وتونس والخرطوم والإسكندرية وغيرها، وأن يصغى الجمهور المتعطش إلى

حلاوة انشاده، ورقة القائه، فكان طبيعياً من صالح جودت - وهو الشاعر اللماح الذكى - أن يختار قوافيه من معدن يشد انتباه سامعيه، ويجذبهم إليه جذباً.

ولم يكن يعتمد صالح جودت على القافية الرنانة الضخمة قدر اعتماده على القافية الرقيقة الأنيقة الموحية، ومن هنا كنا جميعاً نتحرق شوقاً إلى استماع قوافيه والاستمتاع بحلاوتها.

ولاتزال ترن فى أذنى أصداء تلك القافية الهمزية التى صنع منها شاعرنا الرقيق نسيج قصيدته فى مهرجان الشعر بالإسكندرية الذى أقيم بالثغر فى شهر أكتوبر سنة ١٩٦٢. فقد كانت القصيدة من البحر البسيط، وقافيتها على حرف الهمزة. فلما بدأ أول بيت فيها بقوله:

اسكندرية فيك الرى والظمأ
بأى قصة حب فيك أبتدئ؟

أشفقنا على شاعرنا الحبيب ألا تواتيه القوافى حتى يستوفى المعانى التى يريد أن يرسلها فى قصيدته. وخفنا ألا تسعفه الروى بما يريد أن يقول وخشينا أن ينقطع به نفس القول إلى ما لا يجاوز بضعة عشر بيتا من هذه القافية التى لم يطأها من ذلك البحر شاعر من قبل.. ويؤكد الثقات من إخواننا ممن شهدوا معنا ذلك المهرجان أن عباس محمود

العقاد خشى ألا يطول بشاعرنا النفس فى هذا المركب الذى كاد يكون وعراً.

وما كان أشد دهشتنا ودهشة السامعين جميعاً حين رأينا الشاعر صالح جودت يمضى فى القافية الهمزية من البحر البسيط إلى غاية لم يكن أحد منا يتصورها، وحين بلغت أبيات تلك القصيدة تسعة وأربعين بيتاً، لم يلهث خلالها الشاعر أو يدركه الاعياء، ولكنه كان سمحاً فى العطاء الشعرى، كما كان أروع صالح جودت وهو يقول فى قصيدته الهمزية تلك عن الإسكندرية:

اسكندرية يا سيناء ثورتنا
على الطغاة، ويا ميعاد من فجئوا
فجر العروبة من ماضيك منبثق
وللغد المرتجى ركناك متكأ
يا من هششت «لعمرو» يوم مقدمه
ولنت لله لما جاءك النبأ
مددت كفك للعربان فانتصروا
وسقت حتفك للرومان فانهزأوا
قبل الحضارة كانت فيك مكتبة
ينساب إشعاعها والكون مبتدئ
هم أحرقوها وقالوا عمرو أحرقها

ياطول ما كذب التاريخ واجترأوا
والله لولا حروف العرب ما كتبوا
سطراً، ولولا عقول العرب ما قرأوا

وكثيراً ما كان يوائم صالح جودت بين رقة القافية وعذوبتها من ناحية، وبين رقة الوزن المختار ولطفه من ناحية أخرى. ففى قصيدة «نهاية قصة» يجمع شاعرنا بين الباء والهاء والألف فى قافية وبين مجزوء البحر الكامل حيث يقول:

يا قلب: لا تحفل بها
واكتب نهاية حبها
لا لا تصدقها وإن
حلفت بعزة ربها
أن التى أحببتها
يا قلب عبدة كذبها
وهل التى لا تحتوي
قلباً تحب بقلبها؟

وهنا لا يكتفى شاعرنا بالأسماء والمصادر والأوصاف التى تجرى مع هذا الوزن وتلك القافية من أمثال: قربها، جبها، ثوبها، دربها، ركبها، صعبها، شعبها، ذنبها.. بل يتجاوز ذلك إلى الأوصاف مثل: مشبها، متنبها. وإلى الأفعال مضارعة كانت أم أفعال أمر، مثل: قلبها، ولم يسكر بها.

ولا يكتفى صالح بالمواءمة بين القافية والوزن، بل يلجأ فى اختيار شعره إلى المواءمة بين موضوع القصيدة وبحرها. ففى قصيدته «مينيون» - أى المرأة الحلوة القليلة الضئيلة الجسد - يلجأ إلى وزن قصير يلائم ضآلة المرأة التى يشبب بها كما يلجأ فى الوقت نفسه إلى قافية رقيقة مطاوعة تلائم الموضوع كله، فيقول:

يحـــــبني.. أحــــــبه
ويزدهيني حــــــبه
وفـــــرته تعــــجبني
وقلتي تعــــجبه

وقد أمدت هذه القافية الحلوة الثرية شاعرنا بفيض من المعانى والألفاظ والأعلام التاريخية مثل «جوهر الصقلى - الهرم الأكبر - تدمر - بلقيس - إسكندر - قيصر - منف كما أنها بسطت أمامه مجال القول فى معان قومية وعربية رائعة.

ولقد بلغ من رقة الشاعر صالح جودت فى قوافيه أنه حين يختار الروى غير المألوف - كالواو مثلاً - فإنه يحيله إلى قافية مطاوعة رقيقة، كقوله فى قصيدة «حب من السماء»:

سلواي: يا أحلى من الحلوي
يا لذة اللذات يا سلوي

أهـواك فـى صـــبـــر وفـى عـــفـــة
أهـواك فـى طـهـــر وفـى تـقـــوي
اصـنـع من وحـــيك قـــيـــثـــارتي
وامـــلأ الـدنـيـــا بـهـــا شـــدوا

حـتى قـافـيـة «الضـاد» على مـا فـيـهـا من بعض الثـقل قـد أحالـها الشاعر صالح جودت إلى لحن رقيق أنيق فى قصيدة «نصيحة» التى يقول فيها:

يـا مـن أســـوق إلـيـــه
شـــفـــاعـــتى تـتـــرضي
قـلـبى بـكـفـــيك رهـن
فـــهب حـنـانك قـــرضـــا
كـــفـــاك تيـــهـــا وكـــبـــرا
وابسـط جناحك خـــفـــضـــا
وجـــد بـوصلك يـومـــا
واكـــتم لـوعـــدك نـقـــضـــا
عـــدنـي بـه عـنـد مـــوتـي
فـــأقـطـع الـعـــمـــر ركـــضـــا

وإذا كان قدامى النقاد المتذوقين للشعر قد قالوا أن هناك بعض ألفاظ غير شعرية لا يليق بالشاعر المجيد أن يستعملها، مثل لفظة «أيضاً» فإن شاعرنا صالح جودت قد أنزل هذه

اللفظة أجمل منزل وأكرم موضع فى قوله:

خليت فى الحب عقلي
فخل عقلك «أيضاً»

و«أيضاً» هنا رقيقة سائغة فى شعر صالح جودت رقتها فى شعر الشاعر القديم الذى يقول:

رب ورقاء هتوف بالضحى
ذات سجع صدحت فى فنن
ذكرت إلفا وعيشا سالفا
فبكت حزنا وهاجت حزني
فبكائى ربما أرقها
وبكاها ربما أرقني
غير أنى بالجوى أعرفها
وهى «أيضاً» بالجوى تعرفنى

وفى هذا دلالة على أن الشاعر الساحر الصناع يسكب من روحه الشاعرة، ونفسه الطاهرة على الألفاظ غير الشعرية عطراً يجعلها ألفاظاً تأتزر بالشعر وترتدى.

كان صالح جودت من هذا الطراز الفاتن الساحر من الشعراء الملهمين الذين يخلعون على القوافى والألفاظ ما يبث فيها الفتنة والرقة والجمال.

أما الناقد د. عبدالعزيز الدسوقى «١٩٢٧ –» فيرى أن

التجديد فى شعر صالح جودت كان إحساساً جمالياً واتجاها وجدانياً فنياً فى الشعر العربى المعاصر (١).

لم يكن التجديد فى شعر صالح جودت، وزملائه من أبناء التيار الوجدانى فى شعرنا الحديث نزوة عابرة، أو تقليداً لموجات التجديد السائدة فى الغرب، بل كان إحساساً جمالياً حاداً، اقتضته ظروفهم النفسية والوجدانية وطبيعة حياتهم، وتصورهم لمشكلات الكون والوجود ورؤيتهم الاجتماعية الخاصة، ونزوعهم نحو التغلب على تخطى الهوة العميقة بين الحلم وبين الواقع المعتم الكئيب الذى يعيشون فى ظلاله، ولهذا جاء تجديدهم ذا طبيعة فنية متفردة، وانطلقت تجربتهم الشعرية منذ الثلاثينات، تحمل ذلك الشجى الوجدانى النافذ والنزعة التأملية العميقة.

ومن أجل هذا لم يقتصر تجديدهم على الناحية الشكلية أو الناحية الفكرية، بل انصهرت طبيعة تكوينهم الروحى والثقافى وظروف حياتهم ومشكلاتهم فى بوتقة واحدة. وطبعت تجربتهم الشعرية بطابع جديد. فالتجربة فى قاموسها الشعرى، جديدة فى الزاوية التى تصوروها. جديدة فى فكرتها. جديدة فى طبيعتها الجمالية. ولعل صالح جودت كان من أقدر أبناء

---

(١) مجلة الثقافة / عدد أغسطس ١٩٧٦.

أبوللو على التعبير عن تلك التجربة الوجدانية وكان تعبيره الحاد عن علاقة الرجل بالمرأة، وعلاقة الإنسان بالاله وفكرة الموت، يأخذ عنده أشكالاً كثيرة، وصلت إلى ذروتها فى مطولاته الفلسفية «الراهب المتمرد».

وقد عاش صالح جودت فى حالة نفسية عاصفة بعد هذه المطولة جعلته يهجر الشعر ويكتب مقطوعة بعنوان «القصيدة الأخيرة» يقول فيها:

لا رعاك الله يا شعرى على الدهر ولا حياك حى
قد تمردت على الله فحلت نقمة الله على
يا إلهى قد نفضت الشعر عن قلبى وأخليت يدى
وكسرت اليوم أقلامى وأغلقت بقلبى شفتى

ولكن هل حقا كانت هى القصيدة الأخيرة التى كتبها صالح جودت بعد ذلك؟

والجواب معروف، فقد استمر يكتب الشعر طوال حياته، بل غدا الشعر حياته ووجوده حتى صار من أكبر شعراء الوجدان فى شعرنا العربى الحديث. ولكن لماذا قال هذا الكلام فى فجر شبابه؟ لماذا كان يحس كل تلك الأحاسيس ويشعر بتلك المشاعر؟!... تلك كانت محنة هؤلاء الشبان من جيل أبوللو. والتى فجرت شاعريتهم، وجعلت لإبداعهم الفنى

مذاقاً جديداً وطعماً خاصاً، وإذا كان شعراء أبوللو قد نفضوا عن أنفسهم تلك المحنة بطرق مختلفة، فقد نفضها صالح جودت عن نفسه بمعاناتها وتصويرها شعراً جميلاً أخاذا يهز الوجدان ويحرك العقل، وكان فى سن متأججة ملتهبة فلم يكن قد تجاوز العشرين إلا بعامين أو ثلاثة، وفى تلك السن المبكرة استأثرت بشعره ثلاثة محاور رئيسية تدور حول الله. ومصر والحب. أبدع فى كل محور من هذه المحاور أعذب الأنغام. وأحياناً كانت تمتزج كل هذه المحاور فى العمل الفنى الواحد، على نحو من الأنحاء.

وبجانب التجديد فى الموسيقى الشعرية عند صالح جودت يرى د. الدسوقى أنه بجانب ذلك فإن أهم جوانب التجديد فى شعر صالح جودت: تجديد فى الموضوعات وتجديد فى التناول وتجديد فى قاموس الشعر وتجديد فى طبيعة التجربة وتعبيرها عن طبيعة المرحلة الحضارية التى عاشها الشاعر، وإذا كانت معالم التجديد قد تجلت من حيث الموضوعات فى محاور ثلاثة هى الله والحب ومصر فانها تجلت بشكل واضح فى البناء الفنى للقصيدة من حيث الوحدة الموضوعية والوحدة الفنية والوحدة العضوية، والنفس الدرامى الذى يملأ كل

تجاربه، وتجلت طرائق التجديد بشكل أوضح فى البراعة فى استخدام أدوات التعبير الفنية كالقدرة على استغلال التلوين الصوتى والتجسيد. والتشخيص الحركى، والمهارة فى استخدام الأوزان القصيرة ومجزوءات البحور، والتفنن فى التقفية التى فاق فيها صالح جودت الكثيرين من شعراء أبوللو.

على أن صالح جودت قد حاول فى مطلع شبابه أن يتمرد على عروض الخليل بن أحمد، ويتحرر من نظام تفعيلاته الصارم، فحاول عدة محاولات بعضها كان بمثابة تشكيل موسيقى جديد، لم يلتزم فيه النظام الخليلى المعروف، ولكنه التزم نمطا موسيقيا شبيها به، وان كان قد حاول فى البعض الآخر أن يخرج خروجاً تاماً على نظام الشطرين المعروف. وله عدة قصائد فى دواوينه وفى مجلدات أبوللو تنحو هذا النحو ومن أهم هذه القصائد مشهد درامى بعنوان «يومان» وهو حوار بين رجل وامرأة يرمز لها بـ«هى وهو» كما أنه حاول أن يجدد فى موسيقى القصيدة الغنائية، وقد استطاع أن ينوع فى موسيقا شعره مما أثرى موسيقا الشعر العربى المعاصر.

ولعل أهم الظواهر الصياغية فى شعر صالح جودت:

روعة موسيقاه: حيث يعتبر أن أساس الشعر عنده هو الموسيقى وقد ظهر ذلك فى التالي:

- غرامه بالأوزان القصيرة خاصة فى شعره الغزلى.
- اتخاذه «الهاء الساكنة» رويا للكثير من قصائده مثل قصيدته «عصير التفاحة».
- الكلمات الأنيقة الرشيقة مثل: العيون الزرق والشعر الذهب - البخور - العطور.

أما التصوير فى شعره ففيه الكثير من الأضواء والظلال كما أنه يقدم لنا فى نفس الوقت صوراً شعرية تحلل نفسية العاشق وتستبطن أعماقه مثل قصيدته «مينيون» وقصيدة «الموعد الخائب» التى رسم فيها لوحة نفسية لخواطر عاشق ينتظر محبوبته التى أخلفت موعدها معه وتركته يواجه لواعج الانتظار والقلق والحنين.

- استلهامه للروح المصرية فى نظرته للحب وللوطن ومن ذلك استخدامه الطريف لهذا التعبير المصرى الطريف:

إنى استشرت العمر فيك
فقال لى عمرى «كفايه»
لا تسألينى أن أعود
فأين أرضك من سمايه؟

وإذا كانت «المصرية» أهم ما يميز شعره، فإن عشقه لمصر

وتبتله في محرابها قد جعله «قيثارة مصر» التي غنت لمصر في انتصاراتها وانكساراتها، في أفراحها وأحزانها، فعزف على قيثارة أجمل أغنيات الحب والعشق لمصر الخالدة، ألم يقل فيها:

يا بلدى، يا ربوة — الأهرام والمعابد
آمنت من فجر الزمان — بالاله الواحد
يا آية الإيمان — يا عالية المساجد
أفديك يا حبيبتى — من عين كل حاسد
وما أجل المفتدى — وما أقل المفتدى
وخير ما أشدو به — أنى أحب بلدى

الفصل الثامن :

صالح جودت شاعراً غنائياً

يازهرة فى خيالى
رعيتها فى فؤادى
جنت عليها الليالى
وأذبلتها الأيادى
وشاغلتها العيون
فمات سحر الجفون

صالح جودت

كان حال الأغنية العربية فى مطلع القرن العشرين يفتقر إلى التجديد فى الكلمات واللحن، فبالرغم من وجود أصوات جيدة إلا أنها كانت تفتقر - فى معظم ما غنت - إلى الكلمة الجيدة.

وقد قيض الله للأغنية المصرية عدد من الشعراء الكبار الذين طوروا كلمات الأغنيات وارتقوا بمعانيها سواء بالشعر الفصيح أو بالزجل منهم أمير الشعراء أحمد شوقي، وأحمد رامى، وأحمد عبد المجيد، وعلى محمود طه وأحمد فتحى، وشعراء العامية محمود بيرم وبديع خيرى وأمين عزت الهجين ومأمون الشناوى ولكن كيف كان حال كلمات أغنيات مطلع القرن؟ يذكر لنا مؤرخو تلك الحقبة بعض معالم الجو الفنى، ومستوى أغنيات تلك الفترة الذى واكبت ظهور كوكب الشرق أم كلثوم والموسيقار محمد عبدالوهاب، فيذكرون أن الجو الفنى وقت ظهور أم كلثوم كان منفلتاً، ملبداً بالغيوم، فالناس - فيما عدا قلة - منصرفون عن الطرب الحقيقى إلى الأغانى الخليعة، وكانوا مجانين بكل ما يثير الغرائز ويلهب المشاعر، فإذا غنت أمينة الصرفية:(١)

جــاب لى اللمبة ميــة وحبــة

واديهــا لا مك بلا مســخــرة

(١) كمال سعد : أم كلثوم وزكريا أحمد / القاهرة ١٩٩٧.

كانت ترد عليها أمينة شخلع ذات القوام اللولبى مطالبة إيانا بأن نحافظ على الحبيب ونحميه من لسعة الشمس:

قولوا لعين الشمس ما تحماشى
أحسن غزال البر صابح ماشى

وتتحمس بمبه كشر فى مسابقة الأغانى الهابطة للطبيعة والخضرة بقولها :

مـــا بين البـــرســـيم والخـــضـــرة
أحـــــــبك ياللى مــــــــاشى

وتتسلطن بهية المحلاوية، واعدة بائع النعناع بأن «يبوسها» فى فمها وعلى خدها لو أوصلها لبلدها :

يابتـــــاع النعناع يامنعنع
يابتـــــاع النعناع ياواد أنت
وديـــنـــى بـــلـــدى واديـــلـــك
بوســـــة من خــــدى وأوهب لك
مـــالى وأمـــوالك وأحـــوش لك
حـــــوض من النعناع يامنعنع

وتدعو الست توحيدة البنات إلى الاضراب عن الزواج :

ما تحسبوش يابنات   إن الجـــواز راحـــة
أول ســـبوع يابنـــات   على الفـــرش مرتاحة

تاني سبوع يابنات خوخة وتفاحة
تالث سبوع يابنات حماتي رداحة
رابع سبوع يابنات في البيت نواحة
خامس سبوع يابنات على القاضي سواحة
سادس سبوع يابنات على بيت أبوها راحة

في مطالع القرن العشرين وصلت من بيروت للقاهرة بديعة مصابني مع نجيب الريحاني، وبمجرد وصولها بدأت أولى خطواتها الفنية بالتمثيل في المسرحيات عام ١٩٢٥، وافتتحت بعد رحلة شاقة صالة بديعة مصابني التى أطلقوا عليها اسم «الجامعة الفنية» فقد تخرج منها أشهر المغنين أمثال: عبد الغنى السيد ومحمد عبدالمطلب وابراهيم حمودة وفريد الأطرش ومحمد فوزى وغيرهم، كما قدمت نجيب الريحاني كمنولوجست في مستهل حياته، وقدمت كذلك المنولوجست حسن فائق وحسين ونعمات المليجي!

وكان الناس قد بدأو يتحدثون عن مطربة ناشئة «غاوية» أوبريت تؤدى هذا اللون ببراعة، وكانت تلك المطربة هي مطربة العواطف «ملك».. وكانوا يتحدثون- عن نادرة أمين (١٩٠٦- ١٩٩٠) وهي مطربة جاءت من سورية للقاهرة عام ١٩٢٦ لتصبح ذات وزن فني بعد عام واحد من حضورها، وأقامت

المطربة نادرة أولى حفلاتها الغنائية على أكبر مسارح القاهرة وهو مسرح رمسيس!

وأصبحت المطربة نادرة صاحبة أول فيلم غنائي سينمائي في تاريخنا وهو فيلم «أنشودة الفؤاد» الذى أخرجه استوديو جومون بباريس واشتركت في تمثيله أمام جورج أبيض وعبدالرحمن رشدى في عام ١٩٣١،وقد تغنت بعدة قصائد للعقاد منها «فى الهوى قلبى زورق يجرى».

وفي عام ١٩٣٤ أصبحت نادرة من أهم نجوم الاذاعة، ولكنها سرعان، ما أفسحت الصفوف الأمامية لغيرها.

ولهذا كنت إذا ما ذهبت إلى حى الأزبكية، أو الحى الذى يتمثل فيه ليل القاهرة فى هذه الفترة، كان يلفت نظرك على الفور مقاهى الطرب والرقص المتناثرة في كل مكان وخاصة في «الرويعى» و «بير حمص» و «قنطرة الدكة» و «ميدان الخزندار»، وكنت في هذه المقاهى ترى العجب، ترى من يغنى المواويل الشعبية من وحى «القعدة»، وترى من ترقص بالشمعدان وهى تقف وتجلس وتميل والشمعدان لا يتحرك من فوق رأسها، وكلما توقفت عن الرقص اندفع تجار القطن ليلصقوا على جبينها ووجهها الجنيهات، وتظل على هذه الحال إلى أن تجمع من نقوطها المعلوم فتنسحب وسط التهليل، وتترك الساحة لغيرها لتواصل ساعات الحظ!

كانت تلك المقاهى الفنية، التى تم فيها اكتشاف منيرة المهدية تتبارى فيما بينها لاجتذاب الناس الذين أصبحوا بعد الحرب يتهيبون السهر فى المسارح، كما كانت شلل أولاد البلد تتجمع فى كل ليلة، وتلف حول هذه المقاهى وهى تعبر عن ضيقها بترديد الأغنية الشعبية التى كان يحفظها كل أبناء مصر من كلمات الشيخ يونس القاضى (١٨٨٨-١٩٩٢):

ياست مصر صباح الخير … يسعد صباحك ياعنيه
فين العدالة يامون شير … وبس فين الحريه
أما الزمن ده له أحكام … أحكام ولكن عرفيه
واللى يشوف ثغرة بسام … يحسب أموزه مرضيه
بعد الدهب تلبس أغلال … وتعيش أسيرة ومقهوره
خدام بإيدى دأنا فى حال … يبكى أهل المعموره
وبس مين يرضى يارجال … حرة وتصبح مأسوره

عاشت منيرة المهدية حياتها الفنية بالطول والعرض وظلت تتربع على عرش الغناء لفترة طويلة حتى ظهرت خلال سنوات مجدها أصوات شابة متميزة فظهرت أم كلثوم ثم أسمهان ثم ليلى مراد وغيرهن من الأصوات النسائية الجيدة فضلاً عن أصوات مطربى تلك الفترة مثل عبدالوهاب ثم كارم محمود وعبدالعزيز محمود وعبد الغنى السيد وغيرهم.

وفى الثلاثينات من القرن العشرين بعد دخول صالح جودت فى الحياة الأدبية والفنية بدأ يكتب أغنيات بالفصحى، ثم بالعامية، فكانت أغنية يازهرة فى خيالى التى تغنى بها الموسيقار فريد الأطرش فى فيلم «حبيب العمر» عام ١٩٤٧.

ثم بدأ يكتب بالعامية فكتب يامسافر وناسي هواك للمطربة ليلى مراد، وأغنية «أحبك أحبك واضحى بحبك» للمطربة شادية وأغنية «يامالكة القلب فى أيدك» للموسيقار فريد الأطرش التى يقول مطلعها:

يامالكة القلب فى أيدك　　ده عيد الدنيا يوم عيدك
عيونك فى الهوى غنوه　　وخدك للأماني كاس
وعودك لحن ياحلوة　　سحرتي به قلوب الناس
شافوكى فى المهج نشوة　　وقالوا ربنا يزيدك
يامالكة القلب فى أيدك

وغنى له الموسيقار فريد الأطرش «ياشمس قلبى وضله ياحكاية العمر كله» فى الستينيات وغنى له العندليب الأسمر عبد الحليم حافظ «ألوى الوى» وغنت له ليلى مراد فى فيلم شاطىء الغرام الذى عرض فى فبراير ١٩٥٠ بطولة ليلى مراد وحسين صدقى عدة أغنيات رائعة منها «أحب اتنين سوا الميه والهوا» وأغنية «يامسافر وناسى هواك .. رايداك والنبى

رايداك» من ألحان أحمد صدقي في فيلم «شاطئ الغرام» الذى تجرى أحداثه فى مدينة مرسى مطروح الساحلية الرائعة ، وكان صالح جودت من المتيمين بشاطئ مرسى مطروح الساحر ويعتبره من أجمل شواطى العالم. وغنت له المطربة صباح أغنية «باخاف من سحر عينيك من ألحان محمد القصبجى وغنى له الموسيقار محمد فوزى استعراض الزهور الذى يقول فيه: أصل الزهور زى الستات لكل لون معنى ومغنى وكان صالح جودت يشتعل حبا ووطنية لوطنه مصر ولأمته العربية وقضاياها المصرية، فكتب عشرات من الأغنيات الوطنية الصادقة الباقية فغنت له فايزة أحمد : قاهرتي- وفى شارع الأمل وغنت له سعاد محمد كبرى ياأم المداين كبرى بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة وغنى له الموسيقار محمد عبدالوهاب: كل أرض عربية وأرض النسور.

وغنت له أم كلثوم أنشودة :

قم واسمعها من أعماقى فأنا الشعب

إبق فأنت السد الواقى لمنى الشعب

إبق فأنت الأمل الباقى لغد الشعب

أنت الخير، وأنت النور

أنت الصبر على المقدور

أنت الناصر والمنصور

إبق فأنت الأمل الباقي لغد الشعب

والتى جاءت كإشعاع ضوء فى لحظة حالكة من تاريخ مصر والعرب ليلة ٩ يونيه حين تنحى الزعيم جمال عبدالناصر عن الرئاسة إبان نكسة ١٩٦٧ وغنت له أم كلثوم أيضاً «الثلاثية المقدسة» التى يقول مطلعها:

رحاب الهدى، يامنار الضياء

رأيتك فى ساعة من صفاء

تقول أنا البيت ظل الإله

وركن الخليل، أبى الأنبياء

وتوجد عشرات من الأغنيات الوطنية والقومية التى تحتاج لصفحات مطولة لاستعراضها.

وتغنت بقصائده فى الثلاثينيات والأربعينيات عدة أصوات جميلة مثل قصيدة «أنشودة الفن» للموسيقار محمد عبدالوهاب وقصيدة :

ما اسمك بين الأسامى يامنيتى ياغرامى

التى تغنى بها المطرب الأصيل كارم محمود وتغنت المطربة لور دكاش بعدة قصائد له

والجدير بالذكر أن صالح جودت كان يتمنى أن تتغنى

كوكب الشرق أم كلثوم بقصائده خاصة أن صلته كانت طيبة بأم كلثوم ولكنه لم يشأ أن يغضب صديق عمره الشاعر أحمد رامي الذى كان يشعر بالغيرة الفنية من أى شاعر آخر معاصر تتغنى أم كلثوم بشعره وهو الذى كان يعتبر نفسه المستشار الأدبى الذى يجيز أولا يجيز أى قصيدة تغنيها واستمر ذلك حتى غنت أم كلثوم لصالح جودت قصيدته «الثلاثية المقدسة» بعد نكسة ١٩٦٧ .

ولكن تبقى أغنية «يازهرة فى خيالى» إحدى علامات تطور الأغنية العربية لأنها أذيعت بكلمات راقية وصوت رائع للموسيقار فريد الأطرش تغنى بها فى فيلم «حبيب العمر» الذى عرض لأول مرة على شاشة السينما بالقاهرة فى ٢٧ مارس ١٩٤٧، وتقول كلماتها:

يازهرة فى خيالى رعيتها فى فؤادى
جنت عليها الليالى وأذبلتها الأيادى
وشاغلتها العيون فمات سحر الجفون



ياغرامى كل شئ ضاع منى
فنزعت الحب من قلبى وروحى
ووهبت العمر أوتارى ولحنى

وتغنيت فداويت جروحى
أنا طير فى ربى الفن أغنى
للطيور، للزهور، للغصون

★★★

ردى جمالك للمحروم والخالى
لا تطمعى فى فؤادى، إنه سال
شغلت عنه بأحلامى وآمالى
كأن حبك لم يخطر على بالى

وتبقى لصالح جودت عشرات الأغنيات بالفصحى والعامية تغنى بها كبار المطربين والمطربات المصريين والعرب، والتى إذا درست دراسة مستفيضة فسنكتشف كم أضاف صالح جودت للأغنية المصرية والعربية، وكم ارتقى بمستواها فى المعنى والكلمة الراقية التى تقترب من الفصحى بعيداً عن السطحية أو الإسفاف، ولذلك يحسب لصالح جودت أنه أحد رواد تجديد وتطوير الأغنية المصرية والعربية وانتشالها من وهدة الإسفاف والسطحية إلى قمة الجمال الفنى وسمو المعنى، وروعة الكلمة الشاعرة.

ويذكر عبدالمنعم شميس ان المداد الذى كتب به صالح جودت أغانيه التى تملأ الهواء لم يجف بعد، ومع ذلك فانه

ليس له ديوان لأعماله الشعرية الكاملة... وقد يصبح من الصعب جمع هذا الديوان وطبعه (١)

المهم هو أن صالح جودت تميز مع إسلامياته بمصريته، وقد سمى ديوان شعره الصغير باسم «ليالى الهرم» لأنها تشير إلى الروح المصرية التى تملأ كيان هذا الديوان. كما يقول عن نفسه: « أحسب أن الروح المصرية هى أخص خصائص هذا الشاعر الذى حدثتك عنه».

وهو يعنى نفسه بالطبع.. وقد غنت له المطربة فايزة أحمد إحدى روائعه البديعة وهى قصيدة: «قاهرتى».

أننى أقف عاجزاً عن الحكم على الشاعر صالح جودت، لأننى لا أجد نصوص أشعاره التى نشرت فى الصحف والمجلات فى مصر وخارج مصر أيضاً.. ولا أجد أغانيه التى تحتل مساحة كبيرة فى الغناء المصرى الحديث.

وهذه الأغانى لها طعم خاص هو «المصرية» إذا صح هذا التعبير، وهى من الأغانى الشاعرة التى لا تعتمد على الأغانى القديمة ولا الفولكلور الشعبى، ولكنها فى لهجتها الفصيحة أو فى لهجتها العامية قصائد شعر.

ليس فى شعر «صالح جودت» سوقية مثل بعض ما

---

(١) قام المؤلف (محمد رضوان) بجمع وتحقيق ودراسة أعمال صالح جودت الشعرية الكاملة عام ٢٠١٢.

نسمع أحياناً من أغنيات .

وليس فى أغنيات «صالح جودت» مطالع قديمة مسروقة من الأغانى القديمة المنشورة فى كتاب «سفينة شهاب» التى تضم معظم الفولكلور الغنائى المصرى الذى يسرق الآن، ويدعى بعض مؤلفى الأغانى أنهم أصحابه.

أن المصرية التى تميز بها شعر صالح وأغانيه، هى المصرية العصرية المثقفة الأنيقة :

يا حبيبى نامت الشمس وراء الهرم
وتهادى القمر النشوان بين الظلم
ملكاً يختال تيهاً فوق عرش الأنجم
وينادى كل لهفان إلى الحب ظمى

وقد نحس بالروح المصرية فى التأليف والتصوير قبل اللفظ:

اسأل الليل إذا الليل دنا
بدره المشرق أم بدرى أنا؟
المنى والسحر والعطر هنا
والهوى والكأس والليل لنا

ان الصورة الشعرية فى الحالين واحدة، وهى صورة البدر فى الليالى، والذين سهروا الليل فى مدائن الدنيا يعرفون البدر فى ليل القاهرة... ما أحلاه.. وما أجلاه.

كان صالح جودت يحب كتابة أشعاره عند سفح الهرم، ويجلس في شرفة فندق «ميناهاوس» يرقب أحياناً شروق الشمس، وقد تسوقه الأقدار ساعة العصارى (١) .

أما لياليه فكانت فى قلب القاهرة حيث كان يحلو السهر ويطيب الحديث والسمر.

قالت لى «السيدة ثريا جودت» ابنة عمه صالح بك جودت.

- هل نسيتم صالح جودت.. لقد مضت سنوات ست منذ رحيله؟

قلت:

- كيف ينسى من قال:

يا حبيبى ضمنى يوماً إذا كنت بقربى
واسمع اللحن الذى تعزفه أوتار قلبى

كان صالح جودت قيثارة حب تغنى.. وكان لحن شعر تعزف أصابعه دائماً على أوتار القلب.

كان يقول:

- أن أول ما أخذنى من الشعر هو الموسيقى.. وعقيدتى فى الشعر أنه أول ما يكون موسيقى.

كان صالح جودت واحداً من ملوك النغم فى الشعر.



(١) مجلة الجديد : عبدالمنعم شميس : أغسطس ١٩٨٢.

ويتناول الشاعر الناقد فاروق شوشة (١٩٣٦) أبرز ملامح شخصية صالح جودت وشعره، فيقول: (*)

«هذا شاعر لا يكاد يذكره الآن أحد.. بالرغم من أنه كان يملأ الدنيا ويشغل الناس بقلمه وبكتاباته وبمعاركه منذ بزوغ اسمه في حياتنا الأدبية والصحفية، في النصف الثاني من ثلاثينيات القرن العشرين عندما أصدر ديوانه الأول «ديوان صالح جودت» عام ١٩٣٤ وحتى رحيله في عام ١٩٧٦ بعد أن أصدر آخر دواوينه «الله والنيل والحب» بعام واحد عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

«كان صالح جودت ومعه أقطاب التيار الرومانسي: «إبراهيم ناجي وعلي محمود طه ومحمد عبدالمعطي الهمشري ومحمود حسن إسماعيل وأحمد رامي ومختار الوكيل وحسن كامل الصيرفي وغيرهم يهيئون الأرض - بنماذجهم الشعرية المبكرة - لمذاق شعري جديد - غير مألوف، ولغة شعرية يلتمع في ثناياها معجم شعري يصف المحسوسات بصفات المعنويات والمعنويات بصفات المحسوسات ويطلق الخيال المحلق إلى تخوم شديدة البعد، لغة تتميز بالأناقة المترفة، والصياغة المفعمة بالهمس والإيحاء، والتأثر بأشعار الرومانسيين الإنجليز والفرنسيين، من أمثال كيتس وشيلي

(*) الأهرام / ٤ يونيه ٢٠٠٠.

ووردزورث وبيرون ولامارتين والفرد دى موسيه وألفرد دى فيني.. وكان صالح جودت من بينهم جميعاً أقرب إلى الروح المصرية والمزاج المصرى فى أسلوب التعبير عن العواطف والمشاعر، واقتناص الكلمات المصرية ذات الدلالة المحلية الطابع، مما يذكرنا بما كان يصف شاعر مصرى قديم فتن به صالح جودت وكان دائم الإشارة إليه وذكره هو «البهاء زهير» تميز شعره بدرجة عالية من هذه الروح المصرية والطابع المصرى فى الصياغة والتعبير.

الغريب أن صالح جودت كان على وعى بهذا الدور الشعرى الذى قامت به الحركة الرومانسية.. وفى حديثه عن صحبته لناجى وعلى محمود طه والهمشرى.. فى سنوات الصبا الباكر - إشارة إلى التكوينات الأولى، والنزعة الشعرية المشتركة، والأفق المغاير الذى يتطلع إليه الأربعة.. يقول :

«كانت هذه الصحبة مدرسة جديدة فى الشعر، تتقارب خطوطها كل التقارب إلى حد اختلط شعرنا على الناس فى كثير من الأحيان فنسب إلى غير صاحبه، وإلى حد أن أحداً منا نحن الأربعة لم يكن يعرف من التلميذ ومن الأستاذ، فقد كان كل منا يفيد من صحبة الآخرين.

«وكان لنا أصحاب ثلاثة من شعراء الشباب فى الأدب الإنجليزى، هم: شيلى وكيتس ووردزورث، نقرؤهم دائماً،

ونحس بما بيننا وبينهم من أواصر الشعر ووشائج الشباب وعبادة الجمال وروح الثورة على القديم.

لكن المستقبل الأدبى بعد هذه السنوات التى يتحدث عنها صالح جودت وهى سنوات الدراسة الثانوية فى المنصورة بين عامى ١٩٢٧، ١٩٣١.. التى جاءها من الزقازيق حيث كان مولده، هذا المستقبل قام بتوزيع الحظوظ الأدبية على الأربعة فيما يشبه القسمة العادلة طبقاً لموهبة كل منهم وإخلاصه للشعر، فليس صدفة أن تقدم ناجى وعلى محمود طه وجاء من بعدهما الهمشرى وصالح جودت فى ميزان الشعر الحقيقى.. والتهمت الحياة الصاخبة الممتلئة التى عاشها صالح جودت كثيراً من طاقته الإبداعية ومن تفرغه للشعر، كما التهمت معاركه الأدبية والصحفية والسياسية كثيراً مما تبقى من هذه الطاقة، وحين مشى فى طريق صديقه الأثير أحمد رامى وبدأ يتجه إلى كتابة الأغنية، خاصة للعديد من الأفلام السينمائية.. أشهرها فيلم شاطئ الغرام.. كسبته الأغنية العاطفية ولم تكسبه القصيدة المجددة المحلقة التى كان يبدعها ناجى وعلى محمود طه.. وفى الإذاعة المصرية عمل صالح جودت عدة سنوات مشرفاً على الأحاديث ومقدماً للبرامج الشعرية ومكتشفاً للمواهب الجديدة، ومن خلاله عرف الناس شعر شاعر الكرنك أحمد فتحى قبل أن تشدو به أم كلثوم ومن

الإذاعة إلى الأهرام صحفياً وكاتباً فرئيساً لتحرير مجلة الراديو و«الإذاعة» فرئيساً لتحرير «المصور» ورئيساً لتحرير «الهلال» ونائباً لرئيس مجلس الإدارة بدار الهلال.. وبالرغم من تتابع دواوينه الشعرية ومؤلفاته الأدبية ورواياته ومجموعاته القصصية خلال هذه الرحلة الطويلة الحافلة إلا أن وجهه الشعرى انعكست عليه شوائب معاركها التى تجاوزت الساحة الأدبية إلى الحدة السياسية ومن هنا وقع الظلم الشديد على شعر صالح جودت الذى يتسم بالعذوية والأناقة الشعرية والخيال الوثاب، والذى ابتعد عنه النقاد والدارسون لأنهم ابتعدوا عن صاحبه وأصدروا حكمهم عليه، وكان هو نفسه سبباً فى هذا الظلم الشديد الذى لحق بشعره، فقد اشتط فى خصوماته ومواقفه العنيفة، ولم يقتصر حواره مع خصومه على الدائرة الأدبية وحدها، بل كان يصبغه دوماً بالطابع السياسى.

ثم يضيف الشاعر الكبير فاروق شوشة:

«ومنذ رحيله فى ٢٣ يونيه ١٩٧٦ لم يذكره أحد بكلمة غير الأديب محمد محمود رضوان الذى ألف عنه كتابه «شاعر النيل والنخيل» منذ سنوات عديدة «سنة ١٩٧٧».

لقد أصدر صالح جودت ستة دواوين هى: ديوان صالح جودت «١٩٣٤»، ليالى الهرم «١٩٥٧»، أغنيات على النيل

«١٩٦٢»، حكاية قلب «١٩٦٥»، ألحان مصرية «١٩٦٨»، اللّه والنيل والحب «١٩٧٥» وعدة دراسات أدبية هى: بلابل من الشرق، شاعر الكرنك، شعراء المجون، ملوك وصعاليك، ناجى: حياته وشعره، الهمشرى: حياته وشعره، كما أصدر روايتين هما: الشباك وعودى إلى البيت، وعدداً من المجموعات القصصية هى: فى فندق اللّه، وداعاً أيها الليل، خائفة من السماء، بنت أفنديننا، كلنا خطايا، أولاد الحلال، أساطير وحواديت، وعدداً من كتب الرحلات أبرزها، قلم طائر لكنها - فى مجموعها - كتابات تنتسب إلى عالم الكتابة الصحفية أكثر من انتسابها إلى علم الإبداع القصصى والروائى.

وبالرغم من وفرة هذا الإنتاج الأدبى وتعدد جوانبه، إلا أن الوجه الشعرى لصالح جودت يظل وجهه الأساسى والأصيل، وهو الوجه الذى شملت آخر تجلياته فى قصيدة «الثلاثية المقدسة» التى تغنت بها أم كلثوم، والتى كتبها صالح جودت استجابة للفكرة التى ومضت فى خاطر المفكر الإسلامى الراحل الدكتور عبدالعزيز كامل عندما كان وزيراً للأوقاف، وبعد حريق المسجد الأقصى.

يقول صالح جودت فى قصيدته «أحلام المنصورة» مسترجعاً ذكريات الأيام البعيدة من الصبا ومطالع الشباب:

آه مما بى، وهل تدرين ما بى

يوم ودعــتك.. ودعت شــبــابى
أين أحــلامى على تلك الروابى؟
ذابت الأحـــلام فى قلبى المذاب
لى حــبيب فـيك أفـديه بعـمـرى
سـمـرة النـيل على خـديه تغـرى
هو إلـهـامى وأحـلامى وشـعـرى

النزعة الحسية الطاغية، والظمأ الشديد لكل ما فى الحياة من متع ورغائب، ملمحان لا يفارقان قارئ شعر صالح جودت، إنه ظامئ نهم بالجمال - يلمسه ويشمه ويتحسسه، لا يكتفى برؤيته أو تذوق عطوره، ولا يؤجل لذائذ يومه إلى غده.. هذه النزعة الأبيقورية أو الخيامية أو النواسية هى التى تقربه أحياناً من على محمود طه وتباعد بينه وبين إبراهيم ناجى، فكلاهما: على محمود طه، وصالح جودت حريص على تأكيد فروسيته فى مجال العشق، وظفره بمن تشاغله خيالاته وأفكاره، يقول صالح جودت:

أجـل، ظـمــــــآن يا لـيلـى
ومـــــاء الحب فـى نـهــــرك
خــــذينى فـى ذراعـــــيك
وضــــمــــينى إلـى صــــدرك
دعــــينى أشــــرب النور الذى

ينســــاب من شــــعــــرك
وروى لهــــفــــة الظمــــآن
بالقــــبلة من ثغــــرك
هــبى لــى لــيلــة أثــمل
ياليــــلاى من خــــمــــرك
تقــولين: جــمــعت الســحــر
يا ظمــــآن فى شــــعــــرك
وأنت قــصــيــدتى الكبــرى
وهذا الشــعــر من ســحــرك

بين ميلاده فى الثانى عشر من ديسمبر ١٩٠٨ ورحيله فى الثالث والعشرين من يونيو ١٩٧٦ عاش صالح جودت حياة صاخبة حافلة، امتلأت بمعاركه القلمية فى الشعر والأدب والسياسة، وألقت بغبارها الكثيف على إبداعه الشعرى، إبان فوران الانتقال من العصر الناصرى إلى الساداتي، والآن - بعد أن انقشع الغبار أو كاد - آن أوان قراءة صالح جودت قراءة جديدة تعكف على شعره وحده.

الفصل التاسع :

مأساة شاعر الحب !

لا تقـولوا غـداً فـعـمـرى قليل
هـده اليـــأس والعنـاء الطويل
أمنوا لى غـدى لأصـبـر، لكن
كـيف يعطى الأمـان عـزرائيل
لست أخشى الردى فعمرى هباء
لم ينور حـمـاى منه فـتـيل
وإذا الـعـمـر لم ينور حـمـاه
فـهـو مـهـمـا يطل مـداه ضـئـيل

صالح جودت

تغريدة البجعة

عرف عن البجعة أنها وهى تلفظ أواخر أنفاسها، تخرج نغمة أجمل ما تكون النغمات.

وقد عانى صالح جودت فى سنواته الأخيرة آلاما مبرحة بسبب المرض العضال الذى أصيب به فى صدره فى العامين الأخيرين من حياته منذ منتصف عام ١٩٧٢ حتى رحيله فى ٢٣يونيه ١٩٧٦.

وقد روى لنا بأسلوبه المؤثر حكاية عذابه مع المرض أثناء معركة الحياة والموت التى واجهها بشجاعة نادرة وصبر لا ينفد وذلك فى بابه الشهرى الذى كان يكتبه فى مجلة الهلال التى كان يرأس تحريرها (١٩٧١ - ١٩٧٦) تحت عنوان «رحلة الشهر» وسماها «رحلة عذاب» يقول صالح جودت:(*)

«لم تكن فى الواقع رحلة شهر، وانما كانت رحلة عام وبعض العام...

«رحلة عذاب، بدأت فى أكتوبر سنة ١٩٧٤، وتخففت وتثاقلت، وتثاقلت وتخففت، إلى أن أدركت مطالع هذا العام، فانتقت بى من معالجة سكرات الموت إلى معالجة سكرات الحياة.

(*) مجلة الهلال، مارس ١٩٧٦.

«بدأت بثلاثة أشهر فى مستشفى القوات المسلحة بالمعادي، وانتهت بثلاثة أشهر مماثلة، منها شهر فى مستشفى برومتون بلندن، وشهران فى مستشفى رويال مارزدن، بمدينة ساتون، على مسيرة ساعة من لندن.

فى المعادى نزلت فى جناح على النيل، مشرف على مدى واسع يمتد من أهرام الجيزة إلى أهرام ميدوم ودهشور وسقارة.

منظر رائع حقا...

ولكنه حينما يقترن بالرقدة الطويلة، والآلام المبرحة، والليل المؤرق، وسلسلة الجلوكوز والأنسولين والتحاليل والإشعات والإبر والعقاقير، يتحول من صورة حية إلى صورة جامدة لا تتحرك طول النهار، ولا تتبدل من يوم إلى يوم، وتصبح جهاز تسجيل للدموع والآهات والآلام والحسرات.

ويخفف من بعض هذا العذاب، ما لقيت من رعاية الأطباء الذين ما لبثوا أن تحولوا إلى أصدقاء خلصاء.

ويلطف من حدة هذه الشدة، ما لقيته من عطف الرئيس الحنون أنور السادات، ومن لطف ذات اليد الآسية الحانية، سيدة مصر الأولى، قرينته.

وتنتهى الأشهر الثلاثة الأولى من المحنة، وأخرج وأنا ألبس ثوب شفاء كاذب، أذهب بعده إلى الملتقى الإسلامى

بمدية تلمسان بالجزائر، فلا يلبث الثوب الكاذب أن يتمزق، وأسقط هناك لأجد نفسى على سرير المرض فى مستشفى تلمسان.. وما أدراك ما مستشفى تلمسان.

وأتحامل على نفسي، وأعود إلى مصر، لأننى أريد أن أموت على أرض مصر..

وأعود إلى العمل، بنفس الطاقة التى أعمل بها طول حياتي.. ثمانى عشرة ساعة كل يوم.. ولكن الطاقة كانت هذه المرة مستعارة لا صادقة....

مستعارة من وهم الشفاء، ومن حب الجهاد..

ولا ألبث أن أسقط مرة ثالثة فى بيتي، وأستسلم للمخدع وأسلم أمرى لله، وأحس بأن شيئا مجهولاً - غير كل ما يقوله الأطباء - يمهد لى طريقى إلى لقاء الله.

ويلاحقنى حب الأصدقاء بالسؤال أو بالزيارة كل يوم. وذات يوم يسألنى الصديق الاستاذ محمود لطفي، المستشار القانونى لجمعية المؤلفين والملحنين كيف أصبحت، فأقول له: «كما كنت بالأمس، أن لم أكن أسوأ.

فيضطرب خاطره، ويصرخ فى وجهي: إلى متى تصبر على نفسك والحالة تسير على هذا الوجه؟

فأقول له: إلى أن ألقى وجه الله.

وينتهي حديثنا، ويهرع هو إلى صديق العمر، موسيقار الجيل، الاستاذ محمد عبدالوهاب ويقص عليه ما دار بيننا فيضطرب خاطر عبدالوهاب هو الآخر، ويتصل بي، ويقول في حزم: كيف تصبر على نفسك، ولماذا لا تطلب أن تعالج فى الخارج؟

قلت له - وهذه حقيقة من حقائق حياتى منذ طفولتى - أننى ما تعودت أن أطلب من أحد شيئا لنفسي.

فأنهى الحديث، واتصل من فوره بالصديق الحبيب يوسف السباعي، وزير الثقافة والإعلام، وفى غمضة عين، وجدت يوسف السباعى فوق رأسي، يلومنى على قولى أنى لا أحب أن أطلب من أحد شيئا، لأن الدولة ليست أحدا، وإنما هى الدولة التى نحرق حيواتنا جميعا فى سبيل مجدها وعزها، ومن حقنا عليها أن تقف معنا فى محنتنا.

وفى أيام معدودة، أنجز يوسف السباعى - رعاه الله - أوراق السفر، وذهبت إلى لندن.

خرجت من القاهرة مستندا إلى ذراعى الصديقين حسن عبدالمنعم، رئيس اتحاد الإذاعة والتليفزيون، وعبدالرحيم سرور، رئيس هيئة التليفزيون.

أما فى لندن، فما كان أقسى المشهد على نفسى حين رأيتنى محمولا من سلم الطائرة إلى السيارة على كرسى ذى

عجلتين، يدفعه أحد حمالي المطار، ونظرات الإشفاق بادية في عيون القادمين والراحلين.

★★★

لم أر من لندن شيئاً طوال الشهور الثلاثة.. فقد قضيتها جميعا في حبس انفرادي.

ذهبت - أول ما ذهبت - إلى عيادة الدكتور سترون، الطبيب الجهير الذي اختاروه لي. وما كاد يسمع قصتي حتى أربد وجهه لسبب لا أعلمه، وأن كنت أرجح أنه أدرك شيئاً، لعله ذلك الشيء المجهول الذي كنت أحس أنه يمهد طريقي إلى لقاء الله.

وحدد الطبيب لي موعدا أستقر فيه بمستشفى برومتون.

وذهبت، وبدأت مرحلة جديدة من الفحوص والتحاليل وصور الأشعة... إلى جانب عمليتي منظار، المنظار الأول يدخل في الأنف ويصل إلى الجوف، والثاني يدخل من الفم ويصل إلى العمق.

وأخيرا.. جاء الدكتور سيترون، ومعه الجراح الكبير الدكتور «باناث»... يصارحانني بالحقيقة القاسية: سرطان في الرئة اليمنى... ولابد من عملية جراحية لاستئصال هذه الرئة.

هذا هو المجهول الذي طالما أحسست أنه يمهد لي الطريق إلى لقاء الله.

وسألاني، وكأنهما الملكان عن يمين ويسار: ما هو قرارك؟

قلت مؤمنا: ليس هناك اختيار.

ووقعت إقرارا بقبول هذا القرار وأجريت العملية، وفتحت عينى بعدها لأجد حولى وجوها مصرية حبيبة تبارك نجاح العملية، منها سفير مصر فى لندن، الاستاذ سميح أنور. وقنصلنا العام، الاستاذ أمين سامي، والدكتور خلاف مدير المكتب الصحي، وغيرهم من أعضاء السفارة والقنصلية ومكتب الجامعة العربية.

الشيء الذى وقفت أمامه حائرا، هو أن الجراح الكبير الذى أجرى لى العملية، لم يمر بى بعدها لعدة أيام.

وفى البنج لم أره طبعا..

وذات يوم، لمحته عابرا أمام غرفتى بالمستشفي، فناديته، فجاء، فسألته لماذا لم يلق نظرة على العملية التى أجراها، على جسامتها، فقال بهدوء «الجراح البريطاني» الذى تحدثت عنه أغنية سعاد حسني: ولماذا ألقى نظرة؟ ما دمت أجريت العملية، فهى ناجحة ولا تحتاج إلى مراجعة.

ثقة بالنفس.. هى ثقة العالم الواثق بعلمه، وبمساعديه وبجهاز التمريض الذى يحيط به...

متى ... متى نصل فى بلادنا إلى هذا المستوي؟

«ومر الشهر.. وجاءت مرحلة جديدة من العلاج بالاشعاع الذرى، فانتقلت - مطروحا على ظهرى فى سيارة إسعاف - من مستشفي برومتون إلى مستشفى رويال ماردن، بمقاطعة ساري، وسط الريف الانجليزى الجميل. حيث قضيت شهرين واصلت فيهما الحبس الانفرادي، وتكررت حكاية المعادى ومشهد النيل، أصبح مشهد الريف الانجليزى الجميل على مر الأيام صورة متجمدة من العذاب والأرق والدموع.

ومرة أخرى بدأت مرحلة من الفحوص والتحاليل وصور الأشعة. وأخيرا، جاءت الدكتورة بيكر، أستاذة العلاج الذري، لتضع خطة للعلاج مداها ستة أسابيع.

وبدأ العلاج... جلسات يومية قد لا يزيد مدى الجلسة منها على ثلاث دقائق لا ألم فيها، ولكنها بعد ذلك تعقب أشكالا وألوانا من الآلام المنوعة، بعضها فوق ما يحتمل البشر.

وتنتهي الرحلة... وأعود إلى مصر هزيلا مترنحا أعالج سكرات الحياة، إلى أن أعود مرة أخرى إلى لندن بعد ستة أشهر ليراجع الأطباء مسيرة العلاج.

ومع هذا يهتز القلم من جديد..

لست أروى هذه القصة لأشغل القارئ بحكاية شخصية، فما عودته أن أتحدث عن شخصى أبدا.

ولكننى هذه المرة أضع نفسى أمام القارئ كعينة.. مجرد عينة... لنا نحن خدام الكلمة.

.. كلنا نذوب ونحترق ولكن القلم يظل يتحرك كل يوم.

فى لندن، إذ أنا هناك، كان هناك الزميل على أمين يعانى آلاما مبرحة فى الكبد..

ولكن قلمه كان يتحرك كل يوم ..

وكان هناك الزميل حسين فهمى، أحد رؤساء الأخبار، يعانى آلاما لا تزال تحت التشخيص.

وكان هناك الزميل الدكتور يوسف إدريس، يشكو ورما فى القلب، وقد أجريت له عملية جراحية خطيرة لاستئصال هذا الورم.

وكان هناك الزميل فاروق منيب، المحرر بالجمهورية، وهو مصاب بفشل كلوي، أى أن الكليتين متعطلتان تماما، وهو يذهب إلى مركز الكلى الصناعية لتجديد حياته ثلاث مرات فى الأسبوع.. وقد وطن نفسه على أن يعيش على هذه الحال طول العمر.

.. هل يعرف القارئ ما هى وسيلتنا إلى احتمال كل هذه المعاناة؟ الإيمان ...

ان المعاناة أعظم ما يدعم الإيمان

يوسف إدريس سار نفس سيرتي.. كان فى مستشفى المعادى حينما كنت هناك، وكان تحت العلاج فى لندن حينما كنت هناك.

وكنت أعرف أنه من المتشككين بحكم يساريته. ولكننى حينما زرته في المعادي، وجدت فى عينيه بريق الإيمان، ولمحت حول سريره أربعة مصاحف.

وفي لندن ... كان مترددا فى أمر عمليته، هل يقدم أو يحجم وأخيرا قال لى بمنتهى الإيمان:

- توكلت على الله، وأنا ذاهب إلى المستشفي

قرائى الأعزاء

زادكم الله إيمانا فانه خير زاد فى الدنيا والآخرة..

★★★

لم يتخل صالح جودت عن قوة إيمانه وصبره وهو يعلم أنه يواجه شبح الموت، فكانت آخر كلماته وهو يستعد للسفر إلى لندن للمرة الثانية خلال بضعة شهور (١).

«الحياة والموت بيد الله، والمؤمن الحق من رضى بهما معا».

«أكتب هذه الكلمة وأنا راحل عن مصر الحبيبة إلى أرض أنتظر فيها قدري، فإما الأولى وإما الثانية فى هذه الساعة أتذكر خطبة الموت للإمام على رضى الله عنه» :

(١) الهلال / يونيه ١٩٧٦.

«نسألك اللهم أن تجعلنا من أهل الثانية بما أخلصنا من قول، وما أحسنا من عمل، أنك أنت السميع المجيب».

★★★

وأتذكر أننى بعد عودته إلى مصر قمت بزيارته فى منزله بحى المنيرة وكان لقاء مؤثرا، رأيت أمامى شبحا وهو العملاق الذى كان يمتلأ قوة وحيوية، وأحسست أننى أراه للمرة الأخيرة، فعانقته مودعا قبل سفرى إلى سلطنة عمان للعمل مديرا لتحرير مجلة السراج التى أسستها هناك ووقع لى قبل مرضه الأخير قرار الموافقة على أجازة بدون مرتب بعد أن عارض طويلا لتمسكه ببقائى فى مصر فى مجلة الهلال .

وتلقيت فى ديار الغربة نبأ رحيله وقلبى يتمزق. قرأت فى مجلة حواء (*) الخبر التالى للكاتب الصحفى الكبير أحمد زكى عبدالحليم الذى كتب يقول: «مات الشاعر الذى كان يغنى للحب على كل الأغصان ويغرد للحياة والآمال الحلوة».

«مات الشاعر صالح جودت بعد معاناة طويلة مع المرض الأسود الذى يحرق دماء الحياة، ويمتص رحيقها، فلا يوقفه إلا رحمة الموت.. وبعد عامين من هذه المعاناة القاسية، اختارت رحمة الله صالح جودت إلى جواره.

---

(١) حواء / ٢٦/٦/١٩٧٦.

وقد تخرج راحلنا العزيز فى كلية التجارة، ولكن بريق الكلمة الحلوة اجتذبه بعيدا عن الأرقام فاتجه إلى ميدان الكلمة، كاتبا وشاعرا وصحفيا ومذيعا، وامتدت رحلة القلم منذ عام ١٩٣٢ إلى أن توقف النبض الأخير مساء الثلاثاء الماضى بمنزله وعلى أرض مصر التى عشقها، وقد دوى النبأ الحزين بين أبناء دار الهلال، فبرغم كل شيء كنا نعتقد أن الابتسامة الحلوة يمكن أن تقهر أخطر الأعداء وأقسى الأمراض، ونسينا فى هذا الأمل أن المرض لا يرحم، وان الحياة لها نهاية.

★★★

وحين سافر الشاعر الكبير إلى لندن للعلاج من مرضه العضال، واجهه الأطباء هناك بوضوح بحقيقة مرضه العضال فآثر العودة إلى وطنه الذى يعشقه ليموت على ترابه كما تمني، وكتب يقول بعد عودته عنوان «عائد من رحلة عذاب»: (١)

«رحلة دامت ثلاثة أشهر، سكت فيها القلم وتكلم الألم

«كانت الرحلة إلى لندن.

«وتسألنى: وماذا رأيت فى لندن؟ فأقول لك: لا شىء لم أر غير غرفتين عشت فيهما فى حبس انفرادى: لا أكلم أحدا ولا

(١) المصور ٢٧ فبراير ١٩٧٦.

يكلمني أحد. قضيت في أولاهما شهرا كاملا بمستشفى «برومتون» أعظم مستشفيات لندن لأمراض القلب والصدر، وقضيت في الثانية شهرين كاملين بمستشفى رويال مارزدن» بمقاطعة ساري» على مسيرة ساعة من لندن، وهذا هو أهم مركز في غرب أوربا للعلاج بالإشعاع الذرى المستخدم في محاربة الأورام» خرجت من المستشفى الأول وقد فقدت نصف صدرى في جراحة عاتية لم يكن لها بديلا إلا الموت.. الموت الذى كان يتربص بى منذ عام، لولا أن لكل أجل كتابا، وكتابى لم تزل فيه بضع صفحات بأمر الله.

أقول أن الموت كان يتربص بى منذ عام.. ولو لم أذهب إلى لندن، لكان محتملا كل الاحتمال أن يختصر القدر بعضا من الصفحات الباقية من كتاب الأجل».

ودع صالح جودت، ذلك القلب الفياض بالحب الحياة مساء يوم الثلاثاء ٢٣ يونيه ١٩٧٦ وكانت آخر قصائده التى تركها ولم يكملها قصيدته الأخيرة التى يودع فيها الحياة كتبها على سرير المرض فى لندن، وكان القلم يرتعش فى يده، قال فيها:

ذبلت نضـــرتي وجف الإهاب
وتدانى إليّ الختـــام الكتـــاب
من مـــعـــينى على ثلاثة آلام
ســقـــام ووحـــدة واغـــتـــراب

وقد أثار رحيل صالح جودت، شاعر الحب والرقة والجمال مشاعر الحزن واللوعة والأسى فى قلوب محبيه فكتب صديقه الأديب كمال النجمى كلمة وداع مفعمة بالأسى مبللة بدموع المحبة ولوعة الفراق: (١)

«تلك الخطوات القصار التى مشيناها منذ أيام فى باحة جامع عمر مكرم كانت من أصعب الخطي وأشدها إيلاما.

مشيناها نودع زميلنا وصديقنا وأخانا صالح جودت، إلى المثوى الأخير الذى يمضي إليه كل انسان.. وفى كل خطوة كانت الحياة فينا ومن حولنا تتنفس بأفكار ما بعد الحياة.. أن الإنسان يعيش غفلاته ثم لا يشعر إلا فى مثل هذه الساعة أن الطريق قصير. وأن الرحلة لم تتوقف لحظة واحدة..

كان صالح جودت شاعر الرقة، لكن الداء الوبيل لم يعرف الرقة معه، فقوانين الحياة والموت لا تعرف الفرق بين الشاعر وغير الشاعر.. ورحاها الطاحنة تدور على الجميع.

وكل ما يستطيعه الأحياء أن يقولوا لأصدقائهم الراحلين: «إلى اللقاء يا من ضرب الموت حجابا بيننا وبينكم.. يا أصدقاءنا .. يا أحزاننا»!..

كان صالح جودت فى معركة المرض العضال التى خاضها منذ أواخر سنة ١٩٧٤، أشبه بمقاتل يحمل السلاح، بالرغم

---

(١) الكواكب / يوليو ١٩٧٦.

من احتفاظه بروح الشاعر وتشبثه بقلمه بين أصابعه إلى آخر النهاية.

وصالح جودت من أصدق قراء الكواكب، وقراء كل مجلة أسبوعية أو شهرية من مجلات دار الهلال، فقد كتب فيها جميعا زمنا طويلا، وكان رئيسا لتحرير بعضها، وذهب إلى لقاء ربه واسمه يتصدر ثلاث مجلات شهرية احداها مجلة «الهلال» كبرى مجلات العالم العربى التي تولى رياسة تحريرها منذ سنة ١٩٧١.

وصالح جودت من حملة الأقلام ذوى الاتجاهات المتعددة، ففضلا عن نشاطه الغزير فى الصحافة، اشتغل بكتابة القصص والسيناريوهات والأغاني، وأسهم في البحث الأدبى. وأصدر عددا كبيرا من دواوين الشعر المتنوعة الطعوم والروائح والموضوعات والاهتمامات، إلى ما أصدره من كتب أدبية وروايات ومجموعات قصص كثيرة وفى السنوات الثلاث أو الأربع الأخيرة من حياته، توالت كتاباته السياسية، فجلبت عليه عداوات من هنا وهناك، كما جلبت عليه كتاباته عن الشعر الجديد والقديم مثل هذه العداوات أو أشد.. ولكنه كان صادقا مع نفسه فيما كتب في السياسة والشعر والأدب جميعاً.

وقد عاش صالح جودت بضعة وستين عاما، وكان قبل مرضه يبدو في مرح الشباب وعنفوانه، ولولا هذا المرض

الذى انهزم أمامه الطب، لحقق صالح - رحمه الله - نظريته التي كان يسميها:

«الشباب الأول، والشباب الثاني، والشباب الثالث»..

فأما الشباب الأول، فينتهى عند الثلاثين، ليبدأ الشباب الثانى باسطا ظلاله حتى الخمسين، فإذا تفيأ هذه الظلال، وأطل عليه وجه الحياة بعد الخمسين، فقد بدأ الشباب الثالث، ولا ينتهى إلا فى الثمانين.

وعلى غلاف ديوانه «حكاية قلب» نقش هذه الكلمة: «الشباب لا ينتهى إلا بانطفاء شعلة الحياة».

ويروى لنا صديقه الكاتب الصحفى صبرى أبوالمجد رئيس تحرير مجلة المصور يومئذ رحلة شاعر الحب والجمال مع عذاب المرض ومعاناة الألم وقسوته ، وكيف كانت قسوة اغترابه عن مصر أكثر ألما عنده من قسوة مرضه، العضال القاتل ، فقال : (١)

«كنا فى منتصف يوليو - تموز - ١٩٧٥ نشترك فى الملتقى التاسع للفكر الإسلامى ، الذى أقيم فى مدينة تلمسان، أجمل ، وأخلد مدن الجزائر الحبيبة ، وكان صالح جودت نجم ذلك الملتقى ، الذين يتفقون معه فى الفكر

(١) الهلال : أغسطس ١٩٧٦ / صالح جودت ورحلة العذاب

السياسي ، والذين يختلفون وأياه ، وكان صالح ، الذى كان خارجا لتوه من مستشفى المعادى بعد فترة مرض طويل ، قضى جزءا منها فى غرفة الإنعاش ، حريصا على ضرورة الاشتراك في الملتقى رغم أنه لم يشف تماما من مرضه وكان سبب ذلك الحرص أن أعتذر للأخ الصديق الأستاذ مولود قاسم وزير التعليم الأصلي والشئون الدينية بالجزائر فى العام الماضى عن المشاركة فى الملتقى التاسع حتى لايغضب مولود قاسم ، وألقى صالح جودت قصيدته الرائعة فى الملتقى حيث استقبلت استقبالا حافلا وكان أكثر أبياتها تأييداومعارضة قول صالح :

ما أجديب الأيام لما خلت
من نغمات الكرد والأصفهان
وبئس ليل ما به آهة
من أم كلثوم ومن أسمهان
وما هوى المألوف أما أستوت
أنغامه فوق نفور العيان
ويا هناء الروح أما انتشت
برنة العود وسحر الكمان
بعدهما تحلو الليالى كما
تحلو صلاة الفجر بعد الآذان

وعاد صالح جودت إلى الفندق الذى كنا نقيم فيه بعد جولة قصيرة قضاها والحر شديد للغاية ، فى بعض أرجاء المدينة الجميلة ، سيرا على الأقدام ، وفى الصباح الباكر أجد من يوقظنى من نومى ليذهب بى إلى المستشفى العام فى المدينة حيث أجد صالح جودت غارقا فى بحار من الدم ، لقد أصيب فى ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم بنزيف حاد ونقلوه فوزا إلى المستشفى ، ورفضوا إخبارى بالأمر فور وقوعه، حتى لايهزنى الموقف العنيف الذى تعرض له «صالح»، ولم يكد يرانى صالح جودت حتى أجهش بالبكاء حتى تجمع المرضى الذين كانوا يقيمون فى نفس الطابق من حولنا فلأول مرة يجدون من يبكى يمثل هذه الدرجة من الإنفعال والألم ، ولم يكن بكاء صالح جودت لأنهم كانوا ينقلون الدم الذى ينزف من أنفه بالجرادل ، ولم يكن بكاء صالح جودت لأن نبض قلبه قد أصبح لكثرة ما نزف منه الدم يكاد يتوقف .. كان بكاء صالح لأنه يخشى أن يموت خارج مصر .. كان يقول لى فى كلمات متقطعة باكية مبكية : لا أريد أن أموت بعيداً عن مصر ، ودعونا الله معا أن تتحقق المعجزة وأن يتوقف النزيف ، واستجاب الله لدعائنا وأوقف النزيف .

وبدأت المشكلة الكبرى التى عجزنا عن حلها : أن صالح يقيم فى غرفة مشتركة مع مريض آخر كثير الشكوى والأنين

وقد عجزنا عن نقله إلى غرفة مستقلة .. أن معاملة المرضين للمرضى كانت من أقسى ما عرفناه فى حياتنا ، لدرجة أن المرض ، وكنا نظنه في البداية طبيبا لأنه كان يحمل فى يده «سماعة» ، قسا على صالح وضربه على ظهره عدة ضربات موجعة ليعرف مكان الآلم !!

وأصر صالح على الخروج من المستشفى وقال الأطباء المعالجون أن الخطر واقع لا محالة إذا ما تحرك المريض .. وقال لى صالح : خير لى أن أموت فى الطريق إلى الفندق من أن أموت هنا بين تلك الجدران السوداء . حاولت أن أزين له البقاء فى المستشفى ولكنه رفض واستكتبونى وإياه - فى المستشفى - عدة أوراق نؤكد أننا نعرف خطورة نقل المريض، وأننا نتحمل وحدنا المسئولية !

ونقل صالح إلى الفندق وتحسنت صحته على الفور .. وبدأ يعود إلى حالته الطبيعية .. يتحدث ، يناقش ، يروى الشعر ، يتغزل فى المرضات اللاتى جئن لعلاجه .. وقال الطبيب المعالج ، المقيم معنا فى الفندق خصيصا للإشراف على علاج صالح .. أنها معجزة أن يعيش المريض بعد كل ذلك الدم الذى نزف منه .

وظل صالح أسبوعا كاملا على السرير لايتحرك .. عاده كل من شارك فى الملتقى ، تمنوا جميعا له السلامة والنجاة ..

كانت كلماته لي : لا أمل في الحياة .. كل ما أريده أن ألفظ أنفاسي الأخيرة في مصر ، التي عشقتها وأحببتها ..

وحرصا منه على أن يعود إلى مصر كان يقاوم المرض بكل بسالة ، إلى أن عدنا إلى مصر ، وبدأ صالح يباشر عمله، وكنت بين حين وآخر أذكره بحاله في الجزائر ، وأطلب منه أن يشفق على نفسه ، فيتوقف عن العمل ولكنه كان دائما يأبى أن يستمع إلى النصيحة .. ثم عاوده المرض العضال وذهب إلى لندن ، وعاد وحالته النفسية جيدة للغاية .. لقد توهم أن العملية التي أجريت له قد نجحت ، بينما الأمر كان على عكس ذلك تماما ، فلقد فتحوا ثم أغلقوا ، بعد أن تبين للأطباء أن المرض قد وصل إلى العظام .. وعاوده المرض للمرة الأخيرة وكان لايريد في هذه المرة أن يسافر إلى لندن.. عارض السفر أكثر من مرة ، ولكنه تحت إلحاح الأصدقاء والأهل وافق على السفر ، وعندما يئس الأطباء من العلاج ، وطلبوا منه العودة ، أيقن صالح من أن النهاية قد إقتربت ، ورغم تيقنه هذا كان يبتسم لكل من يلقاه .. كتب إلى أصدقائه أكثر من عشرة خطابات يبشرهم فيها بأن كل شيء على مايرام ، وفي الصباح طلب من شريكة حياته التي رافقته في رحلة الحياة حلوها ومرها أكثر من ثلاثين عاما ، أن

تعطيه الخطابات ليكتب على غلاف كل واحد منها تاريخ عودته.

وفي مستشفاه بلندن ، لم تتخل عنه موهبة الشاعر ، وعلى ورقة صغيرة ، تناول القلم وكتب أبياتا قصيرة لاتحمل إلا الآلم والمعاناة ، الانفعال هو انفعال صالح ، ولكن الخط لم يكن أبدا خط صالح .. لقد كان القلم يرتعش في يده وهو يسطر خلجات قلبه :

ذبلت نضرتي وجف الأهاب
وتوالى إلى الختام الكتاب
من معيني على ثلاثة آلام
سقام ، ووحدة ، واغتراب
محنة جاوزت من العمر عاما
فالى أين ينتهي بي العذاب
مرض تفزع المسامع منه
وتشيب الردى وتعنو الرقاب
فهو الأخطبوط ينهش في الصدر
كما تنهش العظام الذئاب
أنا في غرفة يضج بها الصمت
وينعى أركانها الاكتئاب

ويقول أيضا فى نفس الصفحة :

ايــــه يا لنــــدن الكئيـبـــــة

أين منى قــاهرة الحب والأحـــبــاب

ويعود صالح إلى قاهرة الحب .. شبحا هزيلا ، ضعيفا ، يعرف أنه لم تبق له فى الحياة إلا أياما معدودة ؟

وألقاه فى المطار وأنا فى طريقى إلى الصين أثر عودته من لندن .. ويقول لى : أنها النهاية .. كما يقول ذلك لكل من يلقاه..

وفى بعض الأحيان كانت تنتابه صحوة الموت فيعود إلى حالته الطبيعية .. يتحدث بأمل ، ويدخن فى شراهة ، ويأكل بشهية ، ويرفض تناول الدواء ، لأنه قد شفى تماما ، ثم تعود الأزمة من جديدة ..

وقبيل النهاية بساعات ، يستدعى زوجته المخلصة الوفية «سها» ، وشقيقها كمال .. يقول كل شىء ، ويكتب كل شىء .. لقد تعود فى كل رحلة من رحلاته الطويلة أن يكتب صفحات عما يجب أن يتم فى غيابه ، وها هو ذا فى أطول رحلة يصر على أن يكتب كل شىء .. ثم تجىء اللحظة الحاسمة .. ينزل الله الصبر على شريكة حياته ، فتقرأ الفاتحة والشهادتين ، وتسبل العينين .. وفجأة تصرخ ابنته

الروحية منى : بابا .. بابا .. فيستيقظ من غفوته ويهز رأسه ، كأنما هو فى حلم ، وتكون النهاية .

وعزاؤنا فى خسارتنا فى صالح أنه ترك ثروة خالدة من الشعر سوف تبقى ما بقيت لغة الضاد .. وكان صالح جودت فى ملتقى الجزائر ، وهو آخر ملتقى عام ، ألقى به قصيدة من قصائده قد عبر عن أهمية سلاح الشعر فى يده فأجاد التعبير عندما قال :

الشعر إن فات يدى أنتهى
حظى من الدنيا فمالى يدان
والله ما لى غير إيقاعه
وسيلة ترجى بها الحسنيان
وهبته لله أرجو به
كرامة العفو ، وظل الأمان
نظمته من وسوسات الحلى
وصفته من حدقات الجمان
وسقته أنشودة للهدى
وصنته من عثرات اللسان
فان تفجرت منى غضبة
يرضى عليها الله والقبلتان
وفى سبيل الوطن المفتدى

حـــســبــة لله يوم الطعـــان
وأن تغـــزلت فـــلا عن هـوى
الناعـســات الناعـمـات اللدان
وإنما تـســبـــيـــحـــة للذى
استودع الحسن وجوه الحسان

رحم الله صالح جودت الشاعر الكبير فإن خسارتنا فيه لا تعوض نحاول أن نفي صالحا بعض حقه علينا فما أكثر ما قدم لبلده الذى كان يعشقه إلى أبعد درجات العشق .

وسكتت القيثارة !

فجع الأدباء وأصدقاء الشاعر الكبير صالح جودت عند رحيله فى ٢٣ يونيه ١٩٧٦ فكتب أحد رفاقه فى مجلة أبوللو الشاعر عامر محمد بحيرى (١٩١٢-١٩٨٨) تحت عنوان «صالح جودت زميل رحلة الشعر» يقول :

«فى عام ١٩٣٢ أقامت اللجنة الأدبية لمشروع القرش مسابقة شعرية بين شعراء الشباب فى ذلك الوقت للإشادة بما كان يمثله ذلك المشروع من معانى العزة القومية ، والاعتماد على النفس ، والدعوة إلى إقامة بناء الاستقلال الاقتصادى للوطن .

ورصدت اللجنة لهذه المسابقة ثلاث جوائز أو ثلاث ميداليات الأولى ذهبية ،.والثانية فضية والثالثة برونزية.. كما

عينت لجنة التحكيم من كبار الأساتذة فى ذلك الوقت أيضاً ، أذكر أنه كان بينهم الدكتور محمد حسين هيكل والدكتور طه حسين والأستاذ عباس محمود العقاد والأستاذ توفيق دياب.

ومحصت هذه اللجنة الجليلة ، ما قدم لها من قصائدالشباب التى أرسلت إليها، تمحيصاً شديداً وناهيك بلجنة أدبية تضم أولئك الأساتذة الأعلام وتضع لعملها منهجاً صادقاً فى الحكم ، وتحرى العدالة المطلقة .

وترقبت النتيجة بفارغ الصبر ، بين مخاوف ورجاء حتى أعلنتها اللجنة الموقرة فقالت فى بيانها أنها رأت أن جميع القصائد المقدمة لها لا ترقى إلى مستوى الجائزة الأولى ذات الميدالية الذهبية وأنها منحت بعد ذلك الميدالية الفضية للشاعر الشاب صالح جودت والميدالية البرونزية للشاعر الشاب أيضاً ، كاتب هذه السطور .

منذ ذلك الحين عرفت صديقى الشاعر صالح جودت ، وعرفت أنه يسبقنى دون شك من حيث الموهبة الشعرية ، ولأمر ما استبعد صالح بعد ذلك هذه القصيدة من نشرها فى دواوينه ، التى لم أقرأها : وعدها من شعر الشباب الذى لا يرقى إلى مستوى شعره فيما بعد .

أما قصيدتى فبقيت لدى صورة منها أذكر مطلعها وهو :

هنئ الشباب بيومه المشهود وقل أعملوا فالنصر غير بعيد
وأقول فى ختامها عن مصر :
أبمثل ذلك من خطى وثابة ترقى إلى استقلالها المنشود
لا بالذى يزجى الدعاية غالبا من غير فعل باليدين مفيد !

وفى نفس هذا العام الذى أتحدث عنه وقع حدث أدبى كبير ، فقد ظهرت فى أفق الصحافة الأدبية مجلة خطيرة الشأن ، لموضوعها ، ولاتجاهها ولتوقيت صدورها .. وهى مجلة «أبوللو» التى انشأها المرحوم الدكتور الشاعر أحمد زكى أبو شادى وأمير جماعتها أمير الشعراء أحمد شوقى فى أول جلسة لها فى كرمة ابن هانىء ، ثم تولى رئاستها بعد ذلك الشاعر الكبير خليل مطران .. وفى دار هذه المجلة ، وعلى صفحاتها ، وبناء على ما اختط لها صاحبها من سياسة العدل والمساواة وتشجيع المواهب الناشئة . عرفت كوكبة من شعراء الشباب ، وكان فى مقدمتهم صالح جودت.. لأنه كان أرقهم شاعرية ، وأوفرهم خصوبة ونشاطاً . ولم يكن يقل فى ذ لك الزميل المرحوم محمد عبد المعطى الهمشرى ، الذى لازمته . أو زاملته ، عاماً فى كلية الآداب .. كان من أخصب أعوامى الشعرية. كما كان منهم الشاعر مختار الوكيل والشاعر حسن كامل الصيرفى وغيرهم وغيرهم .

كل هذه المقدمة ضرورية إذا ما أردت التحدث عن صديق العمر ، وزميل رحلة الشعر الذى فقدناه أخيراً ونحن أحوج ما نكون إليه شاعراً موهوباً وإنسانا طيباً وكاتباً وصحفياً وصل إلى الصفوف الأولى بقلمه ، وفكره ووجدانه الوطنى الصميم .

وإذا كانت الأيام قد فرقت أحياناً بيني وبين هذه الكوكبة من شعراء الشباب ، كل يسعى في طريقه إلا أن ما كان أحب إلينا أن نجتمع ، وأن نسعد أنفسنا بفرصة قصيرة . أو لمحة خاطفة أو تحية عابرة ..

وكان صالح جودت يعمل فى الإذاعة عام ١٩٥١ أبان اشتدادا معركة القنال بين جنود الاحتلال وبين رجال الشرطة المصريين ، ومن انضم إليهم من فرق المنتظرين فى صفوف جيش التحرير ..

ودعانى صالح جودت مع نخبة من كبار الشعراء يلقون القصائد الوطنية والحماسية فى هذه المناسبة وكان يقدم كل ثلاثة من الشعراء فى حلقة لمدة نصف ساعة وقد وضعنى فى حلقة مع استاذين كبيزين هما الشاعر الكبير أحمد رامى والشاعر الزميل محمود حسن اسماعيل .. وكانت هذه لفتة من صديقى مقدم البرنامج تدل على أنه يعرف الأقدار ، ويحفظ عهد الأصدقاء .

وتمضى الحياة من بعد بكثير من ألوانها المبهجة والمحزنة. ولكن صالحاً يتخذ منها دائما ذلك اللون المبهج .. فهو شاعر الغناء ، وشاعر الغزل ، وصاحب الابتسامة والنكتة ، والصديق الوفى الكريم .

ونلتقى بعد ذلك فى لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، منذ أوائل الستينيات .. وقد سبقنى كعادته فى دخول اللجنة كما شاركنى ، أو لعل الصحيح أنه كان لى شرف مشاركته فى جائزة شعرية ابتدعت باسم جائزة شوقى ، عن صديق عمره الشاعر «الهمشرى» .. فكما حصلنا فى مطلع حياتنا معاً على جائزة مشروع القرش . فقد حصلنا كذلك معا فى أخريات أيامنا على جائزة أمير الشعراء أحمد شوقى .

على أن الشاعر السابق يبقى دائماً مفرداً سباقاً . فقد حصل صالح بحق على جائزة الدولة التشجيعية فى الشعر عام ١٩٥٨ ثم رشح لجائزة الدولة التقديرية بحق أيضاً فى العام الماضى ، ولولا أن عاجله القدر المحتوم والأجل المكتوب لكانت من نصيبه هذا العام ، وبذلك كان يتوج عمل شاعر كبير وكاتب قدير ويمنح اسم الشاعر الراحل . بعد أن ذهب بشخصه . وبقى بيننا بشعره الخالد وذكره الجميل .



وتمر عدة سنوات على رحيل صالح جودت ، ويحاول أرباب الشعر الحديث واليساريون إسدال أستار النسيان والتجاهل والصمت حيال هذا العلم الشامخ ، لكن صديقه الأديب كمال النجمي يتناول سيرته وشعره بعد تسع سنوات من رحيله ، فماذا قال عنه (١) : «هل من كلمة تقال عن الشاعر صالح جودت - رحمه الله - وقد مضى على مفارقته الدنيا أكثر من تسع سنوات . فتوارى اسمه . وهدأت الرياح التى أثارها طوال حياته فى وجوه شانئيه ومحبيه جميعاً ، وأقصر عن الكلام فيه من كان يراه شاعراً لا يشق له غبار ، وانصرف عن ذكره من كان يراه شاعراً كثير الإغارة ، يأخذ من هذا الشاعر ومن ذاك ثم يدعى على الشعراء الزعامة والإمارة . بدون جدارة !

«كان صالح جودت طفلاً كبيراً اجتمعت فيه براءة الأطفال وعنفهم وطيشهم وحبهم لأنفسهم . عاش حياة مفعمة شعراً . لم ينقض يوم منها بدون أن ينظم شعراً ، أو يحياه . أو يصحب واحداً من أهله أو واحدة . وكان فى كل أحواله لا يفارق طفولته بريئاً عنيفاً طياشاً . وإن كان من أكثر الناس معرفة بالجانب العملى من الحياة فهو فى هذا الجانب خراج ولاج لا يضيع من يده شىء ! ..

(١) المصور : يونية ١٩٨٥.

إلا أنه لم يثبت قط على خصومة مع أنه ثبت على صداقات كثيرة . أشهرها صداقته للشاعر أحمد رامي . بالرغم مما وضعه رامي من عراقيل وحواجز تمنع شعراء عصره من تقديم أشعارهم إلى أم كلثوم رجاء أن تغنيها كما تغنى شعر رامى . وكان من هؤلاء الشعراء المتعطشين إلى سماع أشعارهم بصوت أم كلثوم . أصدق أصدقاء رامي وأكثرهم دفاعاً عنه صالح جودت !

ولم تكن غيرة صالح ممن يعتبرهم منافسين له فى الشعر أقل حدة من غيرة رامى ممن يحاولون – من وراء ظهره – تقديم أشعارهم إلى أم كلثوم . إلا أن رامى كان يغار فيما يخص أم كلثوم فقط . ثم يفتح صدره على مصراعيه لجميع الشعراء بعيداً عن هذا «الصرح الفنى» الذى يتولى سدانته !

يذكرنى هذا بأول مرة رأيت فيها صالح جودت . وكنت قبلها أقر أشعره فى الصحف منذ سنة ١٩٣٥ ، بل أذكر أول قصيدة قرأتها من شعره فى مجلة «أبو الهول» عن «العيون الزرق والشعر الذهب» ولقد لبث عمره مفتوناً بهذا اللون من الجمال .

الذكريات عن صالح جودت كثيرة لكن المهم أن نتكلم عن شعره بما ينصفه ولا يسلكه فى الخاملين والعاجزين ، بعد أن

عاش حياته كلها شاعراً مرموقاً على اختلاف الناس فى النظر إلى شعره وشاعريته !..

ربما جنى عليه أنه انحاز إلى فكر ا جتماعي أو سياسى أو أدبى لم تكن تنحاز إليه غالبية نقاد الشعر والأدب فى مصر خلال الخمسينيات والستينيات ، فضلاً عن سبعينيات القرن العشرين. التى عاش صالح جودت إلى ما بعد منتصفها يخوض معارك صحفية عنيفة كأنه كان يحاول الثأر ممن تجاهلوه طويلاً وأقاموا لشعره ميزاناً اجتماعيا وسياسياً خدش جوهر شاعريته - وهو فى رأينا جوهر صحيح - وتحيف فنه الشعرى الرقيق المنغوم المتميز . ولم يكن يقبل هدنة في هذا المجال ..

لكن المرء لا يفلت من موقفه في حياته ، ولا يصح فى الذهن أن يقف أحد موقفاً لا حساب عليه ، خيراً كان أو شراً.. وهذا ما حدث لصالح جودت ، فقد أضاعه عند نقاد عصره. مواقفه التى أوجزنا الإشارة إليها ، وغلبه النقاد وأهملوه وشوهوا صورته .. وكانت بضاعته الفكرية طيبة وكان يقرأ بالعربية والإنجليزية والفرنسية ، فلم يثبت وسط المعمعة وخلال زحام «المدارس» التى استولت على ساحة الأدب والشعر .. وحاول برغم ذلك أن يعد نفسه فى الثوريين وأن يقيم الأدلة على ثوريته ، لكن خصومه نزعوا عنه هذا اللقب بقسوة بالغة !

والمفارقة في هذا ، أن صالح جودت هو حفيد ثائر تركي شديد المراس اسمه اسماعيل جودت بك ، نجل جودت باشا.. كان من أحرار العثمانيين .. أديباً خطيباً مفوها ، ينظم الشعر بالتركية والفرنسية .. اضطهده سلاطين آل عثمان فلجأ إلى مصر وشارك في الثورة العرابية فقبض عليه الانجليز وأخرجوه منها !..

وتاريخ صالح جودت الشعري بدأ في مسارح عماد الدين وروض الفرج بالقاهرة . ولهذا ظل «الفن» يلازمه إلى آخر حياته ..

وبسبب علاقاته الحميمة بالوسط الفني ، أخرجته الحكومة من وظيفته بالإذاعة سنة ١٩٥٣ كما أخرجت صديقه الشاعر ابراهيم ناجي من وظيفته في وزارة الأوقاف .

وإذا كان صالح قد بدأ حياته شاعراً رومانسياً أقرب إلى تهافت التعبير منه إلى جزالته، فإنه اتسع بعد ذلك في الإطلاع على الشعر العربي واللغة العربية ، فطرأ على شعره الكثير من الرصانة ، وداخلته مائية الشعر الكلاسيكي الحديث كما نراها في شعر شوقي .. وقد تعلق صالح جودت بشوقي، فجرى في آثاره ، وافتتن بأسلوبه، حتى اختلطت الأنغام الرومانسية في شعره بالأنغام الكلاسيكية وصار أعرف لغة مما كان في نشأته، ولكن جوهر شعره بقي

رومانسياً حالماً مشبوباً . يستمد جاذبيته من صدق تجاربه في الحب ، وما أكثرها ..

والشعر الرومانسي المصرى لا تكتمل صورته إذا استبعدنا منها الخطوط المتميزة الزاهية الألوان التى أضافها صالح جودت إلى هذه الصورة ، وأودعها دواوينه الستة التى أصدرها بين سنتى ١٩٣٤ و١٩٧٥.

وكلمتنا هذه مجرد إشارة إلى ذكراه وإيماءة بالتحية إلى شعره وشاعريته .. وعسى أن يتاح لنا أن نكتب عنه يوماً ما نضع به حقه في نصابه ، فلا يضيع بين الذاكرين والناكرين.. ولا يضيع صوته واسمه بعد أن غنى للناس ما غنى طوال خمسين عاماً . كما ضاع اسم المطرب «كثير» .. مطرب خمارويه الخاص الذى وضع لحن «قطرالندى» منذ ألف سنة!

وبين المطرب «كثير» ملحن أغاني قطر الندى ، وبين صالح جودت مشابه كثيرة .. والكلام ذو شجون ، ولنا عودة ، وقد أدركنا الصباح ، ولابد لنا من السكوت عن الكلام المباح!

★★★

ويتناول صديقه الشاعر «مصطفى عبدالرحمن (١٩١٥-١٩٩٢)» لمحات من حياته وشعره ، فيقول:

صالح جودت صاحب ديوان الحب الذى عشنا أصالة شاعريته ، ورقة أسلوبه ، وروعة خياله ، وعذوبة موسيقاه فغنينا له ومعه أجمل أناشيد الحياة :

بلقيس أني قد سعيت   إلى حماك وخضت بحره
وحملت وعثاء الطريق   إلى مزارك غير مكره
أتنسم المأثور من ماضيك   أواستاف عطره
وبلغت شرفة (مأرب)   استل من ذكراك عبره
وأقول أين الجنتان   وأين سدك والبحيره

ويطير البلبل الصداح من سماء (سبأ) ليحلق فى سماء (الفيحاء) ويغيب عن سماء (الفيحاء) لينشدنا فى سماء (تونس الخضراء) أجمل أغانى الحب والوفاء :

يا تونس الخضراء يا كنفا   للفن ، والأنغام ، والسحر
يا بلدة (الشابى) وهو لنا   خدن الشباب وزهرة العمر
وربى (أبوللو) النضر تجمعنا   حول الشباب وعهده النضر
سأعود يا خضراء بعد غد   من وكرك الحانى إلى وكرى
سأعود فى جنبى أحمل   ما حملتنيه فى هوى مصر
سأعود من وطنى إلى وطنى   وكلاهما بصبابتى يغرى

وجودت الذى غنى على مزهر الحرية هذا الغناء العذب هو جودت أحد رواد مدرسة «أبوللو» التى من أعلامهما أبو شادى، وناجى، وعلى محمود طه ، ومخيمر ، ومحمودحسن

إسماعيل وحسن كامل الصيرفي ، والعوضي الوكيل ، ومختار الوكيل ، والهمشري ، والشابي ، والتيجاني.

هؤلاء الذين صاغوا لنا أناشيدهم الخالدة خلود الأبد والتي يتسع فيها الخيال اتساع اللانهاية ويعمق فيها الفكر عميق الأزل ، وحلقوا بنا في سموات من النور والجمال . برسالتهم التي حملت للناس رسالة الشعر الجديد والتي نلتمس فيها تلك الروح الغلابة المتألقة كالصباح ، المتوهجة كحرارة الشمس ، المتطلعة إلى أعلى درجات الكمال ..

لقد تحرروا من القيود التقليدية ، وانطلقوا على سجيته يعبرون عن ذواتهم في حرية ، وبساطة في عالم من الخيال بعيدا عن الواقع .. في جنة ظليلة قطوفها دانية لهم هذا الخيال الرفاف بأجنحة من نور ..

لقد ارتفعوا بهذا الخيال إلى المثل العليا للانسانية وأسعدوا الناس بما قدموه من نفثات صدورهم ، ونبضات قلوبهم من معان رائعات ، مشرقات .

إن جودت يؤكد بعمق معناه ، ودقة تصويره ، وقوة تعبيره وصدق إحساسه وحلاوة موسيقاه أن الربيع هو ربيع القلب الذي يحبونا كما يقول العقاد بخصب أغنى وأوفر من ذلك الخصب الذي ينبت منه الشجر ويزكو فيه الثمر ويصب من

حياه كئوسا دهاقا كالتى يسكر بها الطير فيصدح ، ويحتسى منها النسيم فيخفق ويعب منها الفضاء فيصفو ويتألق .

أن الربيع بكل ما فيه من ألق وإشراق وكل ما فيه من فتنة لم تهز مواكبه قلب شاعرنا جودت لقد نسيه موعد اللقيا مع الحب ، والأمل ، والنور الذى يطالعه في مشرق كل ربيع .

ذلك هو شاعر الرومانسية صالح جودت الذى غنى للحب أحلى هتفات القلب .

★★★

وشعر الحب عند جودت مزيج من هتفات الروح ، ونداء المادة تمتزج نظرة الحرمان والتقديس للمرأة فيه بالنظرة المادية التى تعبر عن طلب اللذة والاستمتاع بالحياة .

فهو حينا مع رومانسية ناجى والشابى بما فيها من عذاب وحرمان ، ودموع ،ويأس .. وحينا آخر مع عمر بن أبى ربيعة فى دنيا المادة التى تدعوه أن يأخذ حظه من الحياة الدنيا فالحياة فيها الحب والمرارة ودنيا من السحر زاخرة بألوان التمتع من الجمال فهو لا يستطيع أن يعصى للحب أمرا ، لأنه أضعف من القدر بأسا ، وأكرم فى صبوته نفسا فكيف ينسى وليس بيده أن ينسى :

سوف أنساك .. ولكن كيف أنسى
وأنا فى صبوتى أكرم نفسا

وأنا أضـــعف من غـــدرك بأســـا

ليـتنى أنسى .. ولكن كـيف أنسى

هذا هو شاعر الرومانسية صالح جودت الشاعر العاطفى الرقيق شاعر الحب الذى ملأ القلوب والأسماع بأغاريده العذبة الرقيقة ... شاعر الوطنية والقومية العربية الذى غنى للحرية أخلد أناشيدها .

★★★

ويقول عبدالمنعم شميس عن صالح جودت :

«اشتغل صالح جودت بالصحافة لينفق على الشعر .

كان شاعرا فى حركته ، ونظرته ، همسته ، وكلمته ، ولم أر شاعرا يعيش الليل مثله ، ومثل كامل الشناوى . ولكن ليالى صالح جودت تختلف عن ليالى كامل الشناوى . فقد كان صالح يحب الحياة فى الليل ، بينما كان كامل الشناوى يخاف من الموت فى الليل .

أما ابراهيم ناجى فقد عاش الليل أيضا . وكنت أراه مثل الطائر الحزين ، لا ينيمه الكأس ولا يوقظه ، وكان يقول الشعر وهو بين اليقظة والنوم ، حتى أصبحت حياته كلها شعرا يكتبه على علب السجاير ، وعلى الورق الذى يمسح به يديه . حتى أنه كتب الشعر بأقلام الحواجب التى تستخدمها السيدات .

بدأ صالح يقول الشعر عام ١٩٣٢ ، وهو طالب فى كلية التجارة ، ولما يبلغ العشرين من عمره ، وانضم إلى مدرسة (أبو للو) التى دعانا إليها الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، وكان زعيمها أحمد زكى أبو شادى ، وكان زعيمها أحمد شوقى . الذى كان له الأثر الأول فى شاعريته ، لأن شوقى – كما يقول صالح جودت – كان موسيقيا يعزف على أوتار القوافى عزفا لم تسم إليه ريشة ابن الرومى ولا المتنبى . ولذلك حفظ شعره عن ظهر قلب ، ولم تتغير عقيدته فى شوقى حتى آخر لحظات حياته .

وأصبح الشاب ابن العشرين عضوا فى مجلس إدارة جماعة (أبوللو) ، يجلس إلى جانب شوقي وخليل مطران وابراهيم ناجي وعلى محمود طه وغيرهم . ووجد نفسه وسط هؤلاء الأعلام الذين كان يقرأ لهم ويسمع عنهم ، ويخيل له أنهم عمالقة جبابرة لا يدنو منهم أحد .

عندما وجد صالح جودت نفسه صاحبا لهؤلاء العمالقة ، قريبا إلى قلوبهم ، يحدثهم ويحدثونه ، ويقرأون له ويمتدحونه، أوشك أن يملكه الزهو والغرور .

لقد نشرت له مجلة (أبوللو) فى يناير ١٩٣٤ قصيدة (ظمآن) ، التى يقول فى مطلعها :

أجل ظمآن يا ليلى وماء الحب فى نهرك
خذينى فى ذراعيك وضمينى إلى صدرك

ثم تخرج الشاعر الشاب فى كلية التجارة ، واشتغل فى بنك مصر ، ثم عمل فى جريدة الأهرام ، وأصبح رئيسا لتحرير مجلة (الراديو المصرى) التى كانت تصدرها إذاعة القاهرة . وظل يشتغل فى الصحافة حتى نهاية حياته حيث كان محررا لمجلة المصور ، وكانت له على صفحاتها المقالات الرنانة .

لقد قال صالح جودت عن نفسه :

«لست نادما على السنوات التى تعثرت فيها - خلال الدراسة الجامعية - لأننى أفدت بها فى مدرسة أبوللو دروسا لم تزل عندى أعز من مدرسة الجامعة .. ولا أقول أعز وحسب ، بل هى فى الواقع أجدى وأمتع ، فقد أعدتنى - بعد تخرجى فى كلية التجارة - لطريق ألطف من التجارة - وأجمل من السياسة .. هو طريق القلم الذى أعيش له ومنه عيشة راضية بحمد الله».

ولكن .. ماذا بقى من صالح جودت ؟

لقد كتب عشرات المقالات . وألف رواية طويلة سماها (عودى إلى البيت) . كما أصدر مجموعتين من القصص القصيرة هى : فى فندق الله وكلنا خطايا .

ولكن الذى بقى من صالح جودت هو الشعر ، الذى أنفق عليه كل ما يكسبه فى الكتابة وهو الصحفى اللامع ، والكاتب المبدع .

كان أكثر الشعر الذى كتبه صالح أغنيات مازالت تملأ أسماعنا. ومنه ما كتبه بالفصحى ، ومنه ماكتبه باللهجة العامية المصرية . كما نشرت له قصائد كثيرة . ولم يهتم بجمع شعره فقد نشر ديوانا صغيرا عام ١٩٥٧ سماه (ليالى الهرم) لأنه كان من عشاق الهرم .

كما كان آخر من جلس على رصيف وكان يستهلم عراقة مصر وحضارتها ، عندما يزيد كتابة الشعر ، فيذهب إلى فندق مينا هاوس .

ويجلس إلى مائدة فى شرفته ليكتب قصائده وأغانيه، فهو شاعر الهرم ، كما أحببت أن اسميه لك .

ولم يفهم كثيرون لماذا كان صالح جودت ، يحارب على صفحات مجلة المصور الذين يتطاولون على مصر ، أو يحاولون إقحام المذاهب المستوردة على عقيدتها. وهو رجل الفكر، وليس رجعيا ولا متجمدا، ولكن هدفه لم يكن أى مذهب، بل كان شديد الحرص على سلامة مصر وكرامتها وعزتها. وكان يرى فيها القدرة الدائمة على إعادة صنع الحياة والحضارة.

ليس للمصرى أن يعتنق مذهبا غير مصر، أو أن يتلون بلون غير لون مصر. وهو يقول فى قصيدته..ليالى الهرم:

ياحبيبى هذه الربوة لغز العالمين
رقية من سحر فرعون لصد الفاتحين
أين ملك الفرس والرومان والفتح المبين؟
أين نابليون؟هل ردته مرفوع الجبين؟

★★★

هذه القمة أم القمم
كم طوت ثورتها من أمم
وشدا النيل بحلو النغم
زالت الاعلام إلا علمى

كان شاعرا شديد الاعتزاز بأرضه ووطنه :

أنا ابن شعب يتحدى الزمنا
ابن الروابى الخضر من أرض (منا)
المجد كان لجدودى وثنا
ولم أزل بما ورثت مؤمنا
أنا إذا ناديت للنجم رنا
أنا إذا أومأت للبدر دنا

ولكن هذا الاعتزاز له أسبابه.التى جعلت صالح جودت

يتغنى لمصر فى قصائده ومقطوعاته الغنائية، فقد كان التصاقه بالهرم شيئا يحير الفكر فاذا أحس برغبته فى كتابة الشعر، أسرع بسيارته إلى مكانه المفضل عند سفح الهرم، فيكتب.

وعندما تطول قامة الشاعر لتطاول الهرم، فأن اعتزازه يصبح مفهوما فى مقاييس الحضارات والثقافات والتواريخ والسياسات.

كانت القاهرة كلها تضيق به، ولايحب أن يراها الا من هناك..من أعلى قممها.

هذه القمة أم القمم

كم طوت ثورتها من أمم

وعندما اشتغل صالح جودت بالصحافة، وكتب المقالات، سيطرت عليه شخصية الشاعر. وكان مؤمنا بأنه ابن شعب يتحدى الزمن. وكانت الروح المصرية تملأ كيان شعره، وهى أخص خصائصه كشاعر .

ولذلك كان شديد الاندفاع فى كتاباته، عندما يحس بأن أحدا يحاول أن يجرح مصر، بأى صورة من الصور . وتعرض بسبب ذلك لهجوم كثير، ولكنه كان المنتصر دائما لأنه كان مخلصا لمصر. شديد الايمان بها، ولكن المقالات السياسية مثل السجاير تشعل ثم تطفئ، وقد اشتغل عمالقة

الجيل الماضى من الكتاب والشعراء بالسياسة، ولكن الذى بقى من طه حسين والعقاد والمازنى والدكتور هيكل هو هذا الفن الرفيع الذى نسميه الأدب.

الشاعر صالح جودت من أعظم أصحاب الموسيقى فى شعرنا الحديث، وقد كان صديقا صدوقا ملازما للشاعر أحمد رامى، وكانا من أنغام الليالى الساهرة فى القاهرة.

وأحمد رامى هو أحد صناع الأنغام السحرية، للقيثارة الذهبية التى لا يجود بها الزمان..أم كلثوم.

أما صالح فقد كتب لأم كلثوم الثلاثية المقدسة. وكان شاعر الهرم وليالى القاهرة مؤمنا شديد الايمان، وكان مسلما متجردا ولكن كثيرين لم يفهموا روح الشاعر المسلم. ورأوا فى لياليه وسهراته صورة أخرى لا تمثل حقيقته .

كان فى قلب صالح جودت ايمان عامر بلا حدود أو قيود.

الشاعر الذى تغزل بكل شئ حتى سيقان امرأة فوق كرسى البار. وكانت لياليه انتقالا من كأس إلى كأس، ومن شفة إلى شفة، أو من مكان إلى مكان. كانت تشغله فكرة الوجود والوحدانية. وسط كل هذا الموج الذهبى المتلألئ من ضحكات الحسان.

ان اسلاميات صالح جودت من أعاجيب الزمان . وهو شاعر الثلاثية المقدسة التى تغنت بها أم كلثوم.

المؤمن بشفتيه يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله، والمؤمن بقلبه يرى محمدا رسول الله.

★★★

وصالح من أصحاب الرؤية الثاقبة النافذة.

لقيته مصادفة في ميدان سليمان باشا، وكنت قد كتبت مقالا عن رأى بعض المستشرقين المنصفين للاسلام، فوقف، وقال لي : أن هؤلاء الذين ذكرتهم من المؤمنين. وقلت له أنني سمعت أحدهم يقول لي : اشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فأطرق الشاعر في خشية من ربه، وقال في صوت متهدج: لا إله إلا الله.. محمد رسول الله.

في أعداد مجلة الهلال التي أصدرها صالح جودت عدد خاص عن القرآن . ولو طال به الزمان لأصدر أعدادا عن أخطر موضوعات الاسلام.

كان صالح جودت ظاهرة من الظواهر الحضارية في فكر جيلنا . ولكن شاعريته كانت أقوى من نثريته، ولا غرابة في ذلك لأن الشعر أعلى الفنون وأرقاها وأعظمها ، ومن منحه الله هذه المنحة فهو الأمير. ولو أن الدنيا أسعفت صالح جودت لأصبح أمير شعراء. ولكنه كما قلت لك، وكما قال هو عن

نفسه، كان يتكسب من الصحافة لينفق على الشعر، ولكنه لم يتكسب بالشعر.

شقى بين المطابع والصحف والمجلات ليعيش حياة الكرماء. وأنفق ثمن الشقاء طوال نهاره فى ليلة أو لحظة، ليكتب قصيدة.

كان يخاف الفقر، فأنفق عمره كله مستورا، يعمل بالقلم والورق ليرد عن نفسه هذا الغول الرهيب الذى يحطم حياة الانسان.. الفقر.

وكان لا يملك الغنى، فكتب سطور الذهب من دمه الذى حوله إلى ذهب وكانت المأساة أنه يبحث فى كل صباح عن دم فى عروقه ليحوله إلى ذهب.

شوقى هو مثله الأعلى.

ولكن صالح جودت لم يستطع الوصول إلى شوقى، لأن الزمان قد اختلف .

لا ذهب ينير تحت قدمى الشاعر، ولا ذهب بين يديه.

أخذت السينما من الشاعر أحلى أغانيه، وأخذ الغناء من راحتيه أعذب الألحان ..ثم ضاع الشاعر، وبقيت كلمات مكتوبة على الورق هى أعز الكلمات.

وكان واحدا من ملوك الكلمة ولكن بلا عرش يجلس عليه.

لأن جيله كان فيه ملوك بلا عروش . وآخر من جلس على عرش الكلمة وهو الأمير أحمد شوقى .. كما كان من جلس على رصف الكلمة يدخن الشيشة ويكركر، ويقول النكت هو أمير شعراء الرصيف حافظ ابراهيم.

وعارض صالح جودت مذاهب الشعر الجديد لا بسبب جموده لكن لسبب آخر عرفه، وأتقنه، وتعلمه وهو موسيقى الشعر.

ولم يكن صالح جاهلا بأنماط الشعر الأوروبى بل كان فى هوائه، مثل كل أبناء جماعة أبوللو، ولكن غرامة بموسيقى الشعر العربى، ودراسته لهذه الموسيقى، وخبرته فيها، كانت تدفعه إلى مقاومة تيارات الانحراف، التى تدعى لنفسها التجديد.

الشعر الانجليزى له نغم وموسيقى
الشعر الالمانى له نغم وموسيقى
الشعر العربى له نغم وموسيقى

ت.س..اليوت لم يجدد فى الشعر الانجليزى بعيدا عن شكسبير.

لماذا تريدنى أنا العربى أن أجدد شعرى بعيدا عن امرئ القيس أو عن شوقى؟

الشاعر هو الشاعر..لايبيع نفسه لفكر مهجور، ولا يرضى

لفنه أن يصبح مسخا بين الفنون.

أن أشكال الشعر فى كل لغة من لغات الدنيا، لا تبتعد عن أصولها وجذورها، ومنابتها. الشعر هو لغة الموسيقى فكيف تصبح الموسيقى الهندية هولندية؟ومقامات الشعر وموسيقاه، مثل مقامات الموسيقى وموسيقاها.

ربع تون .ونصف تون..وتفعيلة شعر..والقفلة أو القافية.

خصائص ومميزات الفن الأسمى.. فن الكلمة والنغمة.

والشعر العربى مثل الموسيقى العربية، وهما فى بحر واحد.

وكان صالح جودت يدافع عن الشعر العربى مثل دفاع عبد الوهاب عن الموسيقى العربية.

التجديد..نعم..بشرط بقاء النغم.

والتبديد ..لا .. لأننى لا أريد أن أفقد النغم.

وكتب صالح مقطوعات على نظم الموشحات الأندلسية، ومنها مقطوعة يقول فيها:

ضحيت بالعمـــــر	للبيض والشـــــقر
وكنـــــــت لا أدرى	أنـــى ســـألقاك
يافتنــــة الســـمر	بلـــونك الخمـــرى
قد حيـرت أمـــرى	فى الحـــب عينـــاك
ياهـــالة البـــــدر	ولمحـــــة الفجـــر
النيـــل لا يجـــرى	إلا ليـــــــــرعاك

وكان فى استطاعة صالح جودت الشاعر تقديم نماذج كثيرة وجديدة من الشعر المتجدد، على الميزان والموسيقى، ولكن حياته الخاطفة كانت أسرع من خطواته على طريق الفن.

سرقته السينما والاذاعة. وأبعدته فى غالب الأحيان عن طريق الشعر.

قليل قليل من كلماته لأغنيات الاذاعة والسينما كان من الشعر.

لكنه على كل حال كان شمعة مضيئة متوهجة فوق عرش الشعر المصرى الحديث .

النغم الحلو .واللفظ العذب.. والشاعرية المتدفقة..

ولكن صالح جودت لم يكتب القصيدة الخارقة.

وأسفاه على شاعر ضاع مع الأيام.. وضيعته الأيام.. فلم يكتب القصائد الخارقة (١).

كان صالح جودت أحد شعراء مدرسة (أبوللو) الظاهرين، وكان على رأس هذه المدرسة أمير الشعراء شوقى، ومن أعلامها خليل مطران، ومن أبنائها الدكتور ابراهيم ناجى وعلى محمود طه والشاعر الذى ذهب فى عز شبابه: محمد الهمشرى، وقد التقى صالح جودت بهؤلاء الأبناء الثلاثة لمدرسة (أبوللو) فى المنصورة ، وتقاربت أرواحهم

---

(١) عبدالمنعم شميس : الجديد/ أول أغسطس ١٩٨٤.

ومشاعرهم،حتى أصبح التمييز بين أشعارهم صعبا إلا فى المشهور منه ، مثل (الجندول) لعلى محمود طه أو (الأطلال) لابراهيم ناجى.

عرفت ناجى وعرفت صالح جودت معرفة شخصية، ولفت نظرى أنهما كانا مشتركين فى خصائص واحدة، وهما من أبناء الليل، لا يأويان إلى مضاجعهما إلا مع أبى نواس حين يحسب الديك حمارا كما قال فى شعره، وهى قصة من لطائف قصص الشعر والشعراء. فقد كان أبو نواس يبحث عن حماره ليعود إلى داره عندما يسمع أذان الديك فى الفجر.

كان ناجى وصالح جودت فى هدوء نفس وابتسام دائم فى ظاهر أمرهما، وكانت البراكين والزلازل تتفجر وتتصدع داخل قلبيهما، وكانت الاغراءات الجمالية لهما مما يثير الشعر، حتى لا يمل الجليس مجلس الواحد منهما ولو امتد إلى مطلع الشمس.

لم تكن فيهما ليالى الأنس والفكاهة عند كامل الشناوى الذى يسرح بأهل المجلس فى المشارق والمغارب، ويأتى من العجائب ما ينسيهم أنفسهم حتى تشرق الشمس.

لكن صالح جودت كانت له خصائص أخرى تجذبه إليك، حتى لا تستطيع مفارقته، وأهمها طيب الحديث، ودماثة

الخلق، وحلو الغزل مما يأسر ولا يجرح، فقد كان بطبعه شاعرا حتى صوته الرقيق الهامس، ونظرته الوالهة العاشقة.

لم تنج سيدة في مجالس الليل المؤنسة من غزله، فان لم تسعفة العينان تغزل في الشفتين.. وكان في كل ذلك ظريفا لطيفا قاهريا رغم أرومته التركية التى انصهرت وتحللت تحت شمس مصر، كما حدث لغيره من شعراء مصر: البارودى وشوقي وحسين شفيق المصرى وغيرهم.

وكان أحمد رامى يسهر أحيانا في تلك الليالى، فتكتمل بذلك السهرة، فقد كان الشاعران متقاربين من ناحية دفء الصداقة، لا من ناحية وحدة الشعور، لأن صالح جودت كان أقرب إلى ابراهيم ناجي من ناحية الشعور والوجدان. وقد تولى جمع ديوان ناجي بعد وفاته، ولم يجد هو - أى صالح جودت- من يجمع شعره المبعثر حتى الآن.

إن ديوان (ليالى الهرم) الذى اهداه لى في نوفمبر ١٩٥٧، هو ديوان شعر صغير لا يضم الا القدر الضئيل من قصائد صالح جودت وأغانية المشهورة. وهذه وحدها من أعاجيب الأدب المصرى الحديث.

ومع ذلك فان المثل الأعلى في التعبير الشعرى الموسيقى عند صالح جودت هو أحمد شوقي، وكان صالح -رحمه الله- هو الابن الرومانسى لهذا الوالد الكلاسيكى الشهير..

صحيح أن شعر شوقى لم يخل من نفحات رومانسية بديعة، ولكنها كانت امتداداً مصرياً عصرياً لرومانسية شعراء بغداد فى العصر العباسى الأول وبعض العصر الثانى..

وبين رومانسية الشعر الأوربى، ورومانسية الشعر العربى التى بدأت فى الواقع مبكرة جداً -قبل ألف سنة- فروق واضحة، لا يجعلها النقاد فى اعتبارهم.

ولا مجال هنا للإفاضة فى هذه الحكاية، فنجتزىء بالاشارة إلى أن صالح جودت بدأت رومانسيته أوربية الطابع، وكانت لغته لم تنضج بعد، فلما أنضج لغته على نار شوقى الكلاسيكية انتقل إليه تكنيك التعبير الكلاسيكى فى الكثير من شعره، وانتقلت إليه أيضاً تقاليد «العمود» بكل وقارها..

وكان صالح جودت منذ الثلاثينات معروفاً بين الشعراء المصريين الرومانسيين ومن هؤلاء على محمود طه وإبراهيم ناجى ومحمد عبدالمعطى الهمشرى وأحمد فتحى وكامل الشناوى.. وقد أصدر صالح جودت كتاباً عن هؤلاء الشعراء ومعاصريهم سماه «بلابل من الشرق».

وليست هذه العجالة إلا قليلاً مما يمكن أن يكتب عن هذه الحياة القوية الصاخبة السعيدة المتألمة التى كان اسمها صالح جودت.

ولقد مشينا خلف نعشه منذ أيام فى قيظ يونيو، والظل فى الشارع ساخن شاحب منسحب إلى جدران البيوت، منكمش بعضه فى بعض كأنه متهيب للموكب الحزين.

وذكرت عندئذ أبياتاً قلتها فى شاعر سبق صالح جودت إلى الدار الآخرة هو كامل الشناوى، أخذت تلح على ذاكرتى برغم مضى عشر سنوات عليها:

فان تهجر الدنيا فما فى حرورها
ولا ظلها إلا قليل بقاء
غضارة أحلام الشباب وطيبها
ورونق عهد الصحبة الندماء

وتبقى دائماً رحمة ربك، طيف حب وحنان يمد جناحيه على الشعراء، كما يمدها على كل من انبعث فى هذه الدنيا الفانية إنساناً سوياً مجبولاً من صلصال كالفخار يزيد نضجه بمر السنين، ولكن السنين تنتقصه بالهرم والألم، ثم يمضى إلى المجهول.

وهز رحيل شاعر الحب والمحبة صديقه وزميله الكاتب الصحفى «فوميل لبيب» فكتب خاطرة تحت عنوان «ونحن نداماك ننتظر» يقول فيها (١) .

لا تقولوا غداً فعمرى قليل
هده اليأس والعناء الطويل

لست أخشى الردى فعمرى هباء
لم ينور حماى منه فتيل
وإذا العمر لم ينور حماه
فهو مهما يطل مداه ضئيل

هذا ماقاله عزيزنا الذى اختطفه الموت منا.. قاله منذ سنوات وعاش العمر كما كان يرى بالبصيرة شمعته وهى تنطفىء.. عاشه سباقاً عامر النهار صاخب الشعر عاش للناس وبالناس، ولم يكن يخفف عنه إلا أن يتحلقوا حول فراشه.. يسمع منهم ويروى لهم.. فإذا أشفقوا عليه لمعت فى مآقيه الدموع.. كان يرفض أن يخضع لوهن المرض أو يستسلم لقسوة الداء العضال الذى حار فيه الأطباء عامين كاملين التقيت به فى نهاية الخريف الماضى فى لندن فإذا بالطود قد تساقط على الفراش تساقط أوراق الشجر.. وقلت له اكتب فالقلم لحامل القلم طب ودواء، فانتهرتنى زوجته الملتاعة ولما ابتعدت عنا همس قائلاً: «سوف أكتب»..

وكتب كتب وهو يعرف أن له قدماً فى القبر وقدماً فى الفانية.. فإذا به وهو مريض صلب القلم.. فلا المرض أخذ من وهج روحه.. ولا العلة نالت من اقتناعه بمواقفه.

---

(١) المصور : ٢ يوليو ١٩٧٦.

سألني عنه أحمد رامي.. رفيقه وحبيبه.. ولما أجبته مطمئناً سالت دموع رامي وقال: أنا أعلم ما به.. وأنت تخدعني..

وأنا لم أر أليفين غريدين كرامي وصالح.. أطال الله في عمر الأول، وقيض من يجمع شعر لياليهما العذاب، وأخبار صبواتهما وجولاتهما بين الغيد والأحباب..

وكان صالح لا يستقر على حال.. لا يهدأ على إقامة ولا يستمر في ترحال، كان يأخذ الحياة طولاً وعرضاً.. ويذرعها حباً وحرباً.. فتعجب كيف يلتقي كيوبيد ومارس رمز الحرب في شاعر مع ما بين الاثنين من تضارب الخصال، ولكن سره هو أنه يخلص إلى ما يعتنق، وهو بعمر الخيام في شاعريته صنو وشبيه.. قد ذهبت وراءه إلى سان فرانسيسكو فوجدته قد ترك عند «مرديكيان» ملك الارمن وصاحب ملهى عمر الخيام قصيدته التي يقول فيها:

ليلة في سان فرانسيسكو نهبناها اختلاسا
في رواق عمر الخيام أرساه أساسا
ودعا فيه من الندل الذي يرضى نواسا
وجلا فيه من النقل الذي طاب غراسا
ومن «الليكور» ابريزاً وياقوتاً وماسا
ومن الأنغام والأضواء أبهاها انعكاسا

ومثل عمر الخيام تراه صوفياً ناسكاً يقول أروع شعره إذا نظر إلى السماء.. فيقول شاعرنا الراحل:

لوجـــــهك أنت أحب الحـــــيـــــاه
لأنك أنـت وهبت الحـــــيـــــاه
أحـــــبك فى نـفـــــحـــــات الزهور
وشـــــدو الطيـــــور وهمس الميـــاه
وفى كل نور يضىء العـــــيـــــون
وفى الابتـــســـامـــات فـــوق الشـــفـــاه
وفـــى كـل نجـــــــوى لـذات الإلـه
يبــــوح بـه الراكع الســـاجـــد
وفـى كـل مـــــا حـــــولنا آية
«تـدل عـلـى أنـك الـواحـــــــــد»

وهو شاعر الحب عصرياً متفوقاً متدفقاً، تعينه على الشاعرية سلاسة وعذوبة تضعه بين شعراء الحب فى موضع مرموق.. استمع إليه:

قـــولى لهم وأعلنى: أحـــبـــه يحـبنى
أمـا ترون حـبنا فى خلجـات الأعـين؟
وتسـمـعـون همسنا بالشجـو والتحنن؟
وتشـــهـــدون بوحنا كـصلوات المؤمن؟
وتعلمـــون أن بالحب الحـــيـــاة تغـــتنى

أمـــا ترون أنه.. أمـــا ترون أننى
أحـــــبـــــه يحــــــبنى؟

وبعد يا صالح.. فعشرة اثنين وعشرين عاماً لا يطويها موت ينتقيك من بيننا، صديق وزميل.. وأنت بأعماقنا وقلوبنا ومسرى الدم لا تموت..

ولن يموت عند الملايين من أسعدها شاعراً وكاتباً.. وسيبقى خالداً بكل كتاب عليه اسمه، وكل قصيدة من خياله ورسمه.. وكل نفحة حب أهداها، وكل بسمة على شفاه وضعها..

★★★

وبعد، فقد مضت رحلة صالح جودت مع الحب والمحبة: حب مصر، وحب العروبة، وحب الإنسانية، وحب الطبيعة، وحب المرأة إلى غايتها، وظل يعزف لنا على قيثاره أجمل أغنيات الحب والجمال، وظل يغرد لنا أشجى أغاريده حتى آخر نسمة في حياته..

رحل عن دنيانا صالح جودت البلبل الغريد الذى ملأ حياتنا بالحب والبهجة والجمال والوفاء.. رحل «قيثارة مصر» الذي عزف لنا أصدق أناشيد الحب والوفاء لمصر تاريخاً وحضارة ومكانة وعلى حد تعبير الباحث اللبناني فوزى عطوى فإنه لم ير شاعراً من شعراء الوطنية لم يتدله في حب

وطنه كما تدله صالح جودت فى حب مصر: فقد أحبها أرضاً وسماءً، أحبها نسماً وتراباً، أحبها نيلاً ونخيلاً، أحبها فرعونية وعربية، ووزع بالقسطاس المستقيم هواه على مدنها وأريافها، واستحضر تاريخها وأمجادها، وبكلمة مختصرة كان صالح جودت شاعر مصر الواله الذائب فى كيانها ووجدانها، المروج لأحلامها وطموحاتها، الثائر لأشجانها وأحزانها الغاضب على كل حاقد مشوه لحضارتها وحرية شعبها، وكرامة استقلالها، وقد عزف فى حبها أناشيد الحب والعشق النادر.. وستظل أناشيده سيمفونية حب وانتماء ووفاء لمصر الخالدة على مدى الأزمان وسيظل فى أعماق كل مصرى أصيل أناشيد صالح جودت «قيثارة مصر» الخالدة.

الفهرس

صفحة

محمد رضوان



* ولد محمد محمود رضوان بمدينة الجمالية -محافظة الدقهلية بمصر فى ١٥ سبتمبر ١٩٤٨ م.

* حاصل على ليسانس كلية دار العلوم جامعة القاهرة عام ١٩٧١ م.

* كاتب صحفى بدار الهلال - عضو نقابة الصحفيين - عضو اتحاد كتاب مصر (منذ مارس ١٩٧٣).

* من الأدباء والنقاد الذين تناولوا مؤلفاته بالدراسة والنقد والتحليل (صالح جودت -أنيس منصور -أحمد عبدالمجيد -عبدالعليم القبانى -د.مقداد يالجنّ -كمال نشأت -فاروق شوشة -محمد إبراهيم أبوسنة - د. يوسف نوفل - د. حسن فتح الباب - د. ماهر شفيق فريد).

* له خبرة فى الصحافة الأدبية والسياسية، حيث عمل فى سلطنة عمان رئيساً لتحرير مجلة السراج الأدبية (١٩٧٦)، ومديراً لتحرير مجلة «النهضة» السياسية (١٩٨٢)، ويعمل حالياً مستشاراً للتحرير بمجلة الهلال بالقاهرة.

* ابتدع لنفسه منهجاً أدبياً فى كتابة السير سماه «المنهج الوجدانى» يجمع بين الموضوعية والعاطفية، بين التحليل الأدبى النفسى وذاتية الكاتب وذوقه الأدبى .

هذا الكتاب

يعد الشاعر صالح جودت (١٩٠٨-١٩٧٦) أحد أبرز شعراء الوجدان الذين أفرزتهم جماعة أبوللو حيث يشكل مع علي محمود طه وابراهيم ناجي والهمشرى وأحمد فتحي وحسن كامل الصيرفى التيار الوجدانى الرومانسى المجدد فى شكل القصيدة ومضمونها.

وقد امتدت رحلة الشاعر صالح جودت لأكثر من أربعة عقود قدم فيها ستة دواوين شعرية لكن منذ رحيله أسدلت على سيرته وشعره ستارة من النسيان والتجاهل المتعمد نظراً لمواقفه الأدبية والسياسية الصريحة والتى أدخلته فى العديد من المعارك النارية مع أدباء ونقاد عصره.

ويأتى هذا الكتاب للأديب الناقد محمد رضوان بمثابة إعادة اعتبار لهذا الشاعر المجدد والذى يلقى الضوء على حياة صالح جودت وشعره الذى المجهول مع التركيز على وطنية هذا الشاعر الذى أحب مصر حباً جارفا رغم أرومته التركية فغنى لها أبدع أغاريد الحب والوفاء والفداء ومثل مصر فى العديد من المهرجانات الأدبية فى شتى أنحاء الوطن العربى حتى حق للمؤلف أن يطلق عليه لقب «قيثارة مصر» الذى عزف على قيثارتها أجمل الأناشيد التى ستبقى على مر الزمان أنشودة للخلود فى محراب مصر المحروسة.

روايات مصرية للجيب

إنها بالفعل شيء ملائكي رائع

إثارة، متعة، ثقافة، تسلية، ذكاء، ألعاب، مغامرات



المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع 10، 16 ش كامل صدقي الفجالة، 4 ش الإسحاقي بمنشية البكري روكسي مصر الجديدة - القاهرة - ت: 22586197 - 24677371 - 24677138 فاكس - 202/24677188 ج.م.ع، 4 ش بدوي محرم بك - الإسكندرية ت: 03/4970840 - 03/4970850